

مكتبة | 148

سلسلة إبداعات عالمية ٤٢١

جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا

رواية

تـــألــيـــف: ماري آن شيفر وآني باروز

تـــرجـــمـــة: حنان عبدالمحسن مظفر

مـــراجـــعـــة: عبدالله عبدالرحمن الزعبي

مقدمة المترجمة

أثناء دراستي للغة الإنجليزية في المرحلة المتوسطة، في أواخر سبعينيات القرن الماضي، كانت كتابة الرسائل جزءا من المنهاج الدراسي، وكتعزيز لتلك المهارة، كان على كل منا أن تختار صديقة بالمراسلة، من مجلة وفّرتها المدرسة لذلك. اخترت صديقة من ترينيداد، وهي جزيرة لم أكن أعلم بوجودها في ذلك الحين. بدأنا بتبادل الرسائل بلغة إنجليزية بسيطة، لأن تعليم اللغة الإنجليزية آنذاك كان يبدأ في المرحلة المتوسطة، وكانت قدراتي محدودة. وبعد ذلك، اختارت أختي التي تصغرني بأربعة أعوام صديقة بالمراسلة من ولاية أوريغون في الولايات المتحدة. حافظت أختي على صداقتها لسنوات عديدة، رغم أنني، لسبب أو آخر، لم أستمر في مراسلاتي. أما أختي التي تصغرني بتسع سنوات، فلم تحظ بتلك الفرصة. في أواخر ثمانينيات ذلك القرن تغير منهاج اللغة الإنجليزية وأصبح فن كتابة الرسائل ثانويا، ويدرّس نظريا فقط.

اشتهرت الرواية الرسائلية[1] في القرن الثامن عشر، رغم أن لها تاريخا يسبق ذلك بزمن. على سبيل المثال، قدمت الكاتبة «أفرا بين» روايتها «رسائل غرام بين نبيل وأخته»[2] في العام 1685 مستخدمة الرسائل لتبين أثر الراوي على الحكاية، حيث تتغير نظرة القارئ نحو شخصيات الرواية مع تغير منظور الراوي. لكن القرن الثامن عشر تميز بصورة خاصة بتقديم كمّ كبير من الروايات الرسائلية، من أشهرها ما كتبه ساموئيل

(1) رواية تقص من خلال سلسلة من الرسائل، ويشمل ذلك أحيانا الرواية التي تحوي ما دوّن في المذكرات الشخصية، أو ما يستخدم قصاصات الصحف لسرد القصة.

(2) (Aphra Behn. Love Letters Between a Nobleman and His Sister 1685)

ريتشاردسون وهما روايتا باميلا وكلاريسا[3]، كما استخدم الفرنسي جان جاك روسو والألماني يوهان غوته[4] وغيرهما هذا الفن في قصصهم أيضا. تراجع هذا الفن في القرن التاسع عشر، ولم تعد الرواية الرسائلية سائدة، رغم أن الرسائل استخدمت كجزء أساسي في أشهر روايات القرن مثل فرانكشتاين ودراكولا[5]. وها نحن، في القرن الواحد والعشرين، نجد بين أيدينا رواية تعود بنا إلى هذا الفن.

لا شك أن فن كتابة الرسائل فن بائد، ففي عصر التكنولوجيا التي يسّرت لنا طرقا عديدة للاتصال بغيرنا، أصبحت الكتابة نفسها تعاني تراجعا ملحوظا. ها نحن نقلص أفكارنا في 140 حرفا لنتمكن من تدوينها في تويتر، وها هي وسائل الاتصال المختلفة من واتساب وفيسبوك وغيرهما تقلص المسافات بين الأحبة، وتنتهي معها الحاجة لسرد الأحداث المهمة في رسالة مطولة. نحن الآن نسرع نحو أجهزتنا الهاتفية لنبعث برسالة سريعة نخبر بها عن وظيفتنا الجديدة، أو ثوبنا الجديد، أو حتى مجرد مشاركة أحبائنا بخبر أو فكاهة طارئة. إن الكتابة التي اعتدت عليها، رسائلي لصديقتي من ترينيداد، ورسائل أختي لصديقتها، ورسائل والدي إلى والدتي وإلى زملائه في خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن الماضي، التي طالما شكلت لدي جزءا من مفهوم العلاقات الإنسانية، وجعلت الكتابة والقراءة شيئا شخصيا بالنسبة لي وجزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية، أصبحت وكأنها من عالم آخر.

رواية ماري آن شيفر تعيدنا لزمن الرسائل، بمنطقية معقولة. ومع أن الرواية تحكي عن زمن شهد كمّا هائلا من التطور التكنولوجي، بما في

(3) Samuel Richardson. Pamela: Or، Virtue Returned (1740)، Clarissa: Or the History of a Young Lady 1748

(4) (Jean-Jacques Rousseau & Johann Wolfgang von Goethe)

(5) Mary Shelley's Frankenstein; or، The Modern Prometheus (1818) & Bram Stocker's Dracula 1897

ذلك تطور وسائل الاتصال الهاتفي لتصبح شبه شائعة للاستخدام المنزلي، لكنها تتناول فترة معينة من هذا الزمن، هي فترة الحرب العالمية الثانية، التي أدت إلى انقطاع مؤقت للتقدم التكنولوجي. وها نحن نجد جهاز الهاتف جزءا ضروريا في كل بيت بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وبينما يخط والدي رسائله الغرامية لوالدتي لشغفه وشغف والدتي بالقراءة، ولانتمائهما إلى زمن لا يهيمن عليه الهاتف النقال، رغم توفر وسائل الاتصال الهاتفية التقليدية، تحكي لنا ماري آن قصة غيرنزي من خلال رسائل تبادلتها شخصيات الرواية الرئيسة والثانوية في زمن صعب فيه الاتصال الهاتفي، وأصبحت الرسائل هي ما يجمع بين الأشخاص، ليس اختيارا، بل حاجة. وبينما يعطر والدي رسائله الغرامية بأبيات شعر ومقاطع من أغاني عبدالحليم[6]، يعطر شخصيات هذه الرواية رسائلهم بوصفهم جزيرة تجعل كل قارئ يتمنى زيارتها.

تحكي الرواية قصة جولييت، وهي كاتبة لندنية اشتهرت أثناء الحرب العالمية الثانية بمقالاتها المسلية. من خلال رسالة، تتعرف جولييت على مجموعة من سكان جزيرة تقع في القنال الإنجليزي، وجمعيتهم الأدبية. روايتنا تتناول قصصا عن شخصيات متعددة ومختلفة عاشت تحت الاحتلال الألماني، لكنها ليست رواية عن الحرب؛ هي رواية عن الكتابة وعن القراءة كتبتها ماري آن شيفر، وعملت على إنهائها وتحريرها ابنة أخيها آني بوروز.

وها نحن نقرأ قصة جمعتها امرأتان، عن مجتمع صغير في جزيرة شبه معزولة، أصبحت ممكنة بسبب شغف كل هؤلاء بالقراءة.

قد يكون زمن الرسائل ولى، لكن كتابا مثل هذا جاء ليذكرنا بأن الكتابة ما زالت منبرا حيا وملاذا دائما.

---

(6) لا بد أن يغفر لي والداي مشاركة القراء بجزء من حياتهما الشخصية، فهما الملامان أساسا في استمرار الكتاب جزءا أساسيا من حياة عائلتنا الممتدة.

أهدي كتابي هذا بكل حب إلى والدتي إدنا فيري مورغان
وصديقتي العزيزة جوليا بوبي

ماري آن شيفر

ولوالدتي سينثيا فيري باروز

آني باروز

الجزء الأول

8 يناير 1946

المستر سيدني ستارك، الناشر

شركة ستيفنز وستارك المحدودة

21 شارع سان جيمس

لندن، س. و. 1

إنجلترا

عزيزي سيدني..

ما أروع سوزان سكوت، فقد قمنا ببيع أكثر من أربعين نسخة من الكتاب، وهو أمر سار جدا. لكن ما أمتعني شخصيا هو الطعام. تمكنت سوزان من الحصول على كوبونات السكر المطحون والبيض الطازج لتزيين الكعكة. إن كان هذا هو طابع موائدها الأدبية، فلا مانع لدي من القيام بهذه الجولات بصورة مستمرة. هل نعرض عليها مكافأة لحثها على إضافة الزبدة لهذه الموائد؟ لنحاول. لك أن تستقطعها من عائداتي.

دعنا ننتقل الآن إلى الأخبار الكئيبة. لقد سألتني عن تطور العمل في كتابي الجديد. للأسف، ليس هناك أي تطور على هذا الصعيد يا سيدني.

في البدء، بدا كتاب غرائب اللغة الإنجليزية واعدا. لا شك أنه من الممكن الإسهاب في الكتابة عن «جمعية الاحتجاج على تمجيد الأرنب الإنجليزي». وجدت صورة لأعضاء «اتحاد القضاء على القوارض» يتظاهرون في أحد شوارع أوكسفورد حاملين يافطات تطالب بإسقاط الكاتبة بياتريكس بوتر[7]. ولكن هل من الممكن إضافة أي شيء آخر على ذلك؟ بالطبع لا.

(7) كاتبة ورسامة إنجليزية من دعاة الحفاظ على الحياة البرية. اشتهرت بكتابة قصص الأطفال التي تضم الحيوانات ومن أشهرها قصص «بيتر رابيت».

ليست لـدي أي رغبـة في كتابـة هـذا النـص، فلـم يعـد يسـتهويني. رغـم المعـزة التـي كنـت أكنهـا لإيـزي بيكرسـتاف ولا أزال، لكننـي لم أعـد أرغـب في الكتابـة تحـت هـذا الاسـم. لا أريـد أن يتـم اعتبـاري صحافيـة هزليـة. لا ريـب أن بـث البهجـة في قلـوب القـراء أثنـاء الحرب ليـس بالـشيء الثانـوي، لكننـي لم أعـد أرغـب في القيـام بذلـك. يبـدو أننـي لا أجـد نفسي متوازنـة هـذه الأيـام. ويعلـم اللـه اسـتحالة إيجـاد منفـذ للفكاهـة دون ذلـك التـوازن. أنـا سـعيدة حاليـا بالأربـاح التـي حققتهـا شركـة سـتيفنز وسـتارك عـن كتـابي إيـزي بيكرسـتاف تذهـب إلى الحـرب. فقـد أراحنـي ذلـك من كارثـة كتاب السـيرة الذاتيـة لآن برونتـي.

مع جزيل الشكر والمودة..

جولييت

ملحوظـة: أقـرأ حاليـا مجموعـة مراسـلات السـيدة مونتاغـو. هـل تعـرف مـا كتبتـه تلـك المـرأة التعيسـة لجـين كارلايـل؟ «عزيـزتي جـين، كل إنسـان يخلق ولديه موهبـة، وموهبتـك أنـت هـي كتابـة ملحوظـات صغـيرة سـاحرة». أتمنـى أن تكـون جـين قـد بصقـت عليهـا.

* * *

من سيدني إلى جولييت *10* يناير *1946*

الآنسة جولييت آشتون

***23* شارع غليب**

تشيلسي

لندن س. و. *3*

عزيزتي جولييت..

مبارك.. أخبرتني سوزان سكوت أنك تأقلمت تماما مع مناسبة الغداء، كما ملكت قلوب الحضور. كفي عن القلق بشأن جولتك الأسبوع المقبل. لا أشك بأنها ستكون جولة ناجحة. وبما أنني كنت شاهدا على أدائك المذهل في «راعي الغنم يغني في وادي المذلة»، قبل ثمانية عشر عاما، فإنني واثق بأنك ستحظين بإعجاب الحضور في لحظات قليلة. لكن إليك هذا الاقتراح: امتنعي في هذه المرة عن إلقاء الكتاب في وجه الجمهور عندما تنتهين منه.

تأمل سوزان بمرافقتك في جولات عديدة حول محلات بيع الكتب، بدءا بباث وحتى يوركشاير. أما صوفي فهي تأمل أن تمددي جولتك لتشمل اسكتلندا. وقد أخبرتها، بنبرة الأخ الأكبر الغاضب، بأن ذلك أمر لن يبتَّ فيه الآن. أنا أعلم مقدار شوقها الكبير لك، لكن لا بد أن شركة ستيفنز وستارك لا تتأثر بتلك الاعتبارات الشخصية.

تسلمت للتو تقريرا بأرباح كتاب إيزي من لندن والمقاطعات المجاورة، وهي تبدو ممتازة. مبارك مرة أخرى.

أما بشأن كتاب غرائب اللغة الإنجليزية، فلا تقلقي. فمن الأفضل أن يذبل اهتمامك به الآن من أن تستمري في الكتابة

عن الأرانب لمدة ستة أشهر من غير طائل. لا شك أن الأرباح العالية لفكرة الكتاب كانت مغرية، لكنني أوافقك الرأي بأن الموضوع سرعان ما سيصبح مملا. سيحضرك موضوع آخر يحوز رضاك.

ما رأيك في الذهاب لتناول العشاء قبل رحيلك؟ اختاري الوقت الذي يناسبك.

مع حبي،

سيدني

ملحوظة: طريقتك في كتابة الملحوظات لطيفة جدا.

* * *

من جولييت إلى سيدني

11 يناير 1946

عزيزي سيدني..

فكرة جيدة. لنختر مطعما يطل على النهر. أريد أن آكل محارا ولحم بقر مشويا وشمبانيا إن أمكن. وإن لم يكن ذلك ممكنا، فسأكتفي بالدجاج. يا لسعادتي بأرباح إيزي. يا ترى هل ستمكنني تلك الأرباح من الاستقرار في لندن؟

بما أنك وشركة ستيفنز وستارك قد جعلتموني كاتبة ناجحة نوعا ما، سيكون العشاء على حسابي.

مع حبي،

جولييت

ملحوظـة: لم أقـم بإلقاء كتـاب «راعـي الغنـم يغنـي في وادي المذلـة» عـلى الجمهـور، بـل ألقيتـه عـلى «ملكـة فـن الإلقـاء». نويـت أن أصيـب قدميهـا لكننـي أخطأتهـما.

* * *

من جولييت إلى صوفي ستراكان

12 يناير 1946

السيدة ألكساندر ستراكان

مزرعة فيوكن

بالقرب من أوبان

آرغايل

عزيزتي صوفي،

بالطبـع أود رؤيتـك يـا عزيـزتي، لكننـي مثـل الإنسـان الآلي، مسـلوب الـروح والإرادة. أمـرني سـيدني بالذهـاب إلى بـاث وكولتشسـتر وليـدز وعـدة حدائـق أخـرى لا أتذكرهـا الآن. لـذا لا أسـتطيع التسـلل إلى اسـكتلندا، وإلا أدى ذلـك إلى أن يقطب حاجبا سـيدني، وتضيـق عينـاه، ويقـوم بتلـك المشـية المزعجـة التـي تعرفينهـا جيـدا.

يـا ليتنـي أسـتطيع التسـلل إلى مزرعتـك وأدعـك تدلليننـي. سـتدعينني أمـد قدمـي عـلى الأريكـة، أليـس كذلـك؟ وسـتغطينني بالبطانيـة وتجلبـين لي الشـاي. هـل سـيمانع ألكسـاندر وجـود ضيـف دائـم عـلى أريكتـه؟ لقـد قلـت لي إنـه رجـل صبـور، لكـن ربمـا كان ذلـك سـيزعجه.

ما لي أميل للحزن والكآبة؟ يجدر بي أن أكون فرحة بقراءة إيزي لجمهور منتش. تعلمين مدى حبي للتحدث عن الكتب، كما تعلمين مدى حبًي لتلقي المديح. ينبغي أن أكون متحمسة لذلك، لكنني في الواقع مغمومة أكثر مما كنت أثناء الحرب. فكل شيء مدمر يا صوفي، الشوارع والمباني والناس... خاصة الناس.

لا بد أن شعوري هذا ناتج عن حفل العشاء الشنيع الذي حضرته ليلة البارحة. كان الطعام رديئا، لكن ذلك كان متوقعا. ضيوف الحفل هم الذين أزعجوني. فقد كانوا من أكثر الناس الذين قابلتهم إثارة للإحباط طيلة حياتي. تمحور الحديث حول القنابل والقذائف والمجاعة. هل تتذكرين سارة موركروفت؟ كانت موجودة في حفل العشاء، بجسدها النحيل وقشعريرتها الظاهرة وأحمر شفاهها الدموي؟ ألم تكن جميلة في يوم ما؟ ألم تغرم بذلك الفارس الذي ذهب إلى كامبردج؟ لم يكن له أي أثر. هي الآن متزوجة من طبيب أشهب البشرة يفرقع بلسانه قبل أن يتكلم. لكنه مثال للرومانسية مقارنة بمرافقي الذي صادف أن يكون أعزب، ربما آخر رجل أعزب على وجه البسيطة. يا إلهي كم أبدو مستهترة ولئيمة الآن.

أعتقد أنني لست على ما يرام يا صوفي. فأنا أجد كل رجل أقابله لا يطاق. قد يتوجب علي التنازل قليلا والقبول بمن لا يرتقي لتوقعاتي العالية، ولكن ذلك لا يعني التنازل حتى مستوى الطبيب الأشهب الذي يفرقع بلسانه. لا أستطيع أن ألقي باللائمة على الحرب في ذلك، فلم أكن قط جيدة فيما يتعلق بالرجال، أليس كذلك؟

هل تعتقدين أن منظف الموقد في سينت سويذنز كان حبي الحقيقي؟ يبدو ذلك غير وارد لأنني لم أحادثه أبدا. لكن على الأقل هي عاطفة لم تشبها شائبة. وكان لديه ذلك الشعر الأسود الجميل. وكما تذكرين، أتى بعد ذلك «عام الشعراء» الذين سخر منهم سيدني، علما أنه هو من عرفني عليهم. وبعد ذلك كان المسكين آدريان. آه! دعينا الآن من سرد هذا التاريخ المخزي. أخبريني يا صوفي، ما خطبي؟ هل أنا متطلبة؟ لا أريد الزواج من أجل الزواج فقط. لأنني لا أستطيع تخيل ما هو أكثر وحدة من قضاء بقية حياتي مع من لا أستطيع الحديث معه، أو الأسوأ من ذلك، مع من لا أستطيع البقاء صامتة معه.

يا لها من رسالة متذمرة مريعة، ولكن هل رأيت كيف نجحت في جعلك تشعرين بالارتياح لعدم استطاعتي زيارتك في اسكتلندا؟ لا أدري. قد أقوم بذلك على أي حال، فمصيري في يد سيدني.

قبلي دومينيك وأخبريه بأنني رأيت جرذا بحجم كلب منذ بضعة أيام.

الكثير من الحب لك، وتحياتي لألكساندر..

جولييت

* * *

من دوزي آدامز، غيرنزي، جزر القنال الإنجليزي، إلى جولييت 12 يناير 1946

الآنسة جولييت آشتون

81 شارع أوكلي

تشيلسي

لندن س. و. 3

عزيزتي الآنسة آشتون..

أدعى دوزي آدامز، وأعيش في مزرعتي في أبرشية سان مارتن في جزيرة غيرنزي. سبب معرفتي بك هو حيازتي كتابا لك بعنوان مقالات مختارة لإيليا لكاتب اسمه الحقيقي تشارلز لام. وقد وجدت اسمك وعنوانك على الغلاف الداخلي للكتاب.

سأدخل في الموضوع مباشرة. أحب كتابات تشارلز لام. وبما أن عنوان كتابي مقالات مختارة فإنني أتساءل إن كانت له أعمال أخرى؟ كم أود قراءة تلك الأعمال، لكن على الرغم من رحيل الألمان، لا تزال محلات بيع الكتب في غيرنزي مغلقة.

سأطلب منك معروفا. هل لك أن ترسلي لي اسم محل لبيع الكتب في لندن وعنوانه؟ أرغب بطلب كتب تشارلز لام عن طريق البريد. كما أود أن أعرف إن كان أحدهم كتب سيرته الذاتية. وإذا كانت الإجابة بنعم، فهل يمكنني الحصول على نسخة؟ فذهنه اللامع والنشط يجعلني أجزم بأن لام كان يعيش حزنا دفينا.

أضحكني تشارلز لام خلال فترة الغزو الألماني، على الأخص عندما كتب عن الخنزير المشوي. فقد أنشأنا جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا بسبب خنزير مشوي أردنا الاحتفاظ

بسر امتلاكه عن الجنود الألمان. لذا أشعر بأن قرابة تربطني بالمستر لام.

أنا آسف على إزعاجك، ولكن قد يأكلني الندم إن لم أسأل عنه لأن كتاباته جعلتني صديقا له.

أرجو ألا أكون قد تسببت بإزعاجك..

دوزي آدامز

ملحوظة: اشترت صديقتي السيدة موغري منشورا كنت تملكينه أيضا. اسمه هل هناك شجيرة محترقة؟ دفاع عن موسى والوصايا العشر. وقد أعجبت بملحوظتك الهامشية «كلمة الله أم نظام ضبط الحشود؟» هل توصلت إلى إجابة؟

* * *

من جولييت إلى دوزي *15* يناير *1946*

سيد دوزي آدامز،

لي فولارونز

لا بوفي

سان مارتنز - غيرنزي

عزيزي آدامز..

أنا سعيدة بأن رسالتك قد وجدتني وكتابي قد وجدك. لم أعد أعيش في شارع أوكلي. كان من المحزن مفارقة مقالات مختارة

لإيليا. لكنني كنت أملك نسختين وبحاجة ماسة لتوفير مساحات لتخزين كتبي. رغم ذلك فإن بيعها كان بمثابة خيانة، وقد أرحت ضميري برسالتك.

أعجب كيف وصل الكتاب إلى غيرنزي! لعل الكتب لديها غريزة توجهها إلى القارئ المثالي. كم سيكون ذلك مفرحا إن كان صحيحا.

بما أن التجول بين المكتبات أمر يسعدني كثيرا، فقد ذهبت فور تسلُّمي رسالتك إلى هيستنغز وأبنائه. لطالما ارتدْتُ مكتبتهم لشراء كتاب أبحث عنه وعدت منها بثلاثة كتب لم أكن أعلم بحاجتي لها. لقد أخبرت سيد هاستنغر أنك تريد نسخة تخلو من الملحوظات والتعليقات، وليس مجرد نسخة نادرة من مقالات أخرى لإيليا. ستصلك نسخة بالبريد (مرفق هنا الفاتورة) من سيد هيستنغز الذي سرّ بإعجابك أيضا بتشارلز لام. وقد أخبرني أن أفضل سيرة ذاتية للام هي التي كتبها أ. ف. لوكاس، وسيحاول إيجاد نسخة لك، لكن هذا قد يتطلب وقتا.

أما الآن، فهل تقبل هذه الهدية المتواضعة مني؟ أبعث لك رسائل مختارة للام التي ستعرفك عليه أكثر من أي سيرة ذاتية. لا يبدو أن أ. ف. لوكاس ممن يدرج مثل هذه الجملة، وهي من جملي المفضلة: «باز باز، بام بام، ويز ويز، فن فن، تنكي تنكي، كرانش، ستتم إدانتي بلا شك، فلم أتوقف عن الشرب لمدة يومين. لقد استهلك حسي الأخلاقي وبدأ إيماني يضعف». ستجد ذلك في صفحة 244 من هذا الكتاب. كان ذلك أول كتاب أقرؤه للام، وأعترف بأنني قد اشتريت هذا الكتاب لأنني قرأت في مكان آخر أن رجلا يدعى لام زار صديقه لاي هانت المسجون بسبب التشهير بأمير ويلز.

خلال تلك الزيارة، ساعد لام هانت بطلاء سقف الزنزانة باللون الأزرق السماوي وتتخلله غيوم بيضاء. وبعد ذلك، رسم الاثنان تعريشة للورود على أحد الجدران. واكتشفت بعد ذلك أن لام، رغم فقره المدقع، قد عرض مالا لمساعدة عائلة هانت. كما درب ابنة هانت الصغيرة على ترتيل «الصلاة الربانية» بالمقلوب. ومن الطبيعي أن ترغب بالتعرف أكثر على شخص مثل هذا.

هذا ما يشدني للقراءة، تفصيل صغير يشدك إلى كتاب ما، والذي يقوم بدوره باستدراجك إلى كتاب آخر، وهكذا دواليك. إنها حلقة غير متناهية من المتعة.

إن ما يبدو كبقعة دم على الغلاف هو في الواقع دم. حيث لم أنتبه لاستخدامي قطاعة الورق. أما فيما يتعلق بالبطاقة البريدية، فهي نسخة من صورة زيتية للام رسمها صديقه وليام هازلت.

هل تجيب على أسئلتي هذه متى استطعت؟ هي ثلاثة أسئلة في الواقع: لماذا توجب إبقاء أمر عشاء الخنزير المشوي سرا؟ كيف لخنزير أن يتسبب في إنشاء جمعية أدبية؟ والأهم من ذلك كله، ما فطيرة قشر البطاطا ولماذا تم إدراجها في اسم جمعيتكم؟

قمت باستئجار شقة في البناء رقم 23 في شارع غليب بتشيلسي، لندن س و 3. ولا أزال أتوق إلى شقتي في شارع أوكلي التي تم قصفها في العام 1945، فقد كان باستطاعتي رؤية نهر التيمز عبر ثلاث نوافذ. أعلم بأنني محظوظة لاستطاعتي السكن في لندن، لكنني أفضل التذمر على إحصاء النعم.. كم أنا سعيدة لأنك اتجهت إلي لمساعدتك في البحث عن مقالات إيليا.

تحياتي،

جولييت آشتون

ملحوظة: لا أزال في حيرة من أمري بالنسبة لقصة موسى، وهذا يزعجني.

* * *

من جولييت إلى سيدني

18 يناير 1946

عزيزي سيدني،

هذه ليست رسالة بل هي اعتذار. اغفر لي تذمري من حفلات الشاي والموائد الأدبية التي نظمتها لتسويق كتاب إيزي. هل وصفتك بالمستبد؟ أتراجع عن ذلك. أقدر لستيفنز وستارك إخراجي من لندن.

باث مدينة خلابة، بالصفوف المائلة لبيوتها البيضاء المنتصبة، بعكس مباني لندن السوداء الكئيبة، أو بالأحرى، أكوام الركام التي كانت مباني فيما مضى. فضلا عن نعمة استنشاق الهواء النظيف النقي عوضا عن روائح الفحم والغبار. جوها بارد لكنه ليس ببرودة لندن الرطبة. حتى سكانها يبدون مختلفين، ومنتصبين مثل بيوتهم، بعكس اللندنيين ذوي الشعر الأشيب والمحدودبين.

أخبرتني سوزان أن زوار حفلات شاي أبوت استمتعوا بأوقاتهم، كما استمتعت أنا أيضا. فبمجرد أن تخليت عن تحفظي المتعالي بعد الدقائق الأولى، بدأت بالاستمتاع بوقتي.

غدا نتوجه أنا وسوزان إلى مكتبات كولشستر ونورويتش وكنغزلين وبرادفورد وليدز.

مع حبي وتقديري،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني

21 يناير 1946

عزيزي سيدني،

ها قد عدنا للاستمتاع بالسفر في القطار ليلا، دون الوقوف في الممرات لساعات أو الحاجة لاستبدال المسار للسماح لقطار عسكري بالمرور. والأهم من ذلك، لا ستائر سوداء تمنعني من رؤية نوافذ البيوت التي نمر بها والتي أضيئت أنوارها لتمكنني من رؤية ما يجري في داخلها. كم اشتقت لذلك خلال الحرب التي شعرت فيها وكأننا تحولنا جميعا إلى حيوانات الخلد ننطلق مسرعين في أنفاق منفصلة. لا أعتبر نفسي متلصصة تختلس النظر إلى غرف النوم، فما يستهويني هو النظر إلى العائلات في غرف المعيشة والمطابخ، حيث أستطيع تخيل حياتهم بكاملها من خلال إلقاء نظرة خاطفة على رفوف الكتب أو الطاولات أو الشموع المشتعلة أو وسائد الأرائك الملونة.

رأيت اليوم رجلا مقيتا متعجرفا في مكتبة تيلان. بعد انتهائي من الكلام عن إيزي بدأت بالإجابة على أسئلة

الحضور. اندفع نحوي مسرعا وسألني كيف لي، وأنا مجرد امرأة، أن أتجرأ على تشويه سمعة إيزاك بيكرستاف: «كيف لك أن تدنسي اسم الراحل إيزاك بيكرستاف الصحافي الشهير، بل قلب أدب القرن الثامن عشر وروحه المقدسة؟».

وقبل أن أتفوه بكلمة، قفزت امرأة من الصفوف الخلفية قائلة: «اجلس بالله عليك. لا يمكن تدنيس سمعة شخص لم يكن قط على قيد الحياة. فإيزاك بيكرستاف اسم مستعار لجوزيف أديسون، كاتب مقالات مجلة «سبكتيتر Spectator». باستطاعة الآنسة آشتون اتخاذ أي اسم مستعار تريده. فعليك بالصمت». يا لها من مدافعة باسلة، لقد هرول خارجا.

سيدني، هل تعرف رجلا يدعى ماركام ف رينولدز الابن؟ وإن كنت لا تعرفه، هلا بحثت عنه في كتاب من هو[8] Who's Who أو كتاب «دومزداي[9] Domesday Book» أو في سكوتلاند يارد[10]. أو قد تستطيع ببساطة أن تجده في دليل الهاتف. لقد أرسل إلى فندقي في باث باقة جميلة من أزهار الربيع، وإلى قطاري دزينة من الورود البيضاء، ومجموعة من الورود الحمراء إلى نورويتش. ولم يرفق في أي منها بطاقة تعريف المهنة.

أتساءل كيف له أن يعرف مكان إقامتنا أنا وسوزان، وأي

(8) هو عنوان عدد من المنشورات المرجعية، التي تحوي عموما معلومات موجزة عن السيرة الذاتية لمجموعة معينة من الأشخاص.

(9) سجل «الإحصاء الكبير» لجزء كبير من إنجلترا وأجزاء من ويلز تم الانتهاء منه في العام 1086 بأمر من الملك وليام الفاتح.

(10) جهاز الشرطة البريطانية.

قطارات نأخذ. فقد وصلتني وروده وأزهاره حال وصولي. ولا أدري إن كان علي أن أشعر بأنه يجاملني أو يطاردني.

مع حبي،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني 23 يناير 1946

عزيزي سيدني،

بالكاد أستطيع أن أصدق أرباح مبيعات إيزي التي تسلمتها من سوزان للتو. كنت أظن أن الناس سئموا من الحروب ولا يريدون ما يذكرهم بها، وبالأخص على شكل كتاب. وها أنت على حق مرة أخرى وأجدني أنا المخطئة (رغم صعوبة اعترافي بذلك).

كم هو مثير السفر والتحدث أمام جمهور من المتلقين، وتوقيع الكتب والتعرف على الناس. وقد استمعت إلى قصص عن الحرب من النساء اللاتي قابلتهن، حتى إنني تمنيت لو كنت لا أزال أكتب مقالاتي. في الأمس، وخلال حديث لطيف مع أم لأربع فتيات مراهقات من نورويتش، أبلغتني بأن كبرى الفتيات قد تمت دعوتها إلى حفل شاي في الكلية العسكرية في المدينة. وما إن تخطت عتبة قاعة الحفل حتى فوجئت ببحر من وجوه المجندين المتلألئة، فسقطت مغشيا عليها بفستانها الجميل وكفوفها الناصعة البياض. تخيل الأمر، كانت المرة الأولى التي تلتقي فيها بهذا

العدد من الشباب في مكان واحد، جيل كامل كبر وترعرع من دون حفلات شاي ورقص وغزل.

أحب الذهاب إلى المكتبات ولقاء بائعي الكتب، فهم صنف نادر. من غيرهم يقبل بهذا العمل وأجره الزهيد أو امتلاك محل هامش الربح فيه بسيط؟ لا بد أن الدافع هو حبهم للقراء والقراءة فضلا عن إغراء أن يكونوا أول من لهم الحق في الحصول على الكتب الجديدة.

هل تذكر أول وظيفة حصلنا عليها أنا وأختك في لندن، في دكان سيد هوك للكتب المستعملة. لكم أحببته، بمجرد حصوله على مجموعة كتب جديدة، يعطينا كتابا أو كتابين، وقبل أن نندفع لقراءتهما ينبهنا قائلا: «تجنبا رماد السجائر والأيدي المتسخة، وأنت يا جولييت احذري تدوين الملحوظات على الهوامش، أما أنت يا صوفي فامنعيها من احتساء القهوة أثناء القراءة».

لطالما ذهلت لكمّ الأشخاص الذين يجولون في المكتبات كالتائهين دون معرفة ما يريدونه على أمل أن ينال كتاب ما إعجابهم. ولأنهم أذكى من أن يثقوا بتعريف الناشر، يوجهون إلى بائع الكتب ثلاثة أسئلة: ما موضوع الكتاب؟ هل قرأته؟ وهل كان جيدا؟

لا يستطيع بائعو الكتب المحنكون، مثلي وصوفي، أن يكذبوا. فسرعان ما تخوننا تعابير وجهنا، فالحاجب المرفوع أو الشفة الملتفة مؤشر على رداءة الكتاب. ما يدفع الشاري إلى طلب نصيحتنا، فنقفز كالضفادع ونأخذهم إلى الكتب التي نصر على أن يقرؤوها، مدركتين أن نصيحتنا قد تؤدي إما إلى خسارة الزبون للأبد وإما كسب زبون دائم.

هل تقوم بتدوين الملحوظات؟ يجب عليك ذلك، إذ يتوجب على الناشر أن يقوم بإرسال أكثر من نسخة مجانية واحدة للمكتبات حتى يتمكن جميع الموظفين من الاطلاع عليها.

أخبرني سيتون أن كتاب إيزي بيكرستاف، يعتبر الهدية المثالية لمن تحب أو لمن تكره لكنك مضطر لتقديم هدية له. كما ادعى بأن 30 بالمئة من الكتب يتم شراؤها كهدايا. 30 بالمئة، حقا؟!

هل أخبرتك سوزان بما قامت به على هامش الجولة؟ لقد أشرفت علي. لم يمض على تعارفنا نصف ساعة حتى أخبرتني بأن مكياجي وثيابي وشعري وأحذيتي كلها باهتة، متسائلة إن كنت أعلم أن الحرب قد انتهت.

أخذتني إلى صالون السيدة هيلينا، حيث حصلت على تسريحة جديدة، فشعري الآن قصير ومموج بعد أن كان طويلا وباهتا. كما قاموا بصبغ شعري لإبراز اللون الذهبي في «ضفائري الكستنائية الجميلة»، لكنني أعلم أن الغرض من ذلك هو إخفاء الشيب (لقد أحصيت أربعا منها) الذي بدأ يزحف. كما اشتريت كريما للوجه وغسولا معطرا لليدين وأحمر شفاه وأداة لعقص الرموش تجعلني محولة العينين عند استخدامها.

وعندما اقترحت علي سوزان شراء فستان جديد، ذكرتها بأن الملكة كانت سعيدة بالحفاظ على أزيائها التي تعود إلى العام 1930، فلم لا أحذو حذوها. أجابتني بأن الملكة ليست بحاجة إلى لفت الانتباه على عكسي. جعلني ذلك أشعر بأنني خائنة للتاج والدولة، فالثياب الجديدة ليست من شيم السيدة المحترمة. لكنني نسيت ذلك فور رؤيتي صورتي في المرآة. إنه فستاني الأول منذ أربعة أعوام، وما أجمله من فستان. لونه لون الخوخ

الناضج، تتمايل طياته عندما أتحرك. أخبرتني البائعة بأنه مثال الأناقة الفرنسية التي سأتطبع بها في حال شرائه، فاشتريته. وعلى الأحذية الجديدة أن تنتظر لأنني صرفت ما يساوي عاما كاملا من كوبونات الملابس على هذا الفستان.

بفضل سوزان وقصة شعري الجديدة ووجهي وفستاني، لم أعد أبدو كامرأة عمرها اثنان وثلاثون عاما أكل الدهر عليها وشرب، بل امرأة أنيقة وجذابة في الثلاثين من عمرها.

أما فيما يتعلق بعدم شرائي لحذاء جديد، ألا يبدو غريبا اضطراري إلى التقنين بعد الحرب أكثر مما كنت أفعل قبلها. أعي بأن هناك مئات الآلاف في أوروبا بحاجة إلى الغذاء والسكن والملبس، لكنني شخصيا أمقت كون أغلبيتهم من الألمان.

ما زلت في حاجة إلى أفكار لكتاب جديد، وقد بدأ ذلك يثقل كاهلي. هل لديك أي اقتراحات؟

وبما أنني في ما أعتبره شمال البلاد، سأقوم بالاتصال بصوفي في اسكتلندا هذا المساء. هل لديك أي رسائل تود إيصالها إلى أختك، زوجها أو ابنها؟

هذه أطول رسالة كتبتها في حياتي، ولست مضطرا لأن ترد بالمثل.

مع حبي،

جولييت

* * *

من سوزان سكوت إلى سيدني *25* يناير *1946*

عزيزي سيدني،

لا تصدق ما تقرؤه في الصحف اليومية. لم يتم اعتقال جولييت أو تقييدها بالأصفاد، بل وبخها أحد رجال شرطة برادفورد وحسب، محاولا أن يبدو جادا في ذلك.

لقد رمت إبريق الشاي على رأس غيلي غيلبرت فعلا، لكنها لم تحرق جلده، على عكس ما يدعي، فقد كان الشاي باردا ولم يصبه الإبريق تماما بل حف رأسه فقط. بل إن مدير الفندق لم يقبل أن نعوضه عن سعر الإبريق لأنه لم ينكسر، بل انبعج قليلا. لكن صراخ غيلي اضطره أن يتصل برجال الشرطة.

دعني أخبرك بالتفاصيل، وأعترف بأنني المسؤولة عن كل ما حدث. كان يجب علي أن أرفض طلب غيلي لمقابلة جولييت. فقد كنت أعرف أي نوع من البشر هو غيلي، من ذلك الصنف المتملق الذي يعمل في «جريدة شرطة لندن[11] - The London Hue and Cry» ، كما كنت أعلم بما يكنه غيلي وصحيفته من الغيرة الشديدة من نجاح مقالات إيزي بيكرستاف في مجلة سبكتيتر Spectator ومن جولييت ككاتبة لتلك المقالات.

كنا قد عدنا للتو من حفلة برادي بوكسميث في الفندق، احتفالا بجولييت. كنا متعبين جدا ومزهوين بأنفسنا، عندما قفز غيلي من مقعده في الصالة ودعانا لتناول الشاي معه، ورجانا أن نسمح له بمقابلة صغيرة مع «الآنسة آشتون العظيمة، أو بالأصح

(11) The London Hue and Cry، صحيفة شرطة لندن، نشرة نصف شهرية كانت تصدرها كلية الشرطة في لندن. كانت في الأصل صحيفة أسبوعية تصدرها وزارة الداخلية ودائرة شرطة العاصمة بغرض نشر البلاغات عن المجرمين المطلوبين.

كاتبة إنجلترا المرموقة إيزي بيكرستاف». كان يجب علي أن أحتاط بمجرد رؤيته في هذه الحالة، لكنني اخترت أن أقضي بعض الوقت لاحتساء الشاي بالحليب معه، متفاخرة بنجاح جولييت.

كانت بداية الحوار جيدة وهادئة حتى إنني جلت بعيدا بتفكيري حتى أعادني سؤال غيلي «لقد كنت أرملة حرب، أليس كذلك؟ أو على الأقل كنت تقريبا أرملة حرب. ألم تكوني على وشك الزواج من الملازم روب دارتري وشرعت في التحضير لحفل الزفاف؟».

وهنا استوقفته جولييت بأسلوبها المهذب الذي تعرفه، قائلة: «عفوا سيد غيلبرت، ماذا تقصد؟».

استرسل غيلي مرددا: «ألست على حق؟ ألم تطلبي أنت والملازم دارتري تصريحا للزواج؟ حجزتما موعدا للزواج مع مكتب تسجيل تشيلسي في الساعة الحادية عشرة صباحا في الثالث عشر من ديسمبر 1942، كما كان لديكما حجز على الغداء في فندق ريتز، لكنك لم تلتزمي بأي من تلك المواعيد، بل هجرت الملازم دارتري المسكين وتركته ينتظرك وحيدا وذليلا ساعة الزفاف، فعاد بقلبه المكسور إلى السفينة التي أقلته إلى بورما، حيث لقي حتفه بعد ثلاثة أشهر».

اعتدلت في جلستي فاغرة فمي من الدهشة، أراقب جولييت وهي تجيب بكل لباقة: «لم أهجره أو أتركه في انتظاري ساعة الزفاف، بل كان ذلك في اليوم السابق لموعد الزواج. ولم يكن ذليلا، بل ارتاح باله. أخبرته بأنني لم أعد أرغب بالزواج، صدقني يا سيد غيلي أنه رحل من هنا سعيدا لتخلصه مني. ولم يعد إلى سفينته وحيدا ومنكسرا، بل اتجه على الفور إلى نادي سي سي بي ورقص مع بيلندا توايننغ طوال الليل».

على الرغم من اندهاش غيلي مما سمعه، لكن ذلك لم يوقفه عند حده. الفئران أمثال غيلي لا يمكن إيقافهم عند حدهم، أليس كذلك؟ فسرعان ما وجد نفسه على أطراف قصة أكثر إثارة ليكتب عنها في صحيفته.

وبابتسامة مقيتة ردد: «آه. آه. ماذا حدث إذا؟ هل كان مدمنا على الشراب؟ أو على النساء؟ أم هل كان مثل أوسكار وايلد؟».

هذا ما دفع جولييت لقذف إبريق الشاي على رأسه. ولك أن تتخيل ما نتج عن ذلك من ضجة، وبسبب امتلاء الصالة بزوار آخرين وصل الخبر إلى الصحف.

لم يكن العنوان الرئيس الذي اختاره للمقالة سيئا، رغم كونه قاسيا بعض الشيء: «إيزي بيكرستاف تذهب للحرب مرة أخرى، إصابة صحافي في عراك في الفندق». لكن العنوان الآخر «روميو، عاشق جولييت الفاشل، قتل بشرف في معركة في بورما» كان مقززا حتى من أمثال غيلي غيلبرت وصحيفة شرطة لندن.

تخشى جولييت من أنها سببت نوعا من الإحراج لشركة ستيفنز وستارك، لكنها في غاية الغضب لما تعرض له اسم روب دارتري من إهانة. وكل ما استطعت أن أفهمه منها هو أن روب دارتري كان رجلا طيبا، في غاية الطيبة ولا يستحق كل هذا، بل لم يكن له أي ذنب فيه.

هل كنت تعرف روب دارتري؟ لا شك لدي أن موضوع الإدمان على الكحول أو الميول الشاذة لا يمت للواقع بصلة، لكنني أتساءل عما دفع جولييت لإلغاء الزواج. هل لديك أي علم بذلك؟ هلا أخبرتني إن كنت تعلم؟ بالطبع لن تخبرني. لا أدري ما الذي دفعني لطرح مثل هذا السؤال.

لا بد للإشاعات أن تخبو في النهاية، لكنني أتمنى لو لم تكن جولييت في لندن في خضم هذه الزوبعة. هل نمدد فترة جولتنا لتشمل اسكتلندا؟ لا أستطيع اتخاذ قرار جازم هنا. المبيعات رائعة هنا، لكن جولييت عملت جاهدة جدا لنجاح هذه الموائد الأدبية وحفلات الشاي، لا بد أن القيام بمديح نفسك والترويج لكتابك أمام مجموعة من الغرباء ليس أمرا سهلا. لم تعتد جولييت على هذه اللهجة كما اعتدتها أنا، ولا بد أنها متعبة جدا.

أرجو منك أن تجيبني على موضوع التمديد في اسكتلندا عند وصولنا إلى ليدز غدا.

أمقت غيلي غيلبرت وأجده بغيضا جدا، لكنني أتساءل إن كان لي أن أقدم له كتاب شكر رغم ذلك، فقد أدى مقاله إلى وضع «إيزي بيكرستاف تذهب للحرب» على لائحة أكثر الكتب مبيعا.

مع تحياتي المتعجلة،

سوزان

ملحوظة: هل عرفت من يكون ماركام ف رينولدز؟ أرسل لجولييت اليوم باقة كبيرة من زهور الكاميليا.

* * *

برقية من جولييت إلى سيدني

آسفة جدا لما تسببت به من إحراج لك ولستيفنز وستارك.

مع حبي، جولييت

* * *

من سيدني إلى جولييت

26 يناير 1946

الآنسة جولييت آشتون

فندق كوينز

ساحة المدينة

ليدز

عزيزتي جولييت،

لا تقلقي بشأن غيلي، فأنت لم تسببي لستيفنز وستارك أي إحراج، بل يؤسفني أن الشاي لم يكن ساخنا وأنك لم تصيبي غيلي في موضع أخطر من رأسه. تطاردني الصحف للإدلاء بتعليق على إهانة غيلي الأخيرة وسوف أمنحهم ما يريدون. لا تقلقي، سأتطرق في تعليقي إلى موضوع الصحافة وانحطاط مستواها في زمننا هذا، ولن أتطرق لك أو لروب دارتري.

ناقشت مع سوزان فكرة ذهابك إلى اسكتلندا وقررت عدم المضي في ذلك، رغم علمي بأن صوفي لن تغفر لي ذلك. مبيعات إيزي آخذة في الصعود وأعتقد أن عودتك للوطن ضرورية.

ترغب صحيفة التايمز أن تكتبي لهم مقالة من ثلاثة أجزاء لنشرها في ملحق الصحيفة تباعا. وسأدع لهم أمر مفاجأتك بالموضوع الذي يرغبون به، لكنني أعدك بثلاثة أمور: أولا، يريدون أن تكون الكاتبة جولييت آشتون وليس إيزي بيكرستاف، ثانيا، أن يكون الموضوع جديا، وثالثا، ستمكنك الأتعاب التي سيدفعونها لك من أن تملئي شقتك بورود نضرة كل يوم، وأن تشتري لحافا من الحرير (صرح اللورد

وولتون[12] بأن الوضع الاقتصادي يسمح الآن بشراء لحاف جديد رغم عدم تعرضك للقصف)، وأن تشتري حذاء من الجلد الطبيعي؛ إن استطعت العثور عليه. ولك أن تستخدمي كوبوناتي.

لدينا وقت كاف للتفكير في كتابك الجديد لأن صحيفة التايمز لا تنتظر منك تسليم المقال إلا في أواخر موسم الربيع. وكل هذه أسباب قوية لحثك على الرجوع مسرعة، لكن شوقي إليك من أهم تلك الأسباب.

بالنسبة لماركام ف رينولدز الابن، أعرف من يكون، ولن يسعفك في ذلك كتاب دومزداي. هو أمريكي الجنسية والوريث الشرعي لماركام ف رينولدز الأب الذي كان المسيطر الأول على جميع مصانع الورق الأمريكية سابقا، والذي يمتلك معظمها حاليا. أما رينولدز الابن، فحسه الفني يمنعه من تلويث يديه بصنع الورق ويطبع عليه عوضا عن ذلك. هو ناشر صحيفة نيويورك جورنال New York Journal، وصحيفة وورد Word، وصحيفة ڤيو View، بالإضافة إلى عدد آخر من المجلات الأقل شهرة. أعلم أنه في لندن حاليا للقيام بافتتاح فرع لندن لصحيفة ڤيو. لكن الشائعات تقول إنه قرر البدء بنشر الكتب، وإنه يرسم صورا جذابة للخير والنعمة في أمريكا بهدف استدراج أشهر كتاب إنجلترا إليها. ولم أعلم أن الورود وزهور الكاميليا من أساليبه المعتمدة، مع أن ذلك لا يدهشني. فقد عرف عنه تميزه بتلك الخصلة التي نسميها وقاحة، ويسميها الأمريكيون روح التحدي. ستفهمين قصدي عندما تقابلينه. فقد

(12) Lord Woolton كان وزير التغذية البريطاني إبان الحرب العالمية الثانية الذي استخدم نظام النقاط لتقنين مصروف الطعام عندما قلت مصادره.

تمكـن مـن النفـاذ إلى قلـب نسـاء أقـوى منـك، بمـن في ذلـك قلـب مسـاعدتي التـي أعطتـه جـدول رحلاتـك وعنـوان منزلـك. آسـف عـلى ذلـك، فقـد وجدتـه تلـك المـرأة السـخيفة جذابـا «ببدلتـه الجميلـة وحذائـه المصنـوع يدويـا» ولم تفهـم مـا أقصـده عندمـا أخبرتهـا بأنهـا خرقـت سريتـك الشـخصية، فقمـت بفصلهـا مـن عملهـا.

لا بـد أنـه يريـد اسـتدراجك أنـت أيضـا يـا جولييـت. هـل يتوجـب عـلي أن أبـارزه لأنافسـه عليـك؟ حتـما سـيقتلني، لـذا أفضـل ألا أبـارزه. لا أقـدر أن أعـدك بالغَنَـاء والـثراء، أو حتـى بالزبـدة. لكنـك تعلمـين يـا كاتبتـي العزيـزة، أنـك كاتبـة سـتيفنز وسـتارك المفضلـة، وبخاصـة سـتارك، أليـس كذلـك؟

هل لنا أن نتقابل للعشاء عندما تعودين للوطن؟

مع حبي،

سيدني

* * *

من جولييت إلى سيدني

28 يناير 1946

عزيزي سيدني،

أجـل. سيسـعدني تنـاول العشـاء معـك. سـأرتدي فسـتاني الجديـد وآكل بشراهــة.

أنـا سـعيدة أننـي لم أتسـبب بالإحـراج لسـتيفنز وسـتارك بسـبب حادثـة إبريـق الشـاي، فقـد كان ذلـك يقلقنـي. اقترحـت عـلي سـوزان

أن أدلي «بتصريح صحافي مبجل» عن روب دارتري أشرح فيه أسباب إنهاء علاقتنا. يستحيل علي فعل ذلك، ولا يثنيني عن ذلك ظهوري بمظهر الحمقاء، بل أن يكون ما أقوله سببا لظهوره هو بمظهر الأحمق. أفضل الصمت، وإن كان ذلك يجعلني أبدو مذبذبة في قراراتي وباردة في عواطفي.

لكن دعني أخبرك أنت عن السبب. كنت سأخبرك بذلك سابقا، لكنك كنت قد رحلت مع القوات البحرية عام 1942 ولم تتعرف على روب. بل ولم تتعرف عليه صوفي أيضا، فقد كانت في بيدفورد ذلك الخريف، ثم حلّفتها ألا تبوح بالسر. ومع مرور الوقت، أصبح ما كنت أريد إخبارك به غير ذي أهمية، وبخاصة لما كان من ذلك أن يجعلني أبدو حمقاء لقيامي بعقد خطوبتي أساسا.

ظننت أنني وقعت في الحب (وكان مفهومي عن الحب هو ما يستدعي الشفقة). استعدادا لمشاركة سكني مع زوجي، أخليت له بعض المكان في سكني آنذاك كي لا يشعر وكأنه مجرد زائر. أخليت نصف أدراج خزانة ملابسي الداخلية ونصف خزانة ملابسي ونصف صندوق أدويتي ونصف مكتبتي. تخليت عن علاقات ثيابي المبطنة واستبدلتها بتلك الخشبية الثقيلة. انتزعت دميتي من فراشي ووضعتها في العلية. أصبحت شقتي سكنا لاثنين، بعد أن كانت سكنا لشخص واحد.

في آخر يوم لنا قبل الزواج، كان روب ينقل ما تبقى من ثيابه وحاجياته بينما ذهبت لأسلم آخر مقالات إيزي لصحيفة سبكتيتر. وعند عودتي مسرعة إلى المنزل، تسلقت السلم مندفعة إلى الأعلى لأجد روب جالسا على مقعد صغير أمام خزانة كتبي، محاطا

بمجموعة صناديق كان يحكم إغلاق آخرها بشريط لاصق وحبال. كان هناك ثمانية صناديق من كتبي مربوطة استعدادا لتخزينها في السرداب.

رمقني ببصره قائلا: «مرحبا عزيزتي. اعذريني على هذه الفوضى. وعدني البواب بمساعدتي لتخزين هذه الصناديق في السرداب». ثم أومأ ناحية الخزانة مرددا: «ألا تبدو جميلة الآن؟».

استعصى علي الرد، ولم أستطع أن أتفوه بكلمة واحدة حيث رأيت خزانتي -التي احتفظت فيها بكتبي- مليئة بجوائزه الرياضية: كؤوس فضية وكؤوس ذهبية وشارات زرقاء وشرائط حمراء. كانت هناك جوائز لكل رياضة تستخدم الأدوات الخشبية: مضارب الكريكيت ومضارب الاسكواش ومضارب التنس، والمجاديف وهراوات الغولف ومضارب تنس الطاولة والأقواس والسهام وعصي اللاكروس (الصولجان) وعصي الهوكي ومطارق البولو. كانت هناك تماثيل لكل ما يمكن للإنسان أن يقفز فوقه، سواء بواسطة قدميه أو ممتطيا صهوة حصان. ثم كانت هناك الشهادات في براويزها لصيد أكبر عدد من الطيور في تلك المناسبة أو غيرها، أو للمركز الأول في السباق، أو للفائز في سباق شد الحبل ضد اسكتلندا.

لم يسعني إلا الصراخ بأعلى صوتي: «كيف تجرؤ؟ ماذا فعلت؟ قم بإعادة كتبي الآن».

وهكذا بدأ الخلاف حتى وصل الأمر إلى قولي بأنه يستحيل علي أن أتزوج رجلا يجد قمة سعادته في ضرب الكرات الصغيرة وصيد الطيور. وجاء رد روب الذي ذكر فيه النساء المثقفات المتسلطات. وهكذا بدأ النقاش بالانحدار ولم نتشارك إلا في فكرة واحدة هي تساؤلنا عما تناقشنا فيه طوال السنوات الأربع السابقة. نخر

وشخر ثم رحل. أما أنا فقد فتحت الصناديق وأعدت الكتب لأماكنها.

هل تذكر ما حدث في تلك الليلة في العام الماضي عندما لقيتني لحظة وصول قطاري لتخبرني بأن منزلي قد سوي بالأرض نتيجة القصف؟ ظننت وقتها أنني كنت أضحك من جراء نوبة هستيريا. لكنني ضحكت من سخرية الظروف، فلو كنت قد سمحت لروب بتخزين كتبي في السرداب لكانت لا تزال في حوزتي الآن.

سيدني، كرمز لصداقتنا طويلة الأمد، لست ملزما بالتعليق على هذه القصة إطلاقا. بل أفضّل ألا تتطرق إليها أبدا بعد الآن.

إنني ممتنة لك لتحرّيكَ عن ماركام ف رينولدز الابن. لا تزال تعليقاته بريئة وما زلت أحتفظ بولائي لك وللإمبراطورية. لكنني أرأف لحال سكرتيرتك وآمل أن يكون قد أرسل لها بعض الورود شاكرا مساعدتها له. لا أعتقد أنني أستطيع تحمل منظر الأحذية المصنوعة يدويا. وإن كان لي أن أقابله، فسأحرص على تجنب النظر إلى قدميه، أو سأحبس نفسي خلف عمود ما وأختلس النظر، كما فعل أوديسيوس[13].

أشكر لك حثي على العودة إلى المنزل. أتطلع لدراسة مقترح التايمز لنشر سلسلة مقالات. هل تعدني أنها لن تكون ذات مواضيع سخيفة؟ لن يطلبوا مني الكتابة عن دوقة وندسور، أليس كذلك؟

مع حبي،
جولييت

* * *

(13) في أوديسة هوميروس، هو ملك إيثاكا الذي ترك بلده كي يكون من قادة حرب طروادة. كما أنه صاحب فكرة حصان طروادة.

من جولييت إلى صوفي ستريكن *31* يناير *1946*

عزيزتي صوفي،

شكرا لزيارتك الخاطفة لليدز، لا أملك من الكلام ما يكفي لأعلمك عن مدى حاجتي لرؤية وجه مألوف حينذاك. كنت على وشك الهروب إلى جزر شتلاندز[14] لأعيش حياة النساك. كان جميلا منك أن تزوريني.

كان وصف اعتقالي وأصفادي في جريدة شرطة لندن مبالغا فيه، فلم يتم اعتقالي حقا. أعلم رغبة دومينيك في أن تكون له أم روحية (عرابة) في السجن، لكن عليه أن يقنع بما هو أقل إثارة في الوقت الحالي.

أخبرت سيدني بأن كل ما يسعني فعله تجاه تلفيقات غيلي الكاذبة هو أن أحتفظ بصمت مبجل. فأجابني بأن لي الحق في أن أختار هذا، لكن شركة ستيفنز وستارك سيكون لها رد آخر.

دعا سيدني إلى مؤتمر صحافي ليبرئ سمعة إيزي بيكرستاف، جولييت آشتون، بل ليبرئ سمعة الصحافة ذاتها في مواجهة أمثال غيلي غيلبرت. هل قرأت عن هذا في صحف اسكتلندا؟ إليك بعض التفاصيل إن لم تكوني قرأتها. لقد وصف غيلي غيلبرت بالمخادع المراوغ (لم يستخدم هذه الألفاظ ذاتها، لكن هذا هو فحوى حديثه) الذي كذب لأن كسله منعه من التحرّي عن الحقائق، وغباؤه منعه من فهم درجة الفساد التي ستلحق الصحافة من جراء ذلك. كان ما كتبه شيئا جميلا.

(14) أرخبيل شبه قطبي يقع شمال شرق جزيرة بريطانيا العظمى ويشكل جزءا من اسكتلندا.

صـوفي، هـل كان لأي فتاتـين، (هـما امرأتـان حاليـا)، بطـل يدافـع عنهـما كـما يدافـع عنـا أخـوك؟ لا أظـن ذلـك. فقـد ألقـى خطابـا عظيـما، رغـم أننـي أشـعر بـأن بعـض الوسـاوس تخامـرني. فغيـلي غيلـبرت محتـال عظيـم ولا أعتقـد أنـه سـيترك الأمـر دون ردة فعـل. أمـا سـوزان فتعتقـد أن غيـلي جبـان صغـير لـن يفكـر حتـى بـردة الفعـل. أرجـو أن تكـون عـلى حـق.

حبي لكم جميعا،

جولييت

ملحوظـة: أرسـل لي ذلـك الرجـل باقـة أوركيـد جديـدة. أكاد أصـاب بتشـنج عصبـي في انتظـار أن يكشـف عـن حقيقتـه. هـل تعتقديـن أن هـذه هـي اسـتراتيجيته؟

* * *

من دوزي إلى جولييت

31 يناير 1946

عزيزتي السيدة آشتون،

تسلمت كتابك يوم أمس! يا للطفك. أشكرك من أعماق قلبي.

أعمـل في إفـراغ حمولـة السـفن في مرفـأ سـان بيـتر بورت، وأسـتمتع بقـراءة الكتـب في وقـت اسـتراحة الغـداء. كـم هـو أمـر رائـع احتسـاء الشـاي الحقيقـي مـع الخبـز والزبـدة، وكتابـك يزيـد ذلـك روعـة. وحيـث إن غـلاف الكتـاب خفيـف، يمكننـي وضعـه في جيبـي أينـما

ذهبت، رغم حرصي على عدم قراءته بهذه السرعة. كما يسعدني امتلاكي لصورة تشارلز لام فلديه رأس جميل، أليس كذلك؟

يسرني أن أراسلك وسأجيب على أسئلتك بقدر استطاعتي، رغم أنني لست خبيرا في سرد القصص. دعيني أخبرك عن عشاء الخنزير المشوي.

أملك كوخا ومزرعة ورثتهما من والدي. وقد قمت بتربية الخنازير قبل اندلاع الحرب بالإضافة إلى زراعة الخضراوات لبيعها في أسواق سان بيتر بورت، والورود لبيعها في كوفنت غاردن. كما عملت نجارا ومصلحا للأسقف التالفة.

أما الآن، فقد اختفت الخنازير. استولى عليها الألمان لإطعام جنودهم في أنحاء أوروبا، وأمروني بأن أزرع البطاطا. كان يتحتم علينا زراعة ما يأمروننا به وحسب. في البداية، وقبل أن أفهم الألمان كما فعلت لاحقا، اعتقدت أن بوسعي الاحتفاظ بعدد صغير من الخنازير لحاجتي الشخصية، دون علمهم. لكن الضابط الزراعي استطاع استدراجها وسحبها بعيدا. كان ذلك خسارة لي لكنني اعتقدت أن وفرة البطاطا واللفت، والقليل من الطحين، سيمكنني من تدبر أمري. لكن الإنسان لا يقنع بأي طعام، وبعد مرور ستة أشهر من اللفت والقليل من الغضاريف بين حين وآخر تاقت نفسي لوجبة متكاملة ولم أستطع التفكير بغير ذلك.

بعد ظهر أحد الأيام، بعثت جارتي السيدة موغري برسالة صغيرة، تقول فيها تعال حالا، وأحضر معك سكينا لقطع اللحم. انطلقت للعزبة مسرعا، رغم محاولتي السيطرة على آمالي العالية. وبالفعل كان هناك خنزير استطاعت إخفاءه، ودعتني لمشاركتها الوليمة مع أصدقائها.

لم أكن محاورا جيدا في صغري، بل كنت أتلعثم بشكل ملحوظ ولم أعتد على حضور حفلات العشاء. كان حفل عشاء السيدة موغري أول حفل أدعى إليه. وقد قبلت الدعوة بسبب وجود الخنزير المشوي، رغم أنني تمنيت لو كان باستطاعتي أخذ حصتي لمنزلي.

من حسن حظي أن أمنيتي لم تتحقق. فقد كان ذلك أول لقاء لجمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا، دون علمنا بذلك حينها. كان العشاء هدية نادرة، لكن الصحبة هي ما ميزت ذلك اليوم. ومن شدة استمتاعنا بالحديث والطعام، سهونا عن الوقت ولم نلاحظ موعد حظر التجول حتى سمعت أميليا (السيدة موغري) أجراس الساعة التاسعة، وكانت قد مضت ساعة كاملة على حظر التجول. وقد منحنا الطعام الجيد جرأة غير اعتيادية فوافقنا إليزابيث ماكينا عندما اقترحت علينا أن نتوجه لمنازلنا بدل أن نختبئ في منزل أميليا. لكن كسر حظر التجول كان جريمة سجن من جرائها بعض الأشخاص كما سمعنا، وحيازة خنزير كانت جريمة أكبر، فسرنا نحو منازلنا بهدوء عبر الحقول.

أو على الأقل حاولنا المحافظة على هدوئنا، لكن جون بوكر كان قد أكثر من الشراب، وبمجرد وصولنا إلى الطريق نسي نفسه وبدأ يغني. ورغم أنني أمسكت به لإسكاته، لكن ذلك كان متأخرا؛ فقد خرج ستة من ضباط الدورية الألمان من بين الأشجار موجهين مسدساتهم نحونا وهم يصرخون مستفسرين عما كنا نفعله خارجا أثناء حظر التجول، وأين كنا، وإلى أين نحن ذاهبون؟

لم أستطع التصرف، فإن جريت فسيطلقون علي النار. وقد جف حلقي وأرتج علي، فلم يسعني إلا أن أمسك بوكر منتظرا حدوث معجزة ما. وإذا بإليزابيث تتقدم نحو الجنود. ولقصر

قامتها، كانت المسدسات في مستوى عينيها، لكنها لم تتردد ولم يرف لها جفن، بل تصرفت وكأن المسدسات غير موجودة فاتجهت نحو الجندي المسؤول وبدأت تتحدث. ويا لها من أكاذيب انطلقت من فمها. بدأت بالاعتذار لخرق الحظر موضحة أننا خرجنا للتو من اجتماع جمعية غيرنزي الأدبية واستمتعنا بالنقاش حول كتاب إليزابيث وحديقتها الألمانية لدرجة أننا لم ننتبه لمرور الوقت، ثم أخذت في مدح الكتاب وسألت الضابط إن كان قد قرأه.

ولم يكن لأي منا من سرعة البديهة ما يمكننا من مساندتها في قصتها، لكن الضابط لم يستطع إلا أن يبتسم لها. هكذا هي شخصية إليزابيث. قام الضابط بتسجيل أسمائنا وطلب منا بكل أدب أن نقدم تقريرنا للقائد في صباح اليوم التالي. ثم حيانا وتمنى لنا أمسية سعيدة. شكرته إليزابيث بينما ابتعد بقيتنا مسرعين حتى إنني وصلت إلى المنزل في زمن قياسي، رغم ما سببته لي مساندة بوكر من عرقلة.

هذه هي قصة عشاء الخنزير المشوي.

دعيني أطرح عليك سؤالي الآن. بدأت السفن بالوصول إلى مرفأ سان بيتر بورت لتوفر لغيرنزي تلك الحاجيات التي حرمنا منها أثناء الحرب: الطعام والملبس والبذور والجرافات وعلف الحيوانات والمعدات والأدوية، والأهم من هذا كله، وبما أننا استطعنا الحصول على الطعام أخيرا، الأحذية. أجزم بأن الجزيرة قد خلت من أي حذاء سليم بعد الحرب.

كانت بعض تلك الحاجيات تصل إلينا ملفوفة بأوراق الصحف والمجلات، فنقوم أنا وصديقي كلوفس بفردها وقراءتها، قبل أن نمررها للجيران الذين يتوقون مثلنا لقراءة أي خبر من العالم الخارجي عن السنوات الخمس السابقة. ولا يقتصر الأمر على

قـراءة الأخبـار والصـور، بـل تنتظـر السـيدة سـوسي قـراءة وصفـات الأكل، وتريـد مـدام لوبـل صفحـات الأزيـاء (فهـي خياطـة)، ويقـرأ سيد بـروارد صفحـة الوفيـات (منتظـرا خـبر وفـاة شـخص مـا)، وتبحث كلوديـا رينـي عـن صـور رونالـد كولمـان، ويريـد سـيد تورتـل أن يمتـع ناظريـه بملـكات جـمال العـالم بملابـس السـباحة، وتحـب صديقتـي إيسـولا قـراءة أخبـار الـزواج.

كنـا نجهـل الكثـير مـن الأمـور أثنـاء الحـرب، لأن الرسـائل والصحـف كانـت ممنوعـة، سـواء تلـك التـي كانـت تأتينـا مـن انجلـترا أو مـن أي مـكان آخـر. وقـد صـادر الألمـان جميـع أجهـزة الراديـو عـام 1942، ورغـم وجـود بعـض منهـا مـما تـم إخفـاؤه والاسـتماع إليـه خلسـة، لكـن حيازتهـا كانـت جريمـة يعاقـب عليهـا بالحبـس في المعسـكرات. ولهـذا السـبب تجدينـا لا نفقـه الكثـير مـما نقـرؤه الآن.

إننـي أسـتمتع بكاريكاتـور الحـروب لكـن هنـاك كاريكاتـورا معينـا يحـيرني. في عـدد مـن مجلـة بنش Punch لعـام 1944 هنـاك رسـم لنحـو عـشرة أشـخاص يسـيرون في أحـد شـوارع لنـدن، يميزهـم اثنـان يرتديـان قبعتـين سـوداوين، وفي أيديهـما حقيبتـان ومظلتـان، ويقـول أحدهـما للآخـر: «أليـس مـن السـخف أن يكـون لسـيارات السـباق الصغيرة Doodlebugs ذلـك التأثـير عـلى الشـعب؟». اسـتغرق تفكـيري بعـض الوقـت لأسـتوعب إن لـدى كل رجـل في الكاريكاتـور أذن طبيعيـة الحجـم وأخـرى عملاقـة. هـل يمكـن أن تفـسري ذلـك لي؟

المخلص لك،

دوزي آدامز

* * *

من جولييت إلى دوزي

3 فبراير *1946*

عزيزي آدامز،

كـم أنـا سـعيدة لاسـتمتاعك برسـائل لام وصورتـه. إن منظـره يلائـم مـا تخيلتـه فعـلا، ويسـعدني أنـك توافقنـي الـرأي في ذلـك.

أشـكرك عـلى سرد قصـة الخنزيـر المشـوي، لكننـي لاحظـت تعمـدك الإجابـة عـلى سـؤال واحـد فقـط مـن أسـئلتي. فأنـا الآن أتـوق لمعرفـة المزيـد عـن جمعيـة غيرنـزي لـلأدب وفطـيرة قـشر البطاطـا، ليـس لإرضـاء فضـولي الشـخصي وحسـب، بـل لأن عمـلي الحـالي يحتـم عـلي التطفـل.

هـل أخبرتـك أننـي كاتبـة؟ كنـت أكتـب مقـالا أسـبوعيا لمجلـة سـبكتيتر أثنـاء الحـرب، قـام سـتيفنز وسـتارك بتجميـع المقـالات في مجلـد واحـد ونشرهـا باسـم إيـزي بيكرسـتاف تذهـب للحـرب. وكان اسـم إيـزي اسـما مسـتعارا اختارتـه لي مجلـه سـبكتيتر، لكننـي قـد ودعـت ذلـك الآن وعـدت للكتابـة باسـمي. أرغـب بالكتابـة ثانيـة لكننـي أواجـه صعوبـة في اختيـار موضـوع يسـتهويني ويبقينـي أسـيرة لـه لعـدد مـن السـنوات.

أمـا الآن، فقـد طلبـت إلي صحيفـة التايمـز كتابـة مقـال لملحقهـا الأدبي سـيتم نـشر ثلاثـة مقـالات بقلـم ثلاثـة كتـاب يتطرقـون فيهـا للقيمـة العمليـة والأخلاقيـة والفلسـفية للقـراءة، وسـيكون مقـالي عـن الجانـب الفلسـفي للقـراءة. لكـن كل مـا يسـعني التفكـير بـه الآن هـو أن القـراءة تبعـد عنـك الخـرف. هـل أدركـت الآن مـدى حاجتـي الملحـة للمسـاعدة؟

هـل تعتقـد أن جمعيتـك الأدبيـة سـتمانع في أن تكـون جـزءا مـن هـذا المقـال؟ أعلـم جيـدا أن قصـة تكويـن الجمعيـة سـتذهل قـراء التايمـز، لذلـك أريـدك أن تخـبرني بالمزيـد عـن لقاءاتكـم. لا تبـالِ بذلـك إن كنـت تجـد في طلبـي أي إزعـاج، سـأتفهم وضعـك وسـأرغب بالاسـتمرار بمراسـلتك بغـض النظـر عـن ذلـك.

أذكـر جيـدا كاريكاتـور بانـش الـذي وصفتـه، وأعتقـد أن مـا صعـب عليـك فهمـه هـي كلمـة Doodlebug. ذلـك هـو الاسم الـذي ابتكرتـه وزارة الإعـلام لصواريـخ هتلـر عوضـا عـن تسـميتها «صواريـخ ڤي 1» أو «القذائف ذاتيـة القيـادة» وذلك للتخفيـف مـن هولهـا.

كنـا قـد اعتدنـا عـلى القصـف الليـلي ومـا يعقبـه مـن مشـاهد، لكـن هـذه القنابـل لم تشـبه مـا سـبقها.

كانـت تنهـال علينـا في وضـح النهـار بسرعـة تجعـل مـن الصعـب تشـغيل صفـارات الإنـذار كي نتوجـه للملجـأ. كان يمكنـك رؤيتهـا، فهـي تشـبه أقـلام رصـاص سـوداء رفيعـة مائلـة، وتصـدر أصواتـا متشـنجة حـادة، كصـوت سـيارة فـرغ منهـا الوقـود. وطالمـا تسـتطيع سـماع صوتهـا فإنـك في أمـان تـردد لنفسـك: «حمـدا للـه، هـا هـي تبتعـد عنـي».

عندمـا ينقطـع الصـوت تـدرك أنهـا سـتنفجر في غضـون ثلاثـين ثانيـة. لذلـك تجـد نفسـك تصغـي السـمع لهـا، منتظـرا لحظـة انقطـاع الصـوت. شـاهدت سـقوط الصواريـخ ذات يـوم، وكنـت بعيـدة عنهـا بعـض الـشيء، فرميـت بجسـدي عـلى الأرض وطوقـت الرصيـف. أمـا النسـاء في المكاتـب الواقعـة في الطابـق العلـوي مـن أحـد المبـاني، فقـد توجهـن نحـو النوافـذ المفتوحـة لرؤيـة مـا يحـدث، وابتلعتهـن قـوة الانفجـار.

يبدو من المستحيل الآن أن هناك من رسم كاريكاتورا عن تلك الصواريخ، وأنها جعلتني وغيري نضحك عليها. لكننا قد ضحكنا بالفعل. لا بد أن المقولة القديمة: إن الفكاهة علاج لكل علة، صحيحة.

هل تمكن سيد هيستنغز من إيجاد السيرة الذاتية التي كتبها لوكاس؟

المخلصة،

جوليت آشتون

* * *

من جولييت إلى ماركام رينولدز

4 فبراير 1946

63 شارع هالكن

لندن س.و.1

عزيزي رينولدز،

استطعت إيقاف الصبي الذي بعثته ليضع رزمة من زهور القرنفل الوردي عند باب منزلي. أمسكت به وهددته حتى اضطر لتزويدي بعنوانك. هل أدركت الآن أنك لست وحيدا في قدرتك على التغرير بموظفين أبرياء؟ أرجو ألا تنهي خدمته، إذ يبدو صبيا طيبا ولم يكن لديه أي خيار لأني هددته بقراءة كتاب البحث عن الزمن المفقود[15] Remembrance of Things Past.

(15) رواية طويلة من سبعة أجزاء للفرنسي مارسيل بروست (1871-1922).

أستطيع أخيرا أن أشكرك على كل تلك الزهور التي أهديتنيها، فقد مرت عدة سنوات لم أر فيها الورود أو الكاميليا أو الأوركيد، ولك أن تقدر كيف كان لرؤيتها في هذا الشتاء القارس من أثر في نفسي. لا أعلم ما الذي يجعلني أستحق العيش بين هذه الزهور، بينما يقنع من حولي بالعيش في وحل وأشجار فقدت أوراقها، لكن هذا يسعدني جدا.

المخلصة،

جولييت آشتون

* * *

من ماركام رينولدز إلى جولييت

5 فبراير 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

لم أنه خدمة صبي التوصيل بل قمت بترقيته. قد تمكّن من إهدائي مَا لم أستطع الحصول عليه بنفسي: عرفني عليك. إنني أعتبر رسالتك بمثابة مصافحة رمزية، وقد انتهينا الآن من المقدمات. أرجو أن توافقيني الرأي لأن ذلك سيريحني من محاولة استجداء دعوة لعشاء السيدة باسكوم المقبل على أمل اللقاء بك. لديك أصدقاء حذرون جدا، وبالأخص ذلك الذي يدعى ستارك، فقد رفض أن يأتي بك لحفل الكوكتيل الذي أقمته في مكتب صحيفة ڤيو.

والله يعلم إنّ نيتي كانت صافية، أو على الأقل، لم أكن أنوي

اغتيالك. كل ما في الأمر أنك الكاتبة الوحيدة التي تجعلني أضحك. كانت مقالات إيزي بيكرستاف من أظرف وأذكى ما نشر أثناء الحرب وقد رغبت بلقاء كاتبتها.

إن أقسمت بأنني لن أختطفك، فهل تتناولين العشاء معي الأسبوع المقبل؟ اختاري اليوم الذي يناسبك، فأنا طوع بنانك.

تحياتي،

ماركام رينولدز

* * *

من جولييت إلى ماركام رينولدز

6 فبراير 1946

عزيزي رينولدز،

لست محصنة ضد المديح، وبالذات مديح كتاباتي. يسرني تناول العشاء معك. الخميس المقبل.

المخلصة،

جولييت آشتون

* * *

من ماركام رينولدز إلى جولييت

7 فبراير 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

يوم الخميس بعيد جدا. ما رأيك بيوم الإثنين؟ مطعم كلاريج في السابعة مساء؟

المخلص،

مارك

ملحوظة: هل لديك جهاز هاتف؟

* * *

من جولييت إلى ماركام

7 فبراير 1946

عزيزي رينولدز،

حسنا إذا. يوم الإثنين، كلاريج، الساعة السابعة مساء.

أملك جهاز هاتف، وهو حاليا تحت كومة ركام في شارع أوكلي حيث كنت أعيش. أما الآن، فإنني أقطن سكنا مستأجرا تملك صاحبته السيدة أوليف بيرنز الهاتف الوحيد في المبنى. إن أردت الاتصال بها، فإنني أستطيع أن أزودك برقم هاتفها.

المخلصة،

جولييت آشتون

* * *

من دوزي إلى جولييت

7 فبراير 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

لا شك لدي أن جمعية غيرنزي للأدب سيسرها أن تأتي على ذكرها في مقالك في جريدة التايمز. لقد طلبت من السيدة موغري أن تراسلك لتخبرك عن الجمعية، فهي امرأة مثقفة ستكون ألفاظها أكثر ملاءمة من ألفاظي لمثل هذا المقال. لا أعتقد أننا على شاكلة الجمعيات الأدبية في لندن.

لم يستطيع سيد هيستنغز الحصول على نسخة من السيرة الذاتية للوكاس حتى الآن، لكنه بعث لي ببطاقة بريدية فحواها ما يلي: «ما زلت أبحث جادا. لا تيئس». يا له من رجل طيب.

أقوم بنقل ألواح لتجديد سقف فندق كراون حيث يأمل أصحابه بعودة السيّاح هذا الصيف. ورغم سعادتي بهذا العمل، لكنني أتوق للعمل على أرضي عن قريب.

كم هو جميل أن أعود للمنزل مساء لأجد رسالة منك.

أتمنى لك حظا جيدا في الحصول على موضوع يهمك للكتابة عنه.

المخلص،

دوزي آدامز

* * *

من أميليا موغري إلى جولييت

8 فبراير 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

زارني للتو دوزي آدامز، ولم أره قط بمثل سعادته اليوم بهديتك ورسالتك. ومن شوقه لإقناعي بالتراسل معك فورا، نسي خجله. إن لدوزي قدرة عجيبة على الإقناع، ولا أعلم إن كان يدري عنها. فهو لا يطلب شيئا لنفسه أبدا، ولذلك تجدين الجميع على استعداد لتلبية ما يطلبه لغيره.

أخبرني عن فكرة مقالك مستفسرا مني إن كنت على استعداد لأن أراسلك بشأن الجمعية الأدبية التي أسسناها أثناء، وبسبب، الاحتلال الألماني. يسعدني ذلك إن كان لك أن تلبي لي طلبا.

أرسل لي صديق من لندن نسخة من كتاب إيزي بيكرستاف تذهب للحرب. لقد انقطعت عنا أخبار العالم لمدة خمس سنوات، فلك أن تتخيلي بهجتي لقراءة تفاصيل صمود إنجلترا خلال هذه السنوات. كان كتابك غنيا بالمعلومات بقدر ما هو مسلٍّ وطريف، لكن لا بد لي من الاعتراض على حسه الطريف.

أعلم غرابة اسم جمعيتنا، جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا، وهو ما قد يدعو للسخرية منها. هل تعدينني بأنك لن تسخري منها في كتاباتك؟ أعضاء الجمعية أشخاص يعزون علي، ولا أريد أن ينظر إليهم قرّاؤك كأنهم موضع سخرية.

هل من الممكن أن تخبريني عما تنوين الكتابة عنه في المقال وتخبريني قليلا عن نفسك؟ إن تمكنت من تقبل استفساري

هـذا والإجابـة عليـه فسيسـعدني أن أخـبرك بالمزيـد عـن الجمعيـة. أتـوق لـردك.

المخلصة،

أميليا موغري

* * *

من جولييت إلى أميليا

10 فبراير *1946*

السيدة أميليا موغري

عزبة وندكروس

لا بوفي

سان مارتنز، غيرنزي

عزيزتي السيدة موغري،

شكرا لرسالتك. يسعدني الرد على استفساراتك.

لقـد سـخرت مـن عـدة مواقـف أثنـاء الحـرب بالفعـل. فقـد شـعرت مجلـة سـبكتيتر أن تنـاول الأخبـار السـيئة بـشيء مـن الفكاهـة سيسـاعد في تقبـل تلـك الأخبـار، وسـيرفع الـروح المعنويـة في لنـدن. وأنـا سـعيدة بـأن إيـزي قـد أدت ذلـك الغـرض. لكـن الحاجـة للفكاهـة في خضـم المصائـب قـد انتهـت، بحمـد اللـه. ولـن أسـخر أبـدا مـن محبـي القـراءة. بـل إننـي أشـعر بالفخـر أن يقـع كتـابي بـين يـدي شـخص مثـل سـيد آدامـز.

ولأنـك أردت معرفـة شـخصي، فقـد طلبـت مـن الكاهـن سـايمون سـيمبلز، مـن كنيسـة هيلـدا بالقـرب مـن بـيري سـان إدمونـدز في

سافولك، أن يراسلك. فالكاهن يعرفني منذ طفولتي، ويكن لي كل المحبة. وطلبت أيضا من السيدة بيلا تونتون أن تبعث لك بتوصية عني أيضا. فقد كنا في فريق مراقبي الحرائق أثناء حملة قصف لندن المسماة «الحرب الخاطفة[16] - Blitz» وكانت تمقتني جدا. وقد يسعك أن تبني حكما عادلا عني من هذين الحكمين المتضادين.

أرفق مع هذه الرسالة نسخة من كتابي الذي أتطرق فيه للسيرة الذاتية لإيميلي برونتي لتري قدرتي على إنجاز نوع آخر من الكتابة. ورغم أنه لم يحقق مبيعات جيدة، بل لم يحقق أي مبيعات، لكنني أفخر به أكثر من فخري بإيزي بيكرستاف تذهب للحرب.

ما الذي أستطيع أن أفعله لأبرهن لك حسن نيتي؟ لا تترددي بالسؤال.

المخلصة،

جولييت آشتون

* * *

من جولييت إلى صوفي

12 فبراير 1946

الغالية صوفي،

وأخيرا ظهر ماركام ف رينولدز، ذلك الرجل صاحب أزهار الكاميليا. قام بالتعريف بنفسه، ثم أثنى علي ودعاني إلى تناول

(16) Blitz اختصار اعتمدته الصحافة البريطانية لكلمة Blitzkrieg الألمانية إبان حملة القصف التي شنها الطيران الألماني على لندن في الحرب العالمية الثانية.

العشاء معه في كلاريج. قبلت الدعوة بكل وقار. كلاريج؟ نعم. لقد سمعت عن كلاريج، وقضيت الأيام الثلاثة اللاحقة بالتفكير بشعري. من حسن حظي امتلاكي ذلك الفستان الجميل الجديد حتى لا أضيع وقتا في القلق على ذلك.

وكما تقول السيدة هيلينا «الشعر مصيبة». جربت اللفافات لكنها وقعت من شعري. جربت تسريحة فرنسية لكنها فسدت. وكنت على وشك محاولة وضع شريطة حمراء مخملية على رأسي عندما هبت جارتي إيفانجلين سمايث لنجدتي. باركها الله، إنها خبيرة في تسريح شعري، وخلال دقيقتين فقط صرت في منتهى الأناقة. فقد أخذت كل خصلاتي المجعدة وربطتها بشكل جميل ومريح خلف رأسي. انطلقت إلى كلاريج واثقة من منظري الجذاب، وجامدة أمام تهديد بهو الكلاريج الرخامي.

لكنه بمجرد دخول ماركام ف رينولدز انهارت ثقتي بنفسي. لم أر مثله قط يا صوفي، ولا يضاهيه جاذبية أي رجل آخر. حنطيّ ذو عينين زرقاوين تشعان من مقلتيهما، بحذائه الجلدي الفخم وبدلته الصوفية الأنيقة ومنديله الناصع البياض في جيب البدلة. ولأنه أمريكي، فهو طويل ويملك تلك الابتسامة الأمريكية المرحة بأسنانه البراقة. لكنه أيضا ليس أمريكيا لطيفا ودمثا، فقد اعتاد على إصدار الأوامر لمن حوله، رغم أنه يفعل ذلك ببساطة وخفة لا تضايق من حوله. ولديه قناعة تامة بآرائه، لكنه لا يعتدّ بها بصورة مزعجة. قد تكون ثقته بصحة آرائه هي التي تجعله لا ينزعج من الآراء المخالفة.

بمجرد جلوسنا بقسمنا المخصص والمسور بستائر مخملية، وما إن انتهى الندل ورؤساؤهم من التحويم حولنا لإرضائنا، سألته بصورة صريحة ومباشرة عن سبب إرساله كل تلك الورود دون أن يضمّنها أي بطاقة تعرفني بمرسلها.

ضحك قائلا: «فعلت ذلك لجذب اهتمامك. لو كنت راسلتك مباشرة طالبا اللقاء بك، فكيف سيكون ردك؟». اعترفت له بأنني كنت سأرفض الدعوة. فرفع أحد حاجبيه للدلالة على صحة توقعاته. أيكون ذنبه إن هو استطاع أن يتفوق علي بذكائه بسهولة؟

وقد أهانني أن أكون بتلك الشفافية، لكنه ضحك في وجهي ثانية ثم أخذ بالحديث عن الحرب والأدب الفكتوري (هو يعلم بأنني كتبت سيرة إميلي برونتي الذاتية) ونيويورك وتقنين الطعام، وقبل أن أدرك، وجدتني أنعم باهتمامه مسحورة به تماما.

هل تذكرين عصر ذلك اليوم في ليدز عندما كنا نتساءل عن الأسباب التي تدفع ماركام ف رينولدز للحفاظ على غموضه؟ يا لخيبة أملنا، كنا مخطئتين. فهو غير متزوج، وهو غير خجول بكل تأكيد، وليست فيه ندبة مشوّهة تجعله يتجنب ضوء النهار. لا يبدو أنه إنسان مستذئب (لا وجود للوبر على مفاصل أصابعه). كما أنه ليس نازيا هاربا من الخدمة (ليس ثمة أي نبرة ألمانية في حديثه).

في الواقع، قد يكون مستذئبا بالفعل، ويمكنني تخيله وهو يثب بين المستنقعات يتتبع طريدته، ولا أستبعد أبدا قدرته على التهام أي شخص بريء يجده في طريقه. سأراقبه عن كثب

عنـد اكتـمال القمـر. دعـاني لحفلـة رقـص غـدا، قـد يتوجـب عـلي أن ألبـس ياقـة عاليـة. لكـن ذلـك ينطبـق عـلى مصـاصي الدمـاء فقـط، أليـس كذلـك؟

أعتقد أنني مصابة بدوار.

مع حبي،

جولييت

* * *

من الليدي بيلا تاونتون إلى أميليا

12 فبراير 1946

عزيزتي السيدة موغري،

رسـالة جولييـت آشـتون بـين يـدي، وأنـا مذهولـة مـن محتوياتهـا. هـل أفهـم بأنهـا تريـد أن أقـوم أنـا بتقييـم شـخصيتها؟ فليكـن، ولكنني لا أسـتطيع التعليـق عـلى شـخصيتها وإنمـا عـلى حصافتهـا، التـي لا تملك منها شيئا.

الحرب، كما تعلمين، تجعل من الغرباء أصحابا، وقد جمعتنا أنا وجولييت معا عندما التحقنا بفرقة «مراقبي الحرائق» خلال الغارات . كنا نمضي الليالي على سطوح مباني لندن لمراقبة القنابل الحارقة التي قد تسقط لنهرع بمضخات الماء المحمولة ودلاء الرمل لإخماد أي شعلة صغيرة ومنعها من الانتشار. وقد عملنا أنا وجولييت معا، لم نضع الوقت في الثرثرة مثل الآخرين. فقد أصررت على التركيز التام على مهمتي، وعلى الرغم من ذلك تعرفت على بعض تفاصيل حياة جولييت قبل الحرب.

كان والدها مزارعا محترما في سافولك، ووالدتها كما أعتقد زوجة مزارع نموذجية، تحلب البقر وتنتف ريش الدجاج عندما لا تكون مرتبطة بأعمال المكتبة التي تمتلكها في بوري سان إدموندز. فقدت جولييت والديها في حادث سيارة عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها، وانتقلت للعيش عند قريب لها، وهو معروف بدراسته للثقافة اللاتينية واليونانية في سان جونز وود. وقد عكرت صفو أبحاثه وهدوء بيته عندما فرّت من المنزل مرتين على التوالي.

ولفرط يأسه منها، أرسلها إلى مدرسة داخلية، اتجهت بعدها إلى لندن بعد أن قررت تجنب الدراسة الجامعية، وتشاركت هناك شقة صغيرة مع صديقتها صوفي ستارك. عملت في محلات الكتب نهارا بينما عملت ليلا على كتاب عن إحدى الأخوات برونتي البائسات، التي لا يحضرني اسمها الآن، حسب علمي، قامت دار ستيفينز وستارك للنشر، والتي يملكها شقيق صوفي، بنشر كتابها. وعلى الرغم من استحالة ذلك بيولوجيا لكنني أرجح أن المحسوبية سهلت عملية طبع ونشر الكتاب.

على أي حال، بدأت جولييت بنشر مقالات في مجلات وجرائد مختلفة. واستطاعت بخفة عقلها اكتساب الكثير من المتابعين من ذوي الثقافة المحدودة والذين يوجد منهم الكثير لسوء الحظ. وأنفقت ما تبقى من ميراثها على شقة في تشيلسي، منطقة الفنانين والعارضين والاشتراكيين والليبراليين، باختصار الأشخاص الذين لا يملكون حس المسؤولية، تماما كما كانت جولييت في عملها كمراقب للحرائق.

أما الآن فسأنتقل إلى الحديث عن تفاصيل علاقتنا.

كلفت أنا وجولييت مع غيرنا من مراقبي الحرائق العمل على سطح القاعة الداخلية لإحدى جمعيات المحامين[17] (Inns of Court). وأحب أن أذكر هنا بأن عمل مراقبي الحرائق يتطلب ذهنا صافيا وواعيا لكل ما يحدث حولهم.

في ليلة من ليالي شهر مايو عام 1941، اخترقت قنبلة شديدة الانفجار سقف مكتبة إحدى تلك الجمعيات، وعلى الرغم من قربه من موقع جولييت، لكنها، ولشدة خوفها من احتراق الكتب العزيزة على قلبها قفزت نحو النار متوهمة بأنها تستطيع إنقاذ المكتبة من مصيرها. وبالطبع تسبب طيشها بدمار كبير، لأن رجال الإطفاء أضاعوا وقتهم في إنقاذها.

أعتقد أن جولييت أصيبت بحروق بسيطة، في حين تحول خمسون ألف كتاب إلى رماد. وتم شطب اسم جولييت من قائمة مراقبي الحرائق، وكان القرار في محله. وعلمت بعد ذلك بأنها تطوعت في «خدمات الإطفاء المساندة» التي تقدم، في اليوم الذي يلي التفجيرات، الشاي للتخفيف عن فريق الإطفاء كما توفر المساعدة للناجين عبر جمع العائلات وتوفير سكن مؤقت وطعام وملبس ومساعدات مالية. وأعتقد أن جولييت كانت مناسبة لهذا العمل النهاري، إذ ليس بمقدورها التسبب بكارثة لفناجين الشاي.

وبذلك تفرغت ليلا لكتابة مقالات سطحية لمجلة سبكتيتر التي تعاقدت معها على كتابة عمود أسبوعي عن حالة الأمة في زمن الحرب تحت الاسم المستعار إيزي بيكرستاف.

(17) مجموعة من أربع مؤسسات قديمة كانت تاريخيا مسؤولة عن التعليم القانوني. تستأثر مجالس إدارة كل منها بالحق في السماح للأشخاص بممارسة مهنة المحاماة عن طريق الاتصال الرسمي بالجمعية. وكلها تقع في محيط المحاكم الملكية العامة، على الحدود بين مدينتي لندن ووستمنستر.

وبعد قراءتي أحد مقالاتها قمت بإلغاء اشتراكي في المجلة لأنها تعدت على الذوق الرفيع لملكتنا الراحلة فيكتوريا. وبلا شك، تعرفين النصب التذكاري الذي بنته الملكة فيكتوريا لحبيبها وشريكها ألبرت وهو بمثابة جوهرة في تاج حدائق كنزنغتون، ومثال على الذوق الرفيع للملكة وزوجها الراحل. لقد هللت جولييت لقرار وزارة التغذية الذي نص على زرع البازلاء في الأرض المحيطة بالنصب التذكاري، قائلة: إنه لا توجد فزاعة أحسن من الأمير ألبرت في كل أنحاء إنجلترا.

ومع أنني أشكك في ذوقها ورجاحة عقلها وأولوياتها الضائعة وحسها الفكاهي غير اللائق، لكنها من دون شك تمتلك صفة وحيدة وهي الصدق. إذا وعدت بالمحافظة على اسم جمعيتكم الأدبية، فهي بلا شك ستحافظ على وعدها هذا. وليس لدي ما أضيفه على ذلك.

المخلصة،

بيلا تونتون

* * *

من القسيس سايمون سيمبلس إلى أميليا

13 فبراير 1946

عزيزتي السيدة موغري،

نعم يمكنك الوثوق بجولييت. لا لبس لدي فيما يتعلق بهذا الموضوع. لقد كان والداها من أعز أصدقائي ومن رعيتي في أبرشية سان هيلدا، وكنت في منزلهم ليلة ولادتها.

كانت جولييت طفلة عنيدة، لكنها كانت أيضا لطيفة ومراعية لمشاعر الآخرين ومرحة، وذات ميل غير مألوف للنزاهة لا يوافق سنها.

سأخبرك بحادثة وقعت عندما كانت جولييت في العاشرة من عمرها:

بينما كانت تنشد المقطع الرابع من «وعينه على العصفور» أغلقت كتاب التراتيل ورفضت الاستمرار، وقالت لقائد الجوقة بأن أبيات الشعر هي بمثابة إهانة للرب، وبأنه يجب عدم ترتيلها. لم يعرف مدير الجوقة كيفية التصرف في الموضوع، فاصطحبت جولييت إلى مكتبي كي أناقش الأمر معها.

لم أحسن التصرف. فقد قالت جولييت إنه «لم يكن من المفترض كتابة هذه الأبيات القائلة (وعينه على العصفور)، فما جدوى ذلك؟ هل منع ذلك العصفور من السقوط ميتا؟ هذه الأبيات تجعل الرب يبدو وكأنه يمضي وقته في مراقبة العصافير».

شعرت بأنني مضطر للاتفاق مع جولييت بشأن هذه المسألة، وتساءلت لمَ لمْ أفكر في ذلك من قبل؟ ومنذ ذلك الوقت لم ترتل الجوقة هذه الأبيات.

توفي والدا جولييت عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها، وأرسلت للعيش مع قريبها الدكتور روديريك آشتون في لندن. وعلى الرغم من كونه إنسانا لطيفا لكنه كان غارقا في دراساته الإغريقية-الرومانية، ولم يكن لديه الوقت الكافي للاعتناء بطفلة. كما أنه لم يكن ذا مخيلة واسعة، وهذا بحد ذاته كارثة بالنسبة لشخص منخرط في تربية الأطفال.

حاولت جولييت الفرار مرتين، في المرة الأولى لم تنجح إلا بالوصول إلى محطة كينغز كروس، حيث وجدها رجال الشرطة جالسة

بانتظار قطار يأخذها إلى بوري سان إدموندز، ومعها حقيبة قماشية وصنارة صيد أبيها. وبعد أن تمت إعادتها إلى الدكتور آشتون هربت مرة ثانية. وفي هذه المرة استنجد د.آشتون بي طالبا مني المساعدة في العثور عليها.

عرفت بأنني سأجدها في المزرعة التي كان والداها يمتلكانها. وجدتها جالسة على هضبة صغيرة مقابل مدخل المزرعة غير مبالية بالمطر مبتلة للعظم تنظر إلى ما كان منزلها سابقا.

أرسلت برقية إلى عمها، وعدت معها إلى لندن بالقطار في اليوم التالي. كنت أنوي العودة إلى رعيتي على القطار التالي، لكنني عندما وجدت أن عمها الأحمق قد أرسل الطاهي لاستقبالها، رافقتها ودخلت مباشرة إلى مكتبه حيث جرى بيننا حديث مطول، واتفقت معه على أن الحل الأفضل لجولييت هو إرسالها إلى مدرسة داخلية، وبخاصة أن والديها أورثاها أموالا تكفي لذلك.

ولحسن الحظ كنت أعرف مدرسة جيدة جدا، هي مدرسة سان سويذينز، ذات مستوى أكاديمي راق، ولها مديرة لم تنحت من الصخر. ويسرني أن أبلغك بأن جولييتً نجحت هناك ووجدت متعة في دراساتها، وأعتقد بأن السبب الحقيقي وراء ذلك هي الصداقة التي كونتها مع صوفي ستارك وعائلتها. فقد كانت تمضي إجازة منتصف الفصل عند عائلة ستارك، كما أمضت صوفي وجولييت إجازتين معي ومع أختي في الأبرشية. أمضينا أوقاتا رائعة، تضمنت رحلات وركوب الدراجات والصيد. وقد انضم إلينا في إحدى المرات سيدني ستارك شقيق صوفي الذي يكبر الفتاتين بعشر سنوات. وعلى الرغم من حبه لإملاء الأوامر عليهما، لكنه كان إضافة مرحبا بها لمجموعتنا السعيدة.

كانت مشاهدة جولييت وهي تكبر أمرا ممتعا، كما هو الأمر الآن وقد أصبحت امرأة ناضجة. أنا في غاية السرور لأنها طلبت مني أن أكتب هذه الرسالة لك.

لقد ضمنت في رسالتي تاريخنا القصير معا لتعلمي بأنني أعي ما أقول. إذا قالت جولييت بأنها ستقوم بأمر ما فتأكدي بأنها ستنفذه، والعكس صحيح.

مع تحياتي الخالصة،

سايمون سيمبلس

* * *

من سوزان سكوت إلى جولييت

17 فبراير 1946

عزيزتي جولييت،

أيعقل أن تكوني أنت التي لمحتُها في عدد هذا الأسبوع من مجلة تاتلر وهي ترقص الرومبا مع مارك رينولدز؟ لقد بدوت رائعة، تقريبا بروعته، ولكن هل لي أن أقترح أن تجدي ملجأ قبلَ أن يرى سيدني نسخة من المجلة؟

وكما تعلمين تستطيعين شراء صمتي بتزويدي بالتفاصيل المملة.

المخلصة،

سوزان

* * *

من جولييت إلى سوزان سكوت

18 فبراير 1946

عزيزتي سوزان،

أنفي كل ما ورد في رسالتك السابقة بشأن مجلة تاتلر.

مع حبي

جولييت

* * *

من أميليا إلى جولييت

18 فبراير 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

أشكر لك أخذ شرطي بعين الاعتبار. في اجتماع الجمعية ليلة أمس، أبلغت الأعضاء بالمقال الذي ستكتبينه للتايمز، واقترحت على الراغبين بالمساهمة أن يقوموا بالكتابة إليك عن الكتب التي قرؤوها، والمتعة التي وجدوها في القراءة.

ولقد كانت ردود الفعل صاخبة لدرجة دفعت إيسولا بريبي إلى الضرب بمطرقتها للسيطرة على الحضور (أقر بأن إيسولا ليست بحاجة إلى تشجيع لتستخدم مطرقتها). أعتقد بأنك ستتسلمين العديد من الرسائل من أعضاء الجمعية، وأتمنى أن تعود بالفائدة على مقالك.

أبلغك دوزي بأن الجمعية أنشئت بهدف منع الألمان من اعتقال ضيوف حفل عشائي وهم دوزي وإيسولا وإيبين رامزي وجون بوكر

وويل ثيسبي وعزيزتنا إليزابيث ماكينا التي ألفت القصة في الحال. بوركت على سرعة بديهتها ولسانها البليغ.

لم أكن على علم بالموقف المحرج الذي وقع فيه الضيوف في ذلك الحين. وما إن غادروا حتى أسرعت إلى إخفاء آثار الوجبة في القبو. ولم أعلم بقصة الجمعية الأدبية إلا في صباح اليوم التالي، حين هرعت إليزابيث إلى مطبخي وسألتني «كم كتابا تملكين؟».

كنت أملك بضعة كتب، لكن إليزابيث هزت رأسها قائلة: «نحن بحاجة إلى المزيد من الكتب، لأن أكثر كتبك عن البستنة». وكانت على صواب بالطبع، فأنا أحب كتب البستنة الجيدة. ومن ثم قالت «إليك ما سوف نفعله. بعد أن أنتهي من مكتب القائد سنذهب إلى مكتبة فوكس ونشتري كل كتبهم. يتوجب علينا أن نظهر بمظهر أدبي، إن كنا نرغب بأن نكون جمعية غيرنزي للأدب».

وبقيت قلقة طوال فترة الظهيرة أتساءل عما يحدث في مكتب القائد، ماذا لو انتهى بهم الأمر في سجن غيرنزي؟ أو الأسوأ من ذلك، أن يقبعوا في أحد السجون المنتشرة في القارة الأوروبية. لقد كان الألمان مزاجيين في توزيع عدلهم، ولم يكن المرء ليعرف العقوبة التي ستفرض. لكن شيئا من ذلك لم يحدث.

ورغم غرابة الأمر فقد سمح الألمان، بل وشجعوا، نشاطات سكان جزر القنال الفنية والثقافية، ليثبتوا للبريطانيين بأن الاحتلال الألماني احتلال نموذجي. لم يتم شرح كيفية نقل هذه الرسالة إلى العالم الخارجي أبدا، لأنه تم قطع كابل الاتصالات بين غيرنزي ولندن في اليوم الذي هبط فيه الألمان في يونيو 1940. وعلى الرغم من منطقهم الأعوج فقد تعامل الألمان في البداية بتساهل مع جزر القنال مقارنة بالمناطق الأوروبية الأخرى التي احتلوها.

في مكتب القائد طُلب من أصدقائي دفع غرامة بسيطة وتقديم قائمة بأسماء أعضاء الجمعية الأدبية. وأعلن القائد بأنه من عشاق الأدب أيضا متسائلا عن إمكانية حضوره مع ضباط آخرين لبعض اجتماعات الجمعية.

أخبرتهم إليزابيث بأنهم سيكونون موضع ترحيب، ومن ثم هرعنا أنا وهي وإيبين إلى مكتبة فوكس واخترنا أكواما من الكتب لجمعيتنا الجديدة، وأسرعنا إلى منزلي لوضع الكتب على الأرفف. انتقلنا بعد ذلك من منزل إلى آخر مدعين التسكع بلا هدف، لنحذر الآخرين وندعوهم إلى القدوم ليلا لاختيار الكتب التي سيقرؤونها. كان من الصعب أن نتمشى بهدوء نتبادل الأحاديث هنا وهناك، في حين كنا نود الهرولة. كان التوقيت مهمّا لأن إليزابيث كانت تخشى أن يحضر القائد الاجتماع المقرر بعد أسبوعين. (لكنه لم يحضر أبدا، وعلى مدى السنين حضر بدلا عنه بعض الضباط الألمان، لكنهم ولله الحمد غادروا بارتباك ولم يعودوا).

وهكذا بدأنا. كنت أعرف كل أعضاء الجمعية ولكن ليس عن كثب. دوزي مثلا كان جاري لما يزيد على ثلاثين عاما، لكن أحاديثي معه كانت تتمحور حول الطقس والزراعة. صديقاي المقربان هما إيسولا وإيبين، أما ويل ثيسبي فقد كان مجرد أحد المعارف، وكان جون بوكر شبه غريب لأنه وصل إلى الجزيرة مع وصول الألمان. إليزابيث كانت صلة الوصل بيننا جميعا، ولولا إصرارها لما كنت فكرت بدعوتهم لمشاركتي وليمة الخنزير، ولما رأت جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا النور.

في تلك الأمسية التي اجتمعنا فيها لاختيار الكتب، اكتشف الذين لم يكونوا إلى ذلك الحين قد قرؤوا سوى كتب الإنجيل

وكتيبات عن البذور وجريدة بيغمان(18) The Pigman's Gazette نوعا آخر من القراءة. وهنا اكتشف دوزي تشارلز لام، واكتشفت إيسولا رواية إميلي برونتي «مرتفعات وذرنغ»، أما أنا فقد اخترت أول رواية كتبها تشارلز ديكنز «مذكرات بيكويك» معتقدة بأنها سترفع معنوياتي، وهو ما حدث بالفعل.

ومن ثم عاد الجميع إلى منازلهم للقراءة. في البدء، كنا نجتمع معا خوفا من القائد. لكن الأمر انتهى بنا إلى الا جتماع من أجل متعتنا الشخصية. وبما أنه لم يكن لدينا خبرة سابقة فيما يتعلق بالجمعيات الأدبية، فقد وضعنا قوانيننا الخاصة التي نصت على أن نتبادل الأدوار في الحديث عن الكتاب الذي قمنا بقراءته. في البداية، حاولنا الحفاظ على هدوئنا وموضوعيتنا، لكن ذلك سرعان ما ذهب أدراج الرياح، وأصبح الهدف الرئيس لكل منا هو إقناع المستمعين بضرورة قراءة الكتاب بأنفسهم. وكنا نبلغ أقصى درجات المتعة عندما يقرأ اثنان الكتاب نفسه ويشرعان في النقاش بشأنه. لقد قرأنا كتبا، واختلفنا حولها وأصبحنا أكثر قربا من بعضنا. وانضم إلينا آخرون، وأصبحت ليالينا جميلة ومبهجة، وأنسانا ذلك أحيانا ذلك الظلام الذي كان سائدا في الخارج. ومنذ ذلك الحين ونحن نلتقي كل أسبوعين.

أما فيما يتعلق بإضافة فطيرة قشر البطاطا إلى اسم الجمعية، فتلك كانت فكرة ويل ثيسبي. فهو، بغض النظر عن وجود الألمان أو عدمه، لم يكن على استعداد لحضور أي اجتماع لا يتوفر فيه الطعام. وهكذا أصبحت المأكولات الخفيفة جزءا من برنامجنا. وبما أن الزبدة والطحين والسكر لم تكن متوفرة، فقد اخترع ويل فطيرة بطاطا مصنوعة من حشوة من البطاطا المهروسة على قاعدة من

(18) صحيفة تهتم بأخبار مربي الخنازير.

قشر البطاطا، ومغطاة بالشمندر المصفى لتحليتها. وعادة ما تكون وصفاته غريبة لكن هذه الوصفة أصبحت من الوصفات المفضلة.

يسرني جدا سماع أخبارك مرة أخرى ومتابعة التطور الذي تحرزينه فيما يتعلق بالمقال.

المخلصة لك،

أميليا موغري

* * *

من إيسولا بريبي إلى جولييت

19 فبراير 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

يا إلهي، لقد ألفت كتابا عن آن برونتي شقيقة شارلوت وإميلي. وعدتني أميليا موغري بأنها ستعيرني الكتاب لأنها تعلم مدى حبي للأخوات برونتي، يا للحملان المسكينة. يغمرني الحزن لمجرد التفكير في أن الأخوات الخمس كنَّ يعانين من ضعف في الرئة وتوفين صغيرات بسبب ذلك.

كان والدهن أنانيا، أليس كذلك؟ لم يهتم بهن البتة، كان طيلة الوقت يقبع في مكتبه ويصرخ طالبا وشاحه. لم يحرك ساكنا ليتدبر أموره بنفسه؟ كان يجلس وحيدا في غرفته فيما تتساقط بناته مثل الذباب.

وهناك أيضا شقيقهن السكير برانويل، الذي كان يتقيأ على السجاد، وتقوم الفتيات بالتنظيف من بعده، يا له من عمل راق لمؤلفة!

لا شك لدي بأن إميلي اخترعت شخصية هيثكليف من بنات أفكارها ولا سيما بوجود مثل هذين الرجلين في المنزل، وانعدام الفرصة للتعرف على آخرين. ويا له من عمل رائع. إن الرجال أكثر إثارة للاهتمام في الكتب منهم في الواقع.

أخبرتنا أميليا بأنك ترغبين بالتعرف على جمعيتنا الأدبية والمواضيع التي نناقشها في اجتماعاتنا. عندما حان دوري، تكلمت عن الشقيقات برونتي، لكنني أعتذر لعدم استطاعتي إرسال الأوراق التي دونت فيها ملحوظاتي عن شارلوت وإميلي لأني استخدمتها في إشعال نار موقد الطبخ عندما نفدت الأوراق الأخرى. وكنت قد أحرقت جداول المد والجزر الخاصة بي وسفر رؤيا يوحنا وسفر أيوب.

ربما ترغبين بمعرفة سبب إعجابي بهؤلاء الفتيات. أنا أحب قصص اللقاءات العاطفية. أنا عن نفسي لم أحظ بلقاء من هذا النوع، ولكنني أستطيع تخيل ذلك الآن. في البدء لم تنل قصة مرتفعات وذرينغ إعجابي، لكنه بمجرد أن خربشت كاثي، الشبح، بأصابعها النحيلة على زجاج النافذة، ملكت القصة كياني ولم أعد أستطيع تركها. لقد تمكنت عبر إميلي من سماع صرخات هيثكليف المثيرة للشفقة وهي تصدح فوق المستنقعات. ولا أعتقد بأنني بعد القراءة لكاتبة جيدة مثل إميلي برونتي سأستمتع بقراءة كتاب المجروحة تحت ضوء الشموع للآنسة أماندا غيليفلاور. إن قراءة الكتب الجيدة تفسد استمتاع المرء بالكتب السيئة.

أما الآن، فسأحدثك عن نفسي، أملك كوخا وأرضا صغيرة بجانب عزبة ومزرعة أميليا موغري، وتطل منازلنا على البحر. أقوم بتربية الدواجن والاعتناء بعنزتي إيريال والزراعة، كما أملك ببغاء لا تحب الرجال اسمها زنوبيا.

بالإضافـة إلى ذلـك، أملـك كشـكا صغـيرا في السـوق أبيـع فيـه أسـبوعيا منتجـاتي مـن مربيـات وخضـار وعقاقـير لتجديـد النشـاط أقـوم بخلطهـا بنفـسي. وتسـاعدني في إعـداد الجرعـات كيـت ماكينـا، ابنـة صديقتـي العزيـزة إليزابيـث ماكينـا. هـي تبلـغ مـن العمـر أربـع سـنوات فقـط، ويتحتـم عليهـا الوقـوف عـلى كـرسي صغـير كي تحـرك خلطـاتي، لكـن باسـتطاعتها أن تحـضر بسرعـة كميـة كبـيرة مـن الرغـوة.

لا أملـك مظهـرا جذابـا، فأنفـي كبـير كسرتـه عندمـا وقعـت مـن سـقف قـن الدجـاج، ومقلـة عينـي متجهـة إلى الأعـلى وشـعري منكـوش لا يمكـن تسريحـه. فضـلا عـن كـوني طويلـة وعظامـي عريضـة.

باسـتطاعتي مراسـلتك مـرة أخـرى إن رغبـت. أسـتطيع أن أخـبرك بالمزيـد عـن القـراءة، وكيـف سـاهمت في رفـع معنوياتنـا أثنـاء وجـود الألمـان. الوقـت الوحيـد الـذي لم تسـاعدنا فيـه القـراءة هـو عندمـا اعتقـل الألمـان إليزابيـث. لقـد اكتشـفوا قيامهـا بإخفـاء أحـد العـمال المسـتعبدين مـن بولنـدا، وأرسـلوها إلى السـجن في فرنسـا. ومنـذ ذلـك الحـين ولفـترة طويلـة لم يسـاهم أي كتـاب قرأتـه في رفـع معنويـاتي. ولـولا وجـود كيـت في حيـاتي لقمـت بصفـع كل ألمـاني أراه، لكننـي تمالكـت أعصـابي مـن أجلهـا، لأنهـا كانـت صغـيرة وبحاجـة إلى رعايتنـا. لم تعـد إليزابيـث إلى الآن، ونحـن خائفـون عليهـا وأواسي نفـسي بالتفكـير بـأن الوقـت لا يـزال مبكـرا عـلى فقـدان الأمـل، إذ قـد تعـود إلينـا يومـا مـا. كـم أتمنـى ذلـك، فأنـا مشـتاقة إليهـا جـدا.

صديقتك،

إيسولا بريبي

* * *

من جولييت إلى دوزي

20 فبراير 1946

عزيزي آدامز،

كيف عرفت بأنني أحب أزهار الليلك الأبيض؟ لطالما فضلتها على باقي الأزهار، وها أنا الآن أمتع ناظري بها. يا لجمالها، وكم أنا مسرورة بها، منظرها، رائحتها الجميلة ودهشتي بها. لأول وهلة تساءلت كيف وجد الأزهار تلك في شهر فبراير، لكنني سرعان ما تذكرت بأن جزر القنال مباركة بتيار الخليج الدافئ.

ظهر سيد ديلوين أمام باب منزلي صباح اليوم حاملا هديتك، وقال إنه كان في زيارة عمل للندن لصالح البنك الذي يعمل فيه. وأكد بأنه لم يتكلف أي عناء في إيصال الزهور، وبأنه مستعد لفعل أي شيء لأجلك، بسبب القليل من الصابون الذي أعطيته لزوجته خلال الحرب، والتي لا تزال تبكي تأثرا عندما تتذكر ذلك. يا له من رجل لطيف. إنني أشعر بالأسف لأنه لم يملك الوقت الكافي لشرب فنجان من القهوة معي.

بفضلك تسلمت رسائل طويلة ورائعة من السيدة موغري وإيسولا بريبي. لم أكن أعلم بأن الألمان منعوا وصول أخبار العالم الخارجي والرسائل إلى غيرنزي. لقد فوجئت كثيرا، على الرغم من علمي بأن جزر القنال محتلة، لكنني لم أفكر ولو للحظة في تبعات ذلك. كل ما يمكنني قوله هو أن ذلك كان تجاهلا متعمدا. لذا سأذهب إلى مكتبة لندن لتثقيف نفسي. لقد تعرضت المكتبة إلى دمار رهيب بسبب القنابل، لكن أرضيتها الآن آمنة وصالحة للمشي، وقد تمت إعادة ترتيب الكتب التي تم إنقاذها، وأعلم

بأنهم يحتفظون بأرشيف جريدة التايمز من عام 1900 إلى الآن، لذا سأقوم بدراسة فترة الاحتلال.

كما أنوي البحث عن كتب سفر أو تاريخ تتناول جزر القنال. هل صحيح ما يقال بأنه يمكنكم في يوم صحو رؤية السيارات على طرقات الساحل الفرنسي؟ هذا ما قرأته في الموسوعة، لكني لا أثق بها لأنني اشتريتها مستعملة بأربع شلنات. كما قرأت بأن مساحة غيرنزي «تقارب سبعة أميال طولا وخمسة أميال عرضا، ويبلغ عدد سكانها 42 ألف نسمة». هذه معلومات مفيدة من دون شك، لكنني أرغب بمعرفة المزيد.

أخبرتني الآنسة بريبي بأن صديقتك السيدة إليزابيث ماكينا قد أرسلت إلى معسكر اعتقال في القارة الأوروبية ولم تعد منذ ذلك الحين. لقد صعقني هذا الخبر، فمنذ أن تسلمت رسالتك عن عشاء الخنزير المشوي وأنا أتخيلها موجودة بينكم. ودون أن أعي ذلك، اعتقدت بأنني يوما ما سأتسلم رسالة منها أيضا. أشعر بالأسى وأتمنى أن تعود قريبا.

أشكرك مرة أخرى على الأزهار، إنها لفتة لطيفة منك.

المخلصة لك،

جولييت آشتون

ملحوظة: اعتبر الآتي سؤالا بلاغيا إن شئت، ولكن لم بكت السيدة ديلوين على قطعة من الصابون؟

* * *

من جولييت إلى سيدني
21 فبراير 1946

عزيزي سيدني،
لم أسمع منك شيئا منذ فترة طويلة، هل لصمتك الجليدي أي علاقة بمارك رينولدز؟
لدي فكرة لكتاب جديد. إنها رواية عن كاتبة جميلة ولكنها حساسة، حطم روحها محررها المستبد. هل أعجبتك الفكرة؟
مع حبي الدائم،
جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني
23 فبراير 1946

عزيزي سيدني،
لقد كنت أمزح معك.
مع حبي،
جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني
25 فبراير 1946

سيدني؟
مع حبي،
جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني
26 فبراير 1946

عزيزي سيدني،

هل كنت تعتقد بأن غيابك سيمر مرور الكرام؟ بعد أن أرسلت ثلاث رسائل من دون تسلّم رد منك، قمت بزيارة شخصية إلى ساحة سان جيمس حيث قابلت الآنسة الحديدية تيلي، التي أبلغتني بأنك خارج البلدة. يا للروعة! وبعد أن ضغطت عليها، أخبرتني بأنك قد سافرت إلى أستراليا! وقد استمعت الآنسة تيلي إلى استفساراتي ببرود، لكنها لم تفصح عن مكان وجودك سوى أنك تجوب المناطق النائية في أستراليا في رحلة بحث عن كتّاب جدد لقائمة ستيفنز وستارك، وبأنها ستحيل أي رسائل إليك إذا ما ارتأت ضرورة لذلك.

لا تستطيع آنستك تيلي أن تخدعني، ولا تستطيع أنت أن تخدعني، أنا أعلم أين أنت وماذا تفعل. لقد سافرت إلى أستراليا

لتجد بيرس لانغلي وتسانده ليصحو من سكره، أو على الأقل هذا ما أتمناه. إنه صديق عزيز وكاتب عظيم. أود أن أراه يتحسن ويعود لقرض الشعر، كما أتمنى أن ينسى كل ما يتعلق ببورما واليابانيين، لكنني أعلم بأن ذلك مستحيل.

لقد كان باستطاعتك إبلاغي عن سفرك، لأنني أستطيع أن أكون كتومة عندما أحاول ذلك جاهدة (يبدو أنك لم تغفر لي زلة لساني عن السيدة أتووتر في العريشة، أليس كذلك؟ على الرغم من اعتذاري الرائع في ذلك الوقت).

أحببت سكرتيرتك الأخرى أكثر، تلك التي طردتها دون أي داع. كما تعلم، التقيت بماركام رينولدز. حسنا لقد فعلنا ما هو أكثر من اللقاء، رقصنا الرومبا. لا داعي للقلق فلم يذكر مجلة «ڤيو -VIEW» إلا بصورة عابرة، ولم يحاول ولو لمرة واحدة إغرائي بالذهاب إلى نيويورك. نحن نناقش مواضيع أكثر أهمية، مثل الأدب الفيكتوري. فهو ليس ذلك الهاوي السطحي كما جعلتني أعتقد يا سيدني. إنه خبير في ويلكي كولينز مثلا. هل كنت تعلم بأن ويلكي كولينز حافظ على منزلين مختلفين تقيم في كل منهما عشيقة ومجموعة من الأطفال؟ لا بد أن ترتيب جدوله كان شاقا جدا ولا عجب بأنه كان يتناول الأفيون.

أنا متاكدة من أنك ستعجب بمارك إذا تعرفت عليه، وربما يتوجب عليك التعرف عليه. لكن قلبي ويدي التي أكتب بها هما ملك لستيفنز وستارك.

لقد تحول مقال التايمز إلى متعة محببة. فقد كونت مجموعة جديدة من الأصدقاء من جزر القنال، جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا. أليس هذا اسما جميلا؟ إذا كان بيرس بحاجة

إلى ما يلهيه أستطيع كتابة رسالة طويلة عن طريقة اختيارهم لاسم الجمعية. أو أستطيع إخبارك بالقصة عند عودتك (متى ستعود؟).

ستنجب جارتي إيفانجلين سمايث توءمين في يونيو، وهي ليست مسرورة جدا بذلك، لذا سأطلب منها أن تعطيني أحدهما.

مع حبي لك ولبيرس،

جولييت

* * *

من جولييت إلى صوفي

28 فبراير 1946

عزيزتي صوفي،

أنا مندهشة مثلك، لم ينبس ببنت شفة لي. أدركت يوم الثلاثاء بأنني لم أسمع أي خبر من سيدني لأيام عدة، لذا ذهبت إلى مكاتب ستيفنز وستارك لأعاتبه فاكتشفت بأنه طار من القفص. سكرتيرته الجديدة لا تطاق، أجابت على كل سؤال من أسئلتي بهذا الشكل: «لا أستطيع مشاركتك بمعلومات شخصية يا آنسة آشتون»، ولكم وددت أن أصفعها.

عندما كنت على وشك الاعتقاد بأن جهاز الاستخبارات تنصت على سيدني، وأنه في مهمة في سيبيريا، اعترفت الآنسة تيلي الفظيعة بأنه غادر إلى أستراليا. وهنا أصبح الأمر واضحا. لقد ذهب ليأتي ببيرس. تيدي لوكاس كان على قناعة بأن بيرس سيثمل حد الموت

في بيت الرعاية إذا لم يأت من يوقفه عن ذلك. بالكاد أستطيع لومه بعد كل ما مر به، لكن سيدني، ولله الحمد، لن يسمح بذلك.

إنني أعشق سيدني من كل قلبي كما تعلمين، لكنْ ثمّة شعور كبير بالحرية يراودني لوجوده في أستراليا. فقد كان مارك رينولدز ما قد تسميه عمتك ليديا «مثابرا في اهتمامه بي»، خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة. لكنني لا أنفك ألتفت لأرى إذا ما كان سيدني واقفا خلفي، فيما ألتهم سرطان البحر وأبالغ في شرب الشمبانيا. إنه على قناعة تامة بأن مارك رينولدز يحاول أن يصرفني خلسة من لندن عموما ومن ستيفينز وستارك بصورة خاصة. وعلى الرغم من كل محاولاتي لإقناعه بعكس ذلك، لم أستطع تغيير رأيه. أعلم بأنه لا يحب مارك، فقد وصفه بالشرس وعديم الضمير في المرة الأخيرة، لكنني أعتقد بأنه حاد الطبع ومتسرع في إطلاق الأحكام كالملك لير[19] فيما يتعلق بالموضوع.

أنا امرأة ناضجة وباستطاعتي تناول الشمبانيا مع من أريد.

حين لا أراقب سيدني أجدني أستمتع بوقتي جدا. أشعر بأنني قد خرجت من نفق مظلم إلى مهرجان. وعلى الرغم من عدم اكتراثي بالمهرجانات، لكنها عظيمة من النفق. مارك يأخذني في جولة ما كل ليلة، إذا لم نكن في طريقنا إلى حفل (وعادة ما نكون كذلك). نذهب إلى السينما أو المسرح، أو إلى ملهى ليلي أو إلى حانة سيئة السمعة، (يقول إنه يحاول أن يعرفني على المُثل الديمقراطية). وأجد ذلك مثيرا جدا.

(19) King Lear من شخصيات شكسبير عرف عنه السيطرة على بناته الثلاث والتحكم بقراراتهن.

هل لاحظت بأن هناك أناسا، الأمريكيين على وجه الخصوص، يبدو أن الحرب لم تمسهم أو على الأقل لم تضر بهم؟ ولا أعني بأن مارك كان فارّا من الحرب، فقد خدم في سلاح الجو، لكنه لم يسمح للحرب بأن تستهلكه. وعندما أكون معه أشعر بأن الحرب لم تمسني أنا أيضا. أعلم بأن ذلك مجرد وهم، وفي الحقيقة سأخجل من نفسي إذا لم تمسني الحرب. لكن مسموح لي التمتع بوقتي قليلا، أليس كذلك؟

هل تعتقدين بأن دومينيك كبير على لعبة عفريت العلبة؟ لقد وجدت نسخة شيطانية منه في المحل أمس. يقفز من العلبة متلويا ومتموجا بشاربه الأسود اللامع وأسنانه البيضاء البارزة، إنه الصورة الحقيقية للشر. سيحبها دومينيك، بعد أن يتغلب على الصدمة الأولى بالطبع.

مع حبي،

جولييت

* * *

من جولييت إلى إيسولا

28 فبراير 1946

الآنسة إيسولا بريبي

مزرعة بريبي

لا بوفي

سينت مارتنز، غيرنزي

عزيزتي الآنسة بريبي،

أشكرك على رسالتك وتعليقك على إميلي برونتي. لقد ضحكت كثيرا عندما علمت بأن إميلي شدتك نحو القصة بمجرد أن قام شبح المسكينة كاثي بالطرق على النافذة. لقد شدتني في اللحظة نفسها.

في المدرسة، طلبت منا مدرِّستنا قراءة مرتفعات وذرينغ في عطلة عيد الفصح. ذهبت إلى المنزل مع صديقتي صوفي ستارك، وتذمرنا لمدة يومين من انعدام العدالة، وفي النهاية طلب منا أخوها سيدني الكف عن التذمر والبدء بالقراءة. وبدأت وأنا مستمرة في التذمر، إلى أن وصلت إلى شبح كاثي على النافذة. لا أعتقد بأني قد فزعت كما فزعت في تلك اللحظة، لا تخيفني الوحوش ومصاصو الدماء عند القراءة عنها، أما الأشباح فهي موضوع آخر.

أمضينا أنا وصوفي عطلة الصيف نتنقل ما بين السرير والأرجوحة والمقعد ونحن نقرأ جين أير وأغنس غراي وشيرلي ونزيل قاعة ويلدفيل.

يا لها من عائلة، لكنني اخترت الكتابة عن آن برونتي لأنها كانت الأقل شهرة بين أخواتها، وفي اعتقادي هي كاتبة جيدة مثل شارلوت. ويعلم الله وحده كيف استطاعت آن كتابة أي من تلك الكتب وهي تحت تأثير الضغط الديني لعمتها برانويل. نجحت إميلي وشارلوت في تجاهل عمتهما الكئيبة، على عكس المسكينة آن. تصوري أنها تعظهن بأن الله شاء للنساء أن يكنّ خانعات ومتسامحات وكئيبات برقة، ما يعني مشكلات أقل في المنزل، يا لها من خفاش هرم وخبيث.

أتمنى أن تكتبي لي مرة أخرى.

المخلصة،

جولييت آشتون

* * *

من إيبين رامزي إلى جولييت
28 فبراير 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

أنا رجل من غيرنزي واسمي إيبين رامزي. كان أجدادي من قاطعي بلاط القبور وناحتيه، ونحت الحملان كان من اختصاصهم. وهذه هي الأشياء التي أحب أن أقوم بها في الأمسيات. لكن صيد الأسماك هو مصدر رزقي.

أخبرتني السيدة موغري بأنك ترغبين بتسلم رسائل عن جلسات قراءاتنا في فترة الاحتلال. لم أكن أرغب بالحديث عن تلك الأيام أو حتى التفكير بها، لكن السيدة موغري أكدت لنا أن بوسعنا الثقة بحكمك في الكتابة عن الجمعية خلال فترة الحرب. وإذا ما قالت السيدة موغري بأنك مصدر ثقة، فأنا أصدق كلامها. فضلا عن ذلك، لقد كنت لطيفة جدا وأرسلت كتابا إلى صديقي دوزي، مع أنك بالكاد تعرفينه. لذا أكتب لك وكلي أمل بأن يكون ذلك مفيدا لقصتك.

في الواقع لم نكن جمعية أدبية فعلية في البداية. باستثناء إليزابيث والسيدة موغري، وربما بوكر، لم يكن لأي منا علاقة بالكتب منذ أن انتهت سنوات المدرسة. أخذنا الكتب من أرفف السيدة موغري يملؤنا الخوف من أن نلوث الورق الرقيق. لم أكن أبالي بهذه الأشياء في تلك الأيام، لكن التفكير بما قاله القائد الألماني، واحتمال أن ينتهي بنا الحال في السجن، حثني على رفع غلاف الكتاب والبدء بالقراءة.

كان اسم الكتاب، مختارات من شكسبير، فيما بعد أدركت بأن سيد ديكنز وسيد وردزورث كانا يفكران بأشخاص مثلي عندما كانا

يكتبان. لكنني أعتقد بأن شكسبير كان أكثرهم تفكيرا بنا. وإحقاقا للحق، لا أستطيع فهم ما يقوله دائما، لكن ذلك سيأتي لاحقا.

يبدو لي أنه كلما قلل من كلامه بدا المعنى أجمل. هل تعلمين ما جملته المفضلة عندي؟ إنها «لقد مضى يومنا الوضاء وأشرفنا على حلكة الليل».

ليتني كنت أعرف تلك الكلمات في اليوم الذي شهدت فيه نزول القوات الألمانية طائرة بعد طائرة وسفينة بعد سفينة في الميناء. كل ما استطعت التفكير به في ذلك الوقت هو «اللعنة عليهم! اللعنة عليهم!» مرارا وتكرارا. لو كنت أستطيع التفكير في «لقد مضى يومنا الوضاء وأشرفنا على حلكة الليل» لشعرت ببعض العزاء وكنت على استعداد للخروج ومقاومة الظروف بدل أن تخونني شجاعتي وأصاب بخيبة أمل.

لقد أتوا إلى هنا في يوم الأحد الموافق للثلاثين من يونيو 1940، وكانوا قصفونا قبل يومين، ادّعوا بأنهم لم يقصدوا قصفنا، لكنهم اعتقدوا بأن شاحنات الطماطم المصطفة على رصيف المرفأ هي شاحنات عسكرية. يعجز العقل عن فهم ذلك المنطق. قصفونا وقتلوا ثلاثين أو ما يزيد من الرجال النساء والأطفال، ومنهم ابن ابن عمي الذي اختبأ تحت شاحنته عندما رأى الطائرات تسقط القنابل، فتفجرت شاحنته واشتعلت فيها النيران. قتلوا رجالا في قوارب الإنقاذ في عرض البحر، ومشطوا بنيرانهم سيارات إسعاف الصليب الأحمر التي تحمل جرحانا. وعندما اكتشفوا بأن أحدا لم يطلق النار عليهم، علموا بأن البريطانيين قد تركونا دون حماية. فعادوا بعد يومين بهدوء واحتلونا لمدة خمس سنوات.

في البدء كانوا في غاية اللطف، مغرورين باحتلالهم لجزء من إنجلترا، معتقدين بأنها ستكون خطوات قليلة قبل أن يهبطوا في لندن. وعندما اكتشفوا استحالة ذلك عادوا إلى لؤمهم الطبيعي.

كانت لديهم قوانين لكل شيء، افعلوا هذا ولا تفعلوا ذاك، واستمروا في تغيير رأيهم في محاولة منهم للظهور بمظهر الناس الودودين، واستخدموا سياسة الترغيب والترهيب، وعندما لم تجدهم نفعا عادوا إلى قساوتهم مرة أخرى.

على سبيل المثال، كانوا يغيرون أوقات حظر التجول باستمرار، فتكون مرة في الثامنة أو التاسعة مساء أو الخامسة عصرا إذا ما ازدادت حقارتهم. لم يكن باستطاعة المرء زيارة أصدقائه أو الاهتمام بمخزونه.

في البدء كنا متفائلين، واثقين من رحيلهم في غضون ستة أشهر، لكن ذلك لم يحدث. وأصبح الحصول على الطعام أمرا شاقا وخلال وقت قصير نفد الحطب. كانت الأيام مملة ومحزنة بسبب العمل الشاق والليالي مظلمة من الملل. وكان الجميع عليلين من سوء التغذية ويائسين من كثرة التساؤل عن موعد انتهاء كل هذا. فتعلقنا بالكتب وبأصدقائنا لأنهم ذكرونا بأن هناك جانبا آخر لحياتنا. كانت إليزابيث تلقي قصيدة لا أستطيع تذكر كل كلماتها، لكنها كانت تبدأ بـ «هل من التفاهة أن يكون المرء قد استمتع بالشمس، ورأى النور في الربيع، وأحب وفكر وعمل وطور صداقات حقيقية؟» لم يكن ذلك تافها. أتمنى أن تكون قد احتفظت بذلك في ذاكرتها أينما كانت.

في أواخر عام 1944، لم نعد نبالي بالوقت الذي يحدده الألمان لحظر التجول. كان معظم الناس يأوون إلى فراشهم في الساعة

الخامسة مساء ليحافظوا على الدفء. كنا نحصل على شمعتين في الأسبوع ومن ثم تم تقنين ذلك إلى شمعة واحدة. وكان الاستلقاء في السرير دون ضوء للقراءة مرهقا.

بعد إنزال النورماندي لم يعد باستطاعة الألمان إرسال أي سفن تموين من فرنسا بسبب طائرات التحالف. لذا أصبحوا أخيرا جوعى مثلنا، وبدؤوا بقتل الكلاب والقطط لأكلها. كانوا يغيرون على حدائقنا ويقتلعون البطاطس، بل ويأكلون حتى العفن منها. وقد مات أربعة جنود بسبب التسمم بعد أن تناولوا نباتا ساما يشبه البقدونس.

أعلن الضباط الألمان بأنه سيتم إعدام أي جندي يلقى القبض عليه وهو يسرق من حدائقنا. وقد تم القبض على أحد الجنود المساكين متلبسا بسرقة البطاطس، ولاحقه رفاقه فتسلق شجرة ليختبئ بين أغصانها، لكنهم وجدوه وأردوه منها. وعلى الرغم من ذلك لم يتوقفوا عن سرقة الطعام. وأنا لا أوجه أصابع الاتهام هنا، لأن بعضنا فعل ذلك أيضا. يجعلك الجوع يائسا عندما تستيقظ كل صباح وأنت تشعر به.

تم ترحيل حفيدي إيلاي إلى إنجلترا عندما كان في السابعة من عمره. لقد عاد الآن صبيا طويلا في الثانية عشرة من عمره، لكنني لن أغفر للألمان أبدا أنهم حرموني من رؤيته وهو يترعرع.

علي أن أذهب لأحلب بقرتي الآن، ولكن باستطاعتي الكتابة لك مرة أخرى إذا ما رغبت بذلك.

أتمنى لك الصحة،

إيبين رامزي

* * *

من الآنسة أديليد أديسون إلى جولييت

1 مارس 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

أعتذر على تطفلي بكتابة رسالة إليك دون أن تعرفيني، لكنني كلفت مهمة. حسب فهمي من دوزي آدامز، فإنك بصدد كتابة مقال طويل لملحق صحيفة التايمز الثقافي عن فائدة القراءة، وتعتزمين أن تضفي أهمية خاصة على جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا فيه.

يا للسخرية!! ربما ستعيدين النظر في كتابة المقال عندما تعرفين أن إليزابيث ماكينا، مؤسسة الجمعية، ليست في الأصل من أهل الجزر. وعلى الرغم من مظهرها الراقي فما هي إلا خادمة من منزل السير أمبروز آيفرز في لندن (من الأكاديمية الملكية). بالتأكيد سمعت عنه، إذ إنه من رسامي الشخصيات المرموقين، على الرغم من عدم فهمي لسبب شهرته. فأنا أرى أن رسمه لكونتيسة لامبث ببوديكا وهي تضرب حصانها بالسوط، أمر لا يغتفر. على كل حال كانت إليزابيث ماكينا ابنة مدبرة منزل.

وبينما كانت والدة إليزابيث تنفض الغبار، سمح السير أمبروز لإليزابيث بالتسكع في مكتبه وأبقاها في المدرسة لفترة تعدت الفترة المعتادة لمن هم في مكانتها المتواضعة. توفيت والدتها وهي في الرابعة عشرة. لكن هل تعتقدين بأن السير أمبروز أرسلها إلى معهد لتتعلم مهنة مناسبة؟ لا لم يفعل، بل أبقاها معه في منزله في تشيلسي ورشحها لمنحة دراسية في مدرسة سليد للفنون الجميلة. إحقاقا للحق أنا لا أدعي بأنه أنجبها، فنحن على علم بميوله

التي تجعل ذلك مستحيلا، لكنه أحبها لدرجة كبيرة شجعت خطيئتها التي لا تغتفر وهي الغرور. إن تآكل المعايير هو سبب آلامنا الآن، وإليزابيث ماكينا تجسد تآكل المعايير بصورة واضحة.

كان السير أمبروز يملك منزلا في غيرنزي يقع على تلة بمقربة من لابوفيه، حيث كان يمضي فصل الصيف مع مدبرة منزله وطفلتها. وكانت إليزابيث طفلة متوحشة تحوم بشعرها الأشعث في أنحاء الجزيرة حتى في أيام الآحاد. لم يكن لديها واجبات منزلية، ولم تكن ترتدي القفازات أو الأحذية أو الجوارب. وكانت ترافق رجالا وقحين في قوارب صيد، وتتجسس على أشخاص محترمين بواسطة التلسكوب. يا للعار.

وعندما بدا واضحا بأن الحرب ستندلع دون شك، أرسل السير أمبروز إليزابيث إلى غيرنزي لتغلق منزله، وتحملت إليزابيث تبعات أفعاله العشوائية في هذه الحالة.، فبينما كانت تغلق النوافذ وصل الألمان إلى درج البيت. لكن قرار البقاء في غيرزي كان عائدا لها، وهو ما أثبتته الأحداث اللاحقة (التي لن أهين نفسي بذكرها)، إنها ليست تلك البطلة المحبة للغير كما يعتقد بعض الأشخاص.

علاوة على ذلك، فإن ما تسمى جمعية الأدب ليست سوى فضيحة. إذ يوجد في غيرنزي أشخاص من سلالة محترمة ومثقفة، ولن يرضوا بأن يكونوا جزءا من هذه التمثيلية الحزينة (حتى لو تمت دعوتهم للمشاركة فيها). ليس في هذه الجمعية سوى شخصين محترمين وحسب، هما إيبين رامزي وأميليا موغري. أما باقي الأعضاء فهم متسول وطبيب نفسي ساقط وسكير، ومربي خنازير يعاني من التأتأة، وخادم انتحل شخصية نبيل، وإيسولا بريبي التي تمارس السحر، والتي اعترفت لي بأنها تقوم بتقطير

وبيع الوصفات السحرية. وقد جمع هؤلاء أشخاصا آخرين على شاكلتهم، ولك أن تتخيلي ما يجري في «أمسياتهم الأدبية».

لا تكتبي عن هؤلاء الأشخاص وكتبهم، الله وحده يعلم ما الذي ارتأوه مناسبا للقراءة.

زميلتك في الدين والعقيدة النصرانية،

أديليد أديسون (الآنسة)

* * *

من مارك إلى جولييت

2 مارس 1946

عزيزتي جولييت،

لقد استوليت للتو على تذاكر الأوبرا التي تخص ناقدي الموسيقى. موعدنا في كوفنت غاردن في الثامنة مساء. هل تشاركينني؟

المخلص،

مارك

* * *

من جولييت إلى مارك

عزيزي مارك،

الليلة؟

جولييت

* * *

من مارك إلى جولييت

نعم!

م.

* * *

من جولييت إلى مارك

رائع! مع أنني أشعر بالأسف لحال ناقدك، فتلك التذاكر نادرة ندرة أسنان الدجاج.

جولييت

* * *

من مارك إلى جولييت

سيتدبر أمره بين الجمهور الواقف، ولربما يستطيع الكتابة عن تأثير الأوبرا الملهم على الفقراء إلخ، إلخ.

سأمر لاصطحابك في الساعة السابعة.

م.

* * *

من جولييت إلى إيبين

3 مارس *1946*

سيد إيبين رامزي

لي بوميه

زقاق كاليه

سان مارتينز، غيرنزي

عزيزي رامزي،

لقد كان لطفا منك أن تكتب لي عن تجاربك خلال فترة الاحتلال. فمع نهاية الحرب، أنا أيضا كنت قد قطعت على نفسي عهدا بعدم التحدث عنها مرة أخرى. لقد تحدثت عن الحرب وعشتها لمدة ست سنوات، وكنت أتوق إلى الاهتمام بشيء آخر، أي شيء. لكن ذلك أشبه بأن أتمنى أن أكون شخصا آخر. الحرب الآن هي قصة حياتنا، ولا مفر من ذلك.

سررت بسماع عودة حفيدك إيلاي إلى أحضانك. هل يعيش معك أو مع والديه؟ ألم تصلك أي أخبار عنه طوال فترة الاحتلال؟ هل عاد جميع أطفال غيرنزي في الوقت نفسه؟ كم سيكون ذلك احتفالا رائعا إن هم عادوا بالفعل!

لا أقصد أن أثقل عليك بأسئلتي، لكن لدي المزيد من الأسئلة إن لم تكن تمانع. أعلم أنك كنت من ضمن المدعوين لحفل شواء الخنزير الذي نتج عنه تأسيس جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا. وسؤالي هو كيف حصلت السيدة موغري على الخنزير؟ وكيف يخفي المرء خنزيرا؟

يا لشجاعة إليزابيث ماكينا في تلك الليلة! لا بد أنها بوركت بنعمة حسن التصرف تحت الضغط، ويملؤني ذلك باحترام لا حدود له. أعلم بأنك وأعضاء الجمعية تشعرون بالقلق لمرور أشهر من دون سماع شيء عنها، ولكن أتمنى ألا تفقدوا الأمل. يخبرني أصدقائي بأن أوروبا الآن مثل خلية نحل مكسورة، وأنها مليئة بالآلاف المؤلفة من النازحين الذين يحاولون العودة إلى منازلهم. لقد ظهر صديق عزيز لي في الشهر الماضي في أستراليا، بعد أن كان قد تم إطلاق النار عليه في بورما في عام 1943، وهو ليس في أحسن حالاته، لكنه حي وينوي البقاء كذلك.

مع جزيل الشكر على رسالتك.

المخلصة،

جولييت آشتون

* * *

من كلوفيس فوسي إلى جولييت
4 مارس 1946

آنستي العزيزة،

في البداية، لم أكن أرغب في حضور أي من اجتماعات الجمعية، فمزرعتي تتطلب مني الكثير من العمل، ولم أكن أرغب في قضاء وقتي أقرأ عن أشخاص غير حقيقيين، يقومون بأعمال غير حقيقية.

في عام 1942 بدأت بالتقرب من الأرملة هوبرت، التي كانت دائما ما تسبقني بخطوات عندما نذهب للتنزه، ولم تكن تسمح لي بأن أتأبط ذراعها، بينما كانت تسمح لرالف مورتشي بذلك، الأمر الذي جعلني أدرك بأنني قد أخفقت في شيء ما.

عندما يكون ثملا، يحب رالف أن يتفاخر بإخبار جميع من في الحانة بأن «النساء يعشقن الشعر، وبمجرد الهمس بكلمات رقيقة لهن، يذبن مثل بقعة من الدهن على العشب». ولا أعتقد أن من اللياقة التحدث عن سيدة بهذه الطريقة. وقد أدركت حينها بأنه، على عكسي، ليس معجبا بالأرملة هوبرت لشخصها، بل أراد الحصول على أرضها المعشوشبة لترعى أبقاره فيها. لذا قلت لنفسي، يبدو أن الأرملة هوبرت تحب القوافي وسأجد بعضا منها.

ذهبت إلى سيد فوكس في مكتبته بحثا عن أشعار عن الحب. لم يتبق لديه الكثير من الكتب، لأن الناس اشتروها لاستخدامها كوقود. وقد أغلق مكتبته نهائيا عندما علم بذلك. أعطاني فوكس أشعارا لشخص يدعى كاتولوس. كان رومانيا. يا ليتك تعلمين ما تتحدث عنه أشعاره، كلمات علمت بأنني لا أستطيع ترديدها إلى امرأة محترمة.

كان قد عشق امرأة اسمها ليزبيا، رفضته بعد أن أخذته إلى فراشها. ولست أستغرب أنها فعلت ذلك، فقد كان غيورا ولم يعجبه عندما كانت تربت على عصفورها الأزغب الصغير. فعاد إلى منزله وكتب عن عذابه لرؤيتها تضم طائرها الصغير إلى صدرها. لم يتقبل ذلك وما عاد يحب النساء منذ ذلك الوقت، وبدأ يكتب أشعارا مهينة عنهن.

كما أنه كان بخيلا أيضا. هل ترغبين برؤية قصيدة كتبها بعد أن طلبت منه امرأة ساقطة مالا مقابل خدماتها:

«هل تلك البغي الرثة واعية، لتطلب مني ألف سسترس[20]؟

تلك الفتاة ذات الأنف القبيح؟

يا أهل الفتاة هلموا،

وادعوا أصدقاءكم والأطباء، فالفتاة بها مس من جنون.

وتظن بأنها جميلة».

هل هذه رموز حب؟ أخبرت صديقي إيبين بأني لم أر قط شيئا مريعا مثل ذلك. قال لي إنني لم أقرأ بعد لشعراء جيدين. وأخذني إلى كوخه وأعارني كتابا صغيرا لقصائد ويلفريد أوين، الذي كان ضابطا في الحرب العالمية الأولى. وعاشر الحياة ووصفها كما هي. أنا أيضا شاركت في معركة باشنديل وأعلم ما يعلم، لكنني لم أستطع صياغة ذلك في كلمات.

بعد ذلك بدأت أؤمن بأن هناك شيئا قيما فيما يتعلق بالشعر. وبدأت بحضور الاجتماعات وأنا مسرور لأني فعلت، وإلا فكيف لي أن أتعرف على أعمال وليام وردزورث، لقد حفظت الكثير من قصائده.

(20) قطعه عملة فضية كانت تستخدم في روما القديمة، وهي تعادل ربع دينار روماني. وقد وضعت قيد التداول في القرن الثالث قبل الميلاد.

على كل حال فزت بقلب الأرملة هوبرت، نانسي. أقنعتها بالذهاب في نزهة طويلة حول الشاطئ الصخري في إحدى الأمسيات، وقلت لها «انظري يا نانسي، كيف تظلل رقة السماء البحر، واستمعي». فسمحت لي بتقبيلها وهي الآن زوجتي.

المخلص،

كلوفيس فوسي

ملحوظة: أعارتني السيدة موغري كتابا في الأسبوع الماضي، عنوانه كتاب أوكسفورد للشعر الحديث 1892-1935. لقد سمحوا لرجل يدعى ييتس باختيار القصائد. ولم يكن يجدر بهم ذلك، إذ من هو وماذا يعرف عن الشعر؟ لقد بحثت في الكتاب عن قصائد لويلفريد أوين أو سيجفريد ساسون ولم أجد أيا منها. أتعلمين لماذا؟ لأن ييتس قال «لقد قصدت عمدا عدم اختيار أي قصائد من الحرب العالمية الأولى، فأنا أبغضها لأن المعاناة السلبية ليست موضوعا للشعر».

معاناة سلبية؟ معاناة سلبية! كدت أنهار في موضعي. ما خطب ذلك الرجل؟ الملازم أوين كتب شعرا يقول فيه: «أي أجراس تقرع لمن يموتون كالماشية؟ هم لا يستحقون سوى الغضب الوحشي للبنادق». ما السلبي في ذلك؟ أرغب بمعرفة ذلك. تلك هي الطريقة التي يموتون فيها. لقد رأيت ذلك بأم عيني، لذا أقول فليذهب ييتس إلى الجحيم.

المخلص،

كلوفيس فوساي

* * *

من إيبين إلى جولييت

10 مارس 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

شكرا على رسالتك واهتمامك بالسؤال عن حفيدي إيلاي، إنه ابن ابنتي جين. توفيت جين ووليدها في المستشفى في اليوم الذي قصفنا فيه الألمان في الثامن والعشرين من يونيو 1940. وقتل والد إيلاي في شمال أفريقيا في العام 1942، وأنا أقوم على تربية إيلاي.

غادر إيلاي غيرنزي في العشرين من يونيو مع الآلاف من الرضع والأطفال الذين تم اجلاؤهم إلى إنجلترا. كنا نعلم بأن الألمان قادمون، وكانت جاين قلقة على وضعه إذا ما بقي هنا. ولأنها كانت على وشك ولادة طفلها، لم يسمح لها الطبيب بالإبحار معهم.

لم تردنا أي أخبار عن الأطفال لمدة ستة أشهر. ومن ثم وصلتني بطاقة من الصليب الأحمر تبلغنا بأن إيلاي بخير، ولكن دون إخبارنا بمكان إقامته، ولم نكن نعرف البلاد التي تم إجلاء الأطفال إليها، لكننا كنا ندعو الله ألا تكون مدنا كبيرة. ومضى وقت طويل قبل أن يسمح لي بإرسال بطاقة له، وكنت في حيرة من أمري فيما يتعلق بذلك. خشيت إخباره بأن والدته ورضيعها قد توفيا. لم أرغب أن يقرأ حفيدي تلك الكلمات الباردة المكتوبة على بطاقة بريدية. لكنه توجب علي فعل ذلك مرة أخرى عندما قتل والده.

لم يعد إيلاي إلى المنزل إلا بعد نهاية الحرب، وقد أرسلوا الأطفال إلى بيوتهم على الفور. ويا له من يوم! بل هو أجمل من

اليوم الذي أتى فيه الجنود البريطانيون لتحرير غيرنزي. كان إيلاي أول الواصلين إلى الممر، ولا أعتقد بأني كنت سأتوقف عن احتضانه لولا أن إيسولا دفعتني جانبا ليتسنى لها ذلك. لقد ازداد طولا في السنوات الخمس التي مضت.

أحمد الله على أنه كان يعيش مع عائلة من المزارعين في يوركشاير، وأنهم كانوا طيبين جدا معه. أعطاني إيلاي رسالة كتبتها تلك العائلة لي، أخبروني فيها عن كل ما لم أستطع رؤيته في السنوات التي كان يكبر فيها. أخبروني عن تعليمه، وكيف كان يساعدهم في المزرعة، وكيف حاول أن يحافظ على تماسكه عندما كان يتسلم بطاقاتي البريدية.

إنه يرافقني في رحلات صيد السمك، ويساعدني على العناية بالأبقار والحديقة، لكن ما يحبه حقا هو النحت على الخشب. وأقوم أنا ودوزي بمساعدته على تعلم ذلك. قام بنحت ثعبان جميل الأسبوع الماضي مستخدما قطعة خشب من سياج مكسور، مع أنني أعتقد بأن السياج المكسور كان في الواقع جزءا من سور مزرعة دوزي الذي أجابني بابتسامة عندما سألته عنها. من الصعب الحصول على الأخشاب الآن لأننا قطعنا معظم الأشجار بما في ذلك الأثاث وأعمدة الدرابزين لنستخدمها حطبا، فلم يتبق لدينا فحم أو زيت إنارة. أنا وإيلاي نزرع الأشجار في مزرعتي، لكن وقتا طويلا سيمر قبل أن تنمو. كم نحن في شوق إلى أوراق الشجر وظلالها.

سأخبرك الآن عن الخنزير المشوي. كان الألمان شرسين بشأن حيوانات المزرعة، وقاموا بحصر عدد الخنازير والأبقار بصورة دقيقة. إذ كانت غيرنزي مصدرا لإطعام القوات الألمانية المتمركزة

هنا وفي فرنسا. أما نحن فقد كان بوسعنا أخذ ما تبقى، إن بقي شيء أصلا.

لكم أحب الألمان ضبط الحسابات، لقد قاموا بتسجيل كل غالون حليب نحلبه، ووزنوا القشدة وسجلوا كل كيس طحين. في البدء لم يبالوا بالدجاج، لكن بعد أن بدأ الطعام يشح، طلبوا منا أن نذبح الدجاج الهرم ليتوفر علف أكثر للدجاج الأصغر سنا ليستمر في وضع البيض.

أما نحن الصيادين فتوجب علينا أن نعطيهم الجزء الأكبر من الأسماك التي نصطادها. وكانوا ينتظرون مراكبنا في المرفأ لكي يحصلوا على حصتهم. في بداية الاحتلال فرّ الكثير من السكان إلى إنجلترا بزوارق الصيد، وقد غرق منهم الكثيرون. بناء على ذلك أصدر الألمان قرارا يمنع من له أحد من أفراد عائلته في إنجلترا من العمل على مركب للصيد، وذلك خوفا من هربهم. وبما أن إيلاي كان في مكان ما من إنجلترا، فقد اضطررت لإعارة مركبي. ذهبت للعمل في واحدة من الدفيئات الزراعية التي يملكها سيد بريفوت، وبعد وقت قليل تعلمت العناية بالنباتات. لكنني اشتقت إلى زورقي والبحر.

كان الألمان صارمين بشأن اللحوم بصورة خاصة خوفا من أن تباع في السوق السوداء بدلا من إطعام جنودهم. فإذا كان لديك خنزيرة ولها خنانيص[21]، يقوم الضابط الألماني المسؤول عن الزراعة بزيارتك وإعطائك وثيقة ولادة لكل خِنَّوْص، ويسجل ذلك في دفتره. وإذا ما مات أحدها موتا طبيعيا يتوجب عليك إبلاغ المسؤول عن الزراعة الذي يحضر للمعاينة وإصدار شهادة وفاة.

(21) مفردها خِنَّوْص، وهو ولد الخنزير.

كان الألمان يقومون بزيارات مفاجئة للمزارع للتأكد من أن أعداد الخنازير الحية لدى المزارع تساوي ما هو مسجل لديهم. فإذا نقص العدد، يتم تسجيل مخالفة. وإذا تكرر الأمر، قد تبلغ العقوبة حد إرسالك إلى سجن سان بيتر بورت. وفي حال فقدانك لعدد كبير من الخنازير فإن الألمان سيعلمون بأنك تتاجر في السوق السوداء، فيتم إرسالك إلى معسكرات العمل في ألمانيا. تصعب معرفة ردود الأفعال عند الألمان لأنهم كانوا مزاجيين جدا.

في البدء كان من السهل خداع المسؤول الزراعي والاحتفاظ بخنزير للاستخدام الشخصي. وهذا ما فعلته أميليا.

كان لدى ويل ثيسبي خنزير مريض وقد نفق. أتى المسؤول الزراعي وكتب شهادة نفوقه، وترك ويل ليدفن الحيوان المسكين، لكن ويل لم يدفنه بل عبر الغابة وهو يحمله وأعطاه لأميليا موغري التي قامت بإخفاء خنزيرها المعافى واتصلت بالمسؤول الزراعي للحضور فورا لمعاينة خنزيرها النافق.

حضر المسؤول الزراعي ولم يع بأنها الجيفة نفسها التي رآها في الصباح، وسجل الحالة في سجل الَحيوانات النافقة.

ومن ثم أخذت أميليا الحيوان النافق إلى صديق آخر اتبع الخدعة نفسها في اليوم التالي. وكان باستطاعتنا فعل ذلك إلى أن تفوح رائحة الجيفة. لكن الألمان انتبهوا إلى ذلك لاحقا، وبدؤوا بوشم الخنازير والأبقار عند ولادتها، وبذلك أصبح من المستحيل مقايضة الحيوان النافق.

غير أن أميليا التي أصبح عندها خنزير حي سليم أصبحت بحاجة إلى دوزي ليأتي وينحره بهدوء، كي لا يسمع الألمان المرابطين بجانب مزرعتها الصوت الذي سيطلقه الخنزير عند نحره.

لطالما انجذبت الخنازير لدوزي. فعند دخوله الحظيرة كانت الخنازير تأتي إليه راكضة ليحك ظهورها، بينما كانت تبدأ بالصراخ والشخير والهرب عند دخول أي شخص آخر. عرف دوزي كيف يهدئها، كما عرف النقطة المناسبة لسحب سكينه بسرعة تحت ذقونها. لم تكن لدى الخنازير فرصة لإطلاق أي صوت وهي تتهاوى إلى الأرض.

قلت لدوزي إن الخنازير أطلت مرة والدهشة تعتريها، لكنه رد بأن الخنازير حيوانات ذكية تعرف الخيانة عندما تراها، وبأنه لا حاجة لي لتجميل الأمور.

لقد شكل خنزير أمليا المحشي بالبطاطا والبصل وليمة رائعة، وأعاد لنا الشعور الرائع بامتلاء البطن الذي كنا قد نسيناه. وقد جعلتنا ستائر أمليا المسدلة على أفق سرية المدفعية الألمانية ووجود الأصدقاء نعتقد بأن الاحتلال لم يحصل.

أنت على حق في إطلاق لقب الشجاعة على إليزابيث، فقد كانت كذلك وما تزال. جاءت من لندن إلى غيرنزي وهي طفلة بصحبة أمها والسير أمبروز آيفرز، وتعرفت على ابنتي جين في صيفها الأول هنا حين كانتا في العاشرة من العمر وربطتهما الصداقة منذ ذلك الوقت.

وعندما عادت إليزابيث في ربيع العام 1940، لإغلاق منزل السير أمبروز، بقيت أكثر من الوقت المتوقع لأنها أرادت أن تكون بقرب جين. لم تكن ابنتي على ما يرام منذ أن ذهب زوجها جون إلى إنجلترا للالتحاق بالجيش في ديسمبر 1939، وكانت تعاني من صعوبات في حملها. وقد طلب منها الطبيب مارتن أن تلتزم الراحة، وأن تبقى في سريرها إلى أن يحين موعد الولادة، فبقيت إليزابيث بقربها لتسليتها والعناية بإيلاي. وكان اللعب مع إليزابيث من

الأمـور المحببـة إلى قلـب إيـلاي. رغـم أنهـما شـكلا خطـرا عـلى الأثـاث، لكنـه كان مـن المبهـج سـماع ضحكاتهـما. كنـت ذاهبـا لاصطحابهـما إلى العشـاء في إحـدى المـرات عندمـا وجدتهـما مسـتلقيين عـلى كومـة مـن المخـدات أسـفل عتبـات سـلم منـزل السـير أمـبروز. قامـا بتلميـع الدرابزيـن وتزلجـا الأدوار الثلاثـة نـزولا.

اتخـذت إليزابيـث كل الإجـراءات اللازمـة لتضمـن لإيـلاي مكانـا عـلى سـفينة الإجـلاء. كنـا قـد أعطينـا مهلـة يـوم واحـد عنـد إبلاغنـا بحضـور السـفن مـن إنجلـترا لإجـلاء الأطفـال. وقـد عملـت إليزابيـث دون انقطـاع عـلى غسـل ثيـاب إيـلاي وخياطتهـا، وشرحـت لـه السـبب الـذي يمنعـه مـن أخـذ أرنبـه معـه عـلى ظهـر السـفينة. ولم تسـتطع جـين مرافقتـه إلى السـفينة خشـية أن يـرى دموعهـا، فرافقتـه إليزابيـث وأخبرتـه بأنـه يـوم جيـد لرحلـة بحريـة.

ومنـذ ذلـك الحـين لم تـترك إليزابـث غيرنـزي عـلى الرغـم مـن أن الكثيريـن كانـوا يحاولـون الخـروج منهـا. كانـت تـردد: «لا، لـن أذهـب إلا بعـد أن تلـد جـين وتتحسـن صحتهـا، وبعـد ذلـك سـأرافقها مـع وليدهـا إلى لنـدن للبحـث عـن إيـلاي». ورغـم كل أسـاليبها الجذابـة، كانـت إليزابيـث ذات إرادة حديديـة، وعندمـا تـصر عـلى موقفهـا تعلـم بأنـه لا طائـل مـن محاولـة إقناعهـا بالخـروج مـن غيرنـزي. ولا حتـى عندمـا أحـرق الفرنسـيون خزانات الوقود في ميناء شـيربورغ كي لا يسـتولي عليهـا الألمـان. ولكـن بـصرف النظـر عـن ذلـك، مـا كانـت إليزابيـث لتذهـب مـن دون جـين وابنهـا الرضيـع. أعتقـد بـأن السـير أمـبروز كان قـد أخبرهـا بأنـه وصديـق لـه يسـتطيعان الإبحـار إلى سـان بيـتر بـورت عـلى ظهـر سـفينته لإخراجهـم مـن غيرنـزي قبـل حضـور الألمـان. وبصراحـة كنـت سـعيدا لأنهـا لم تتخـلّ عنـا، كانـت بجانبـي في

المستشفى عندما توفيت جين ووليدها. وجلست إلى جانب جين ممسكة يدها بقوة.

بعد وفاة جين وقفنا أنا وإليزابيث في ممر المستشفى مخدرين ننظر من النافذة. عند ذلك رأينا سبع طائرات ألمانية تحلق على ارتفاع منخفض فوق الميناء. ظننا بأنها تقوم بطلعات استكشافية إلى أن بدأت بإلقاء القنابل التي بدت كأنها عصي تتهاوى من السماء. لم ننبس ببنت شفة، لكنني أعلم بأننا كنا نشكر الله على أن إيلاي في أمان. وقفت إليزابيث معي ومع جين في الأوقات الصعبة، وفيما بعد. لكنني لم أستطع أن أكون بجانبها، وأشكر الله أن ابنتها كيت بأمان معنا، وأدعو الله بأن تعود إليزابيث سالمة إلينا.

لقد سررت بخبر عثوركم على صديقكم سالما في أستراليا. وأتمنى أن تستمري بمراسلتي أنا ودوزي مرة أخرى لأننا نستمتع برسائلك.

المخلص،

إيبين رامزي

* * *

من دوزي إلى جولييت

12 مارس 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

أنا سعيد بأن زهور الليلك الأبيض قد نالت إعجابك.

سأخبرك قصة صابون السيدة ديلوين. في منتصف فترة الاحتلال، عانينا من شحّ في الصابون، وقد سمح الألمان للعائلات بالحصول

على لوح صابون لكل شخص مرة واحد في الشهر. وكانت تصنع من طين فرنسي، وتبدو كشيء ميت في حوض الاستحمام. لم تكن ذات رغوة، وكنا نفرك أجسادنا بها متمنين أن تؤدي وظيفتها.

كان من الصعب الحفاظ على النظافة، وتعوّدنا فيما بعد على قذارة أجسادنا وثيابنا نوعا ما. سمح لنا بالحصول على كمية بسيطة من مسحوق جلي الصحون وتنظيف الثياب، لكنها كانت كمية لا تذكر، وعلى غرار الصابون كانت بلا رغوة. تأثرت بعض السيدات بذلك كثيرا ومنهن السيدة ديلوين التي كانت تشتري ثيابها من باريس قبل الحرب، وقد بليت تلك الثياب قبل مثيلاتها العاديات.

في أحد الأيام، نفق خنزير سيد سكوب بسبب حمى الحليب. وبما أن أحدا لم يتجرأ على أكله، قدم لي سكوب الجيفة. تذكرت بأن أمي كانت تصنع الصابون من الشحم، فأردت أن أجرب ذلك. لكن ما صنعته بدا كماء قذر متجمد ذي رائحة عفنة. فقمت بإذابته وإعادة صنعه مرة أخرى. نصحني صديقي بوكر الذي جاء لمساعدتي بأن أضيف البابريكا لتحسين لونه والقرفة لتحسين رائحته، وقد زودتنا أميليا بذلك فأضفناه إلى الخليط.

عندما تصلبت ألواح الصابون، قمنا بتقطيعها بأشكال دائرية باستخدام أداة تقطيع البسكوت التي تعود لأميليا. لففت الصابون بورق الجبنة، وربطته إليزابيث بخيوط من الصوف الأحمر، وأهديناه إلى كل النساء في الجمعية. استطعنا بذلك الحفاظ على مظهر محترم ولو لمدة أسبوع أو أسبوعين.

أعمل حاليا لعدة أيام في الأسبوع في مقلع الحجارة وفي المرفأ. وتعتقد إيسولا بأني أبدو مرهقا، لذلك قامت بمزج مرهم للعضلات

المتعبة. لديها أيضا شراب للسعال يدعى «رشفة الشيطان»، أدعو الله ألا أحتاج إليه أبدا.

بالأمس حضرت أميليا وكيت لتناول طعام العشاء، وبعد ذلك ذهبنا إلى الشاطئ لمشاهدة بزوغ القمر. هذه هواية كيت المفضلة، لكنها سرعان ما تغفو قبل أن يكتمل بزوغ القمر، فأحملها عائدا بها إلى منزل أميليا. تعتقد كيت بأنها ستتمكن من البقاء مستيقظة طوال الليل حال بلوغها الخامسة من العمر.

هل تعرفين الكثير عن كيفية التعامل مع الأطفال؟ أنا لا علم لدي، ورغم أنني أتعلم ذلك، لكنني أعتقد بأنني بطيء في ذلك المجال. كان الأمر أكثر سهولة قبل أن تتعلم كيت الكلام، لكنه لم يكن ممتعا كما هو الآن. أحاول الإجابة على أسئلتها قدر المستطاع، لكنها في العادة تنتقل إلى السؤال التالي قبل أن يكون قد تسنى لي الإجابة عن السؤال الأول. كما أنني لا أعرف ما الذي يفرحها، فأنا مثلا لا أعرف كيف يبدو النمس.

أحب تسلُّم رسائل منك، لكنني أشعر بأنه ليس لدي الكثير لأخبرك به، لذا تسرني الإجابة عن أسئلتك البلاغية.

ودمت،

دوزي آدامز

* * *

من أديليد أديسون إلى جولييت

12 مارس 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

يبدو أنك لن تقبلي بنصيحتي. لقد صادفت إيسولا بريبي في كشكها في السوق وهي ترد على رسالة وصلتها منك! حاولت أن أحافظ على هدوئي وأتابع أعمالي، لكنني صادفت دوزي آدمز وهو في طور إرسال رسالة لك. مَن الشخص التالي يا ترى؟ هذا أمر لا يطاق وها أنا أمسك بقلمي لوضع حد لذلك.

ربما لم أكن صريحة معك بالقدر الكافي في رسالتي الأخيرة. فقد حاولت أن أحافظ على كياستي ووضعت ستارا على حقيقة تلك المجموعة ومؤسستها إليزابيث ماكينا، لكنني أرى بأنه قد آن أوان الكشف عن المستور: لقد اتفق أعضاء الجمعية فيما بينهم على الاعتناء بالابنة غير الشرعية لإليزابيث ماكينا من عشيقها الألماني، الدكتور النقيب كريستيان هيلمان. نعم جندي ألماني! أتفهم مدى صدمتك.

أنا إنسانة عادلة ولا أطلق على إليزابيث ما يقوله الآخرون من الطبقة الوقحة بأنها كانت جيري باغ[22] تنتقل من جندي ألماني إلى آخر مقابل هدايا. لم أر إليزابيث قط وهي ترتدي الجوارب والفساتين الحريرية (في الواقع كانت ثيابها رثة جدا كالعادة) التي تفوح منها رائحة العطور الباريسية، أو تلتهم الشوكولا وتشرب النبيذ، أو تدخن السجائر مثل الفتيات سيئات السمعة في الجزيرة.

لكن الحقيقة بشعة ومحزنة بما فيه الكفاية.

(22) Jerry-bags لفظ عامي يطلق على النساء اللائي تعاونّ مع الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية.

إليك فحواها: في شهر أبريل من عام 1942 أنجبت العازبة إليزابيث ابنة غير شرعية. جرى ذلك في منزلها بحضور إيبين رامزي وإيسولا بريبي. وقد حافظت الأخيرة على نار الموقد مشتعلة، فيما أمسك إيبين بيد إليزابيث. ساعدتها أميليا موغري ودوزي آدامز (يا للعار! رجل غير متزوج!) على إنجاب الطفلة قبل وصول د. مارتن. أما الأب المفترض فهو غائب! في الواقع كان قد غادر الجزيرة قبل ذلك بوقت قصير بذريعة «استدعائه إلى الخدمة في القارة الأوروبية»، هكذا قالوا. القضية واضحة وضوح الشمس. وعندما تبين أنه لا يمكن دحض الدليل على علاقتهما المشينة، تخلى النقيب هيلمان عن عشيقته، وتركها لتواجه ما تستحق من عقاب عادل.

كان علي أن أتنبأ بهذه النهاية المخزية. فقد رأيت إليزابيث وعشيقها في مناسبات متعددة وهم يتمشيان، ويتبادلان أطراف الحديث، ويجمعان نبات القراص لتحضير الحساء. وفي إحدى المرات رأيتهما متقابلين وقد وضع يده على وجهها ممررا إبهامه على عظمة وجنتها.

رغم علمي بصعوبة نجاح محاولتي، لكنني وجدت أن من واجبي أن أحذرها مما ينتظرها، فقلت لها بأنه سيتم إقصاؤها عن المجتمع المحترم، لكنها لم تستمع لي، بل ضحكت ثم طلبت مني مغادرة منزلها.

لا أتفاخر بعلمي للغيب، لأن ذلك ليس من شيم النصارى.

ولكن لنعد إلى الطفلة التي أطلق عليها اسم كريستينا وتسمى الآن كيت. بمجرد مرور سنة واحدة ارتكبت إليزابيث، المستهترة كعادتها، جريمة يعاقب عليها الاحتلال الألماني، عندما ساهمت في إيواء أحد سجناء الجيش الألماني وإطعامه. فتم اعتقالها والحكم عليها بالسجن في القارة الأوروبية.

فور اعتقال إليزابيث جلبت السيدة موغري ابنتها إلى منزلها. ومنذ تلك الليلة تبنى أعضاء الجمعية ابنة إليزابيث وتبادلوا تربيتها بنقلها من منزل إلى آخر. وقع عبء تربيتها الأساسي على عاتق أميليا موغري، وتناوب الأعضاء الآخرون على الترفيه عن الطفلة على مدى أسابيع معدودة، وكأنهم يستعيرون كتابا من المكتبة العامة.

لقد دللوا الطفلة التي أصبحت تمشي الآن، وتتنقل معهم في جميع أنحاء الجزيرة ممسكة بأيديهم أو مرفوعة على أكتافهم. يا لانحطاط مستواهم! يجب ألا تمجدي هؤلاء الأشخاص في جريدة التايمز!

لن تسمعي مني مرة أخرى، لقد قمت بما قدرني الله عليه، الأمر متروك لك الآن.

أديليد أديسون

* * *

برقية من سيدني إلى جولييت

20 مارس 1946

عزيزتي جولييت. ستتأخر رحلة العودة إلى المنزل، لقد سقطت عن ظهر الحصان وكسرت ساقي. بيرس يعتني بي. مع حبي، سيدني.

* * *

برقية من جولييت إلى سيدني

21 مارس 1946

يا الهي، أي ساق؟ سلامتك. مع حبي، جولييت.

* * *

برقية من سيدني إلى جولييت

22 مارس 1946

الساق الأخرى. لا تقلقي، أشعر بألم بسيط. بيرس ممرض ممتاز. حبي، سيدني.

* * *

برقية من جولييت إلى سيدني

22 مارس 1946

لكم أنا سعيدة لأنها ليست الساق نفسها التي كسرتها لك. هل باستطاعتي إرسال شيء لتسريع عملية شفائك؟ كتب، تسجيلات، رقائق البوكر، دمّي؟

* * *

برقية من سيدني إلى جولييت
23 مارس 1946

لا حاجة للدم أو الكتب أو رقائق البوكر. فقط استمري بإرسال رسائلك الطويلة لإمتاعنا. مع الحب، سيدني وبيرس.

* * *

من جولييت إلى صوفيا
23 مارس 1946

عزيزتي صوفي،

كل ما وصلني هو برقية. لذا أعتقد أنك تملكين معلومات أكثر مني. ولكن مهما كانت الظروف فمن السخف التفكير في السفر إلى أستراليا. ماذا عن ألكساندر؟ ودومينيك؟ وماذا عن حملانك؟ سيصيبها الهزال جميعا.

تفكري بالأمر للحظة، وستدركين بأنه ليس ثمة داع للقلق. أولا بيرس سيعتني بسيدني عناية ممتازة. وثانيا من الأفضلً أن يقوم بيرس بالمهمة بدلا منا، أتتذكرين كم كان سيدني مريضا ومتعبا في المرة الأخيرة؟ يجب أن نكون سعداء لأنه يبعد عنا آلاف الأميال. وثالثا، لقد أرهق سيدني نفسه كثيرا لسنوات، لذا هو بحاجة إلى الكثير من الراحة، وربما يكون كسر ساقه هو الطريقة الوحيدة لإجباره على أخذ قسط من راحة. والأهم من كل ما سبق يا صوفي هو أنه لا يريدنا أن نكون هناك.

أنا متيقنة تماما بأن سيدني يفضل أن أكتب كتابا جديدا على أن أظهر في سريره في أستراليا، لذا أنوي البقاء هنا في شقتي الكئيبة بحثا عن موضوع. لدي فكرة وليدة، لكنها لا تزال هشّة وغير محصنة لدرجة يصعب علي معها وصفها لك. وتكريما لساق سيدني، سأقوم على رعايتها وتغذيتها لأرى إن كانت ستنمو.

فيما يتعلق بأسئلتك الدقيقة والبارعة عن ماركام ف رينولدز (الابن)، فإنها تشعرني بأنني ضربت بمطرقة خشبية على رأسي: هل وقعت في حبه؟ ما هذا السؤال؟ إنه بوق بين المزامير، وقد توقعت سؤالا أفضل منك. القاعدة الأولى للتدخل بشؤون الغير هي أن يتجنب المرء الأسئلة المباشرة. أنا لم أسألك عندما بدأت بكتابة رسائلك المشوشة عن ألكساندر إذا ما كنتِ واقعة في غرامه، بل سألتك ما حيوانه المفضل؟ إجابتك زودتني بكل ما كنت أرغب في معرفته عنه. كم رجل يعترف بحبه للبط؟ (وذلك يثير نقطة مهمة، فأنا لا أعلم ما حيوان مارك المفضل وأشك في أن يكون بطة).

هل أستطيع أن أقدم لك بعض المقترحات؟ تستطيعين سؤالي عن كاتبه المفضل (دوس باسوس! همنغواي!!) أو عن لونه المفضل (الأزرق، لكن لا أعلم أي درجة من الأزرق، ربما الملكي). هل هو راقص جيد؟ (نعم، هو أفضل مني، ولا يدوس على أصابعي، ولكنه لا يتكلم ولا يدندن وهو يرقص. الواقع هو لا يدندن بالمرة على حد علمي) هل لديه إخوة وأخوات؟ (نعم، لديه أختان أكبر منه، إحداهما متزوجة من أحد أقطاب تجارة السكر، والأخرى ترملت في السنة الماضية. وشقيق أصغر منه، له صوت نخير كالحمار).

والآن بعد أن قمت بعملك بدلا منك، ربما تستطيعين أنت الإجابة عن سؤالك السخيف، لأنني لا أستطيع الإجابة عنه. أشعر بأنني مدللة عندما أكون معه وقد يكون ذلك حبا، وقد لا يكون، لكنه وبالتأكيد ليس أمرا مريحا. أنا الآن متخوفة من سهرة الليلة على سبيل المثال. حفل عشاء آخر، رائع جدا، حيث يميل الرجال نحو الطاولة لإيصال وجهة نظرهم، وتؤشر النساء بمباسم سجائرهن. آه. كل ما أرغب القيام به هو أن أحتضن أريكتي، لكنه يتوجب علي النهوض وارتداء فستان الحفل. وبغض النظر عن الحب، مارك يشكل عبئا كبيرا على خزانة ملابسي.

والآن يا عزيزتي لا تقلقي على سيدني، سيشفى عما قريب ويبدأ حراكه الاعتيادي.

مع حبي،

جولييت

* * *

من جولييت إلى دوزي

25 مارس 1946

عزيزي آدامز،

تسلمت رسالة طويلة (اثنتين في الواقع) من آنسة تدعى أديليد أديسون، تحذرني من الكتابة عن الجمعية في مقالي. وإذا فعلت، فإنها ستتخلى عني بصورة كلية. سأتحمل هذه المحنة بشجاعة. إنها تحتدّ فعلا في الحديث عن المتعاونات مع الألمان، أليس كذلك؟

كما وصلتني أيضا رسالة طويلة عن الشعر من كلوفيس فوسي، وأخرى من إيسولا بريبي، عن الأخوات برونتي. بالإضافة إلى إسعادي، زودتني هذه الرسائل بأفكار جديدة لمقالي. يبدو أن غيرنزي آخذة في كتابة مقالي بنفسها من خلالك أنت ورامزي والسيدة موغري. بل إن الآنسة أديليد أديسون ساهمت بجزء من ذلك أيضا، كم سيسرني أن أتحدى رغباتها.

يا ليتني أعلم المزيد عن رعاية الأطفال. أنا عرابة لولد يبلغ من العمر 3 سنوات اسمه دومينيك، وهو ابن صديقتي صوفي. هما يعيشان في اسكوتلندا بالقرب من أوبان ولا أراه كثيرا. وأجدني مندهشة دوما من تطور شخصيته كلما رأيته. بالكاد بدأت أتعلم أن أحمله كطفل حتى أصبح ولدا يجري في الأنحاء. لم أره لمدة ستة أشهر وها هو الآن بدأ يتحدث مع نفسه، ما يجعله محببا إلى قلبي أكثر لأنني أفعل ذلك أيضا.

أما عن النمس، فباستطاعتك إخبار كيت بأنه مخلوق يشبه ابن عرس، يملك أسنانا حادة، ومزاجه سيئ. وهو العدو الطبيعي الوحيد لثعبان الكوبرا، ويملك مناعة ضد سم الثعابين. إذا لم تتوفر الثعابين يتغذى على العقارب. لربما تستطيع إهداءها نمسا لتربيته كحيوان أليف.

ودمت،

جولييت آشتون

ملحوظة: ترددت في إرسال هذه الرسالة لك خوفا من أن تكون أديليد أديسون من بين أصدقائك. لكنني عدت وقررت بأنها لا يمكن أن تكون كذلك، فأرسلتها.

* * *

من جون بوكر إلى جولييت

27 مارس 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

طلبت مني السيدة موغري أن أكتب لك بصفتي من الأعضاء المؤسسين لجمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا، مع أنني لم أقرأ سوى كتاب واحد مرارا وتكرارا، وهو رسائل سينيكا: مترجمة من اللاتينية في مجلد واحد مع ملحق. سينيكا والجمعية أنقذوني من أن أحيا حياة سكير مريعة.

من عام 1940 إلى 1944، تقمصت شخص اللورد توبياس بين بيرز أمام السلطات الألمانية، وهو رب عملي السابق الذي فرّ إلى إنجلترا عندما تعرضت غيرنزي للقصف. وقد كنت من ضمن خدمه وبقيت. اسمي الحقيقي جون بوكر وقد ولدت وتربيت في لندن.

تم اكتشافي مع الآخرين بعد فرض منع التجول في ليلة الخنزير المشوي. لا أستطيع تذكر ما حدث بوضوح. أعتقد بأنني كنت مخمورا كما هي عادتي. ما أذكره هو صراخ الجنود وتلويحهم بالمسدسات، ودوزي وهو يساعدني على البقاء واقفا. ومن ثم جاءني صوت إليزابيث وهي تتحدث عن الكتب، ولم أفهم سبب ذلك. بعد ذلك أذكر بأن دوزي كان يجرني عبر المروج بسرعة كبيرة، ومن ثم سقطت على فراشي. هذا كل ما في الأمر.

ولكنك تريدين معرفة تأثير الكتب على حياتي. وكما قلت لك، فقد كان كتابا واحدا فقط، سينيكا. هل تعلمين من هو؟ لقد كان فيلسوفا رومانيا كتب رسائل إلى أصدقاء خياليين يخبرهم فيها

بطريقة التصرف طوال حياتهم. قد يبدو لك ذلك مملا، لكن الرسائل كانت ظريفة. أعتقد بأن المرء يستفيد منها أكثر عندما يضحك في الوقت نفسه.

يبدو لي أن كلماته تصل إلى كل الرجال في كل الأوقات. سأعطيك مثالا حيا على ذلك: خذي مثلا رجال سلاح الجو الألماني وتسريحات شعرهم. في أثناء قصف لندن (The Blitz)، كانت طائرات سلاح الجو الألماني تنطلق من غيرنزي وتنضم إلى القاذفات الكبيرة وهي في طريقها إلى لندن. كانوا يحلقون ليلا، وفي النهار يفعلون ما يشاؤون في سان بيتر بورت، هل تعلمين كيف كانوا يقضون وقتهم؟ في صالونات التجميل، حيث يتم تلميع أظفارهم وتدليك وجوههم وتشكيل حواجبهم وتمويج شعورهم وتسريحها. وعندما رأيتهم بتسريحات شعورهم يمشون في مجموعات عبر الشارع يدفعون بسكان الجزيرة من الأرصفة، فكرت بكلمات سينيكا عن الحرس البرايتوري.[23] حيث كتب قائلا «من هؤلاء مَن يفضل رؤية روما وقد اضطربت على أن يرى شَعره وقد تلبد».

سأخبرك كيف ادعيت بأنني رب عملي السابق. أراد لورد توبياس أن يمضي وقته خلال الحرب في مكان آمن، لذا قام بشراء عزبة لا فورت في غيرنزي. وكان قد أمضى الحرب العالمية الأولى في جزر الكاريبي، لكنه عانى من شدة الحرارة هناك.

في ربيع العام 1940 انتقل إلى لا فورت بكل ممتلكاته بما فيها الليدي توبياس. وقد رفض خادمه شوسي مغادرة لندن حابسا نفسه في غرفة المؤونة. لذا حللت أنا خادمه مكان شوسي وأتيت

(23) الحرس البرايتوري أو الحرس الإمبرطوري: هو الحرس الشخصي الذي كان مسؤولا عن حماية الأباطرة الرومان في روما القديمة.

إلى غيرنزي للإشراف على فرش العزبة، وتعليق الستائر وتلميع الفضة وتموين قبو النبيذ. وهناك كانت بدايتي مع حمل قنينة النبيذ لفراشي كل مساء، وإدمانها.

وبينما كنا نعلق آخر لوحة على الجدار، حلق الألمان بطائراتهم وقصفوا سان بيتر بورت، فأعطى اللورد توبياس المرعوب الأوامر إلى ربان سفينته بالاستعداد للإبحار إلى إنجلترا، على أن نقوم بتحميل السفينة بالفضيات واللوحات والتحف والليدي توبياس، إذا ما تبقى لها مكان بالطبع.

وكنت آخر الواصلين إلى معبر القارب، بينما كان اللورد توبياس يصرخ «أسرع يا رجل، أسرع. الألمان[24] (HUNS) قادمون!».

في تلك اللحظة وجدت القدر الحقيقي. كنت لا أزال أملك مفاتيح القبو يا آنسة آشتون، وفكرت بكل زجاجات النبيذ والشمبانيا والبراندي والكونياك التي لن تغادر على تلك السفينة. وتخيلت نفسي وحيدا معها دون أن يكون هناك وجود لرنين الأجراس والقيام بالخدمة وباللورد توبياس. بل فكرت بألا أعود للخدمة على الإطلاق.

استدرت عائدا ومشيت نزولا إلى الممر، ومن ثم ركضت صعودا إلى لا فورت، وراقبت القارب يبحر مبتعدا بينما يستمر اللورد توبياس بالصراخ. ذهبت إلى الداخل بعد ذلك وأشعلت نار المدفأة، ثم ذهبت إلى قبو النبيذ. أخذت زجاجة نبيذ أحمر وفتحت السدادة وتركت النبيذ يندلق. ثم عدت إلى المكتبة وبدأت أشرب وأقرأ كتاب دليل عشاق النبيذ.

قرأت عن العنب، واعتنيت بالحديقة، وذهبت إلى النوم في

(24) HUNS أو الهون، هم المغول الذين اجتاحوا أوروبا في القرنين الرابع والخامس. وقد أطلقت هذه التسمية على الألمان (خصوصا في سياق عسكري خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية).

بيجاما حريرية وشربت النبيذ. واستمر ذلك إلى شهر سبتمبر عندما أتت أميليا موغري وإليزابيث ماكينا لزيارتي. كانت معرفتي بإليزابيث سطحية، فقد تبادلنا الأحاديث عدة مرات بين أكشاك السوق. لكن السيدة موغري كانت غريبة بالنسبة لي. وتساءلت إن كانتا ستسلمانني إلى الشرطة؟

لكنهما في الواقع جاءتا لتحذيري، فقد أمر القائد العسكري لجزيرة غيرنزي كل اليهود بالذهاب إلى فندق غرينج لودج لتسجيل أسمائهم مؤكدا أن جل الأمر وضع إشارة «يهودي» على بطاقاتنا التعريفية، ومن ثم نستطيع العودة إلى منازلنا. كانت إليزابيث تعلم بأن أمي يهودية لأنني كنت قد ذكرت ذلك مرة. وقد جاءتا لتحذراني بألا أذهب إلى الفندق مهما كانت الظروف.

لكن الأمر لم ينته عند ذلك، فقد قيمت إليزابيث حالتي بصورة كاملة (ربما بعناية أكبر مما خصصتها لنفسي) ووضعت خطة لإخراجي من المأزق. وبما أنه كان يتوجب على سكان الجزيرة أن يحملوا إثبات هوية في كل الأحوال، لم لا أقدم نفسي على أنني اللورد توبياس بين بيرز؟ أستطيع الادعاء بأنني تركت كل وثائقي في البنك في لندن وأنني موجود في غيرنزي كسائح. كانت أميليا متأكدة بأن سيد ديلوان سيدعم انتحالي شخصية اللورد، وقد فعل. فقد رافقني مع أميليا إلى مكتب القائد وأقسمنا جميعا بأنني اللورد توبياس بين بيرز.

ووضعت إليزابيث اللمسة الأخيرة على القصة. كان الألمان يستولون على كل المنازل الكبيرة ليحولوها إلى سكن لضباطهم، وبالطبع ما كان لهم أن يتغاضوا عن عزبة لا فورت، فتلك فرصة لا تعوض. لذا كان

يجب أن أقابلهم على أنني اللورد بيرز، فأبدو هادئا وعلى سجيتي. لكنني كنت مرعوبا.

«هذا هراء» قالت إليزابيث. وأضافت: «لديك حضور قوي يا بوكر. فأنت طويل وأسمر وجذاب، وجميع الخدم الشخصيين يعرفون كيف يظهرون بمظهر متعال».

قررت أن ترسم لوحة شخصية لي تظهرني بمظهر بين بيرز من القرن السادس عشر. وهكذا تموضعت مرتديا عباءة مخملية وطوقا للرقبة، وجلست أمام خلفية من المفروشات الداكنة والظلال الخافتة، بينما ألاعب الخنجر بأصابعي. لقد بدوت نبيلا ومضطهدا وغدارا.

لقد كانت ضربة معلم، فبعد مرور أسبوعين دخل إلى مكتبتي ستة ضباط ألمان دون أن يقرعوا الباب. قابلتهم وأنا أرتشف قدحا من النبيذ وأحمل شبها خارقا لصورة «سلفي» المعلقة فوقي على رف الموقد.

انحنوا احتراما لي، وكانوا لطفاء جدا رغم أن ذلك لم يمنعهم من الاستيلاء على المنزل ونقلي إلى كوخ الحرس في اليوم التالي. في تلك الليلة تسلل إيبن ودوزي بعد فرض حظر التجول وساعداني على نقل معظم صناديق النبيذ إلى الكوخ. أخفيناها ببراعة خلف كومة الأخشاب وفي البئر وفي المدفأة وتحت كومة القش وفي العلية. ومع أنني أخذت كل هذا النبيذ، فقد نفد مني في العام 1941. وكان ذلك يوما حزينا، لكن أصدقائي ساعدوا في تشتيت انتباهي عن الأمر. وبعد ذلك وجدت سينيكا.

أحببت لقاءاتنا الأدبية لأنها ساعدتنا على تحمل الاحتلال. أعجبتني بعض الكتب التي قرؤوها، لكنني بقيت مخلصا لسينيكا. بدأت أشعر بأنه بطريقته المرحة اللاذعة، يخاطبني وحدي. وقد ساعدتني رسائله على البقاء حيا في خضم ما سيأتي لاحقا.

لا أزال مواظبا على حضور لقاءات الجمعية. لقد ملّ الجميع من سينيكا وبدؤوا يتوسلون لي لأقرأ لكاتب آخر. لكنني لن أفعل ذلك. كما أقوم بالتمثيل في مسرحيات ترتبها شركات المسرح لدينا، وقد سهل علي الأمر انتحالي شخصية اللورد توبياس، فضلا عن كوني طويلا وأملك صوتا جهوريا يصل إلى آخر صف في المسرح.

أنا سعيد بنهاية الحرب وبعودتي لشخص جون بوكر مرة أخرى.

المخلص،

جون بوكر

* * *

من جولييت إلى سيدني وبيرس

31 مارس 1946

سيد سيدني ستارك

فندق مونريغل

جادة برودميدوز *79*

ميلبورن

فكتوريا

أستراليا

أعزائي سيدني وبيرس،

لم أخسر دم روحي، كل ما حصل هو أنني لويت إبهامي وأنا أنسخ رسائل أصدقائي الجدد في غيرنزي. أعشق رسائلهم ويصعب

علي إرسال النسخ الأصلية إلى أدنى نقطة في العالم حيث ستلتهمها الكلاب البرية بلا شك.

أعلم أن الألمان قد غزوا جزر القنال، لكن هذا الأمر لم يكن يستحوذ على تفكيري أثناء الحرب. ومنذ تسلّم رسائلهم وأنا أبحث عن كل ما يمكنني فرزه من مقالات وأخبار في أعداد التايمز، وفي مكتبة لندن عن الاحتلال. كما يجب علي إيجاد كتاب سِفر جيد عن غيرنزي يحوي وصفا للمكان، وليس مجرد جداول وإعلانات فنادق، وذلك لأتمكن من فهم تلك الجزيرة.

وبصرف النظر عن اهتمامي باهتمامهم بالكتب، فقد وقعت في حب رجلين: إيبين رامزي ودوزي آدامز. كما أنني أستلطف كلوفيس فوسي وجون بوكر. أريد من أميليا موغري أن تتبناني، وأريد أن أتبنى إيسولا بريبي. سأترك لكما تخمين مشاعري نحو أديليد أديسون (الآنسة) من قراءة رسائلها. أجدني حاليا وكأنني أعيش في غيرنزي وليس في لندن، وأتظاهر بالعمل بينما تستقطب أذني سماع صوت البريد وهو يطرق قاع صندوق بريدي. وعندما أسمع ذلك، أهرع إلى الأسفل حابسة أنفاسي في انتظار قراءة الجزء التالي من القصة. لا بد أن هذا هو ما كان يشعر به القراء عندما كانوا يصطفون حول باب الناشر للحصول على آخر حلقة من حلقات ديفيد كوبرفيلد وهي تصل من المطبعة.

لا شك لدي أنكما ستحبان الرسائل أيضا. هل تريداني أن أرسل المزيد منها؟ أجدني مسحورة ومتأثرة جدا بهؤلاء الأشخاص والتجارب التي مروا بها أثناء الحرب. ألا تشاركاني الشعور؟ هل تعتقدان بإمكانية تحويل ذلك إلى كتاب؟ لا تجاملاني، فأنا أريد معرفة رأيكما الصريح. ولا تقلقا فسأستمر بإرسال نسخ من

الرسائل حتى وإن لم توافقاني على الكتابة عن غيرنزي، فأنا (في الغالب) أترفع على مشاعر الانتقام التافهة.

بما أنني ضحيت بإبهامي من أجل تسليتكما، يتحتم عليكما أن ترسلا آخر كتابات بيرس. كم أنا سعيدة أنك عدت للكتابة يا عزيزي بيرس.

مع حبي لكما،

جولييت

* * *

من دوزي إلى جولييت

2 أبريل 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

الاستمتاع بالحياة من أعظم الكبائر في نظر أديليد أديسون (يتبعه فورا عدم التواضع) ولا يدهشني أنها أخبرتك عن المتعاونين مع الألمان، فأديليد تقتات من غيظها.

بقي هناك قلة من الرجال العزاب في غيرنزي، ولم يكن أي منهم مثيرا. معظمنا كان مرهقا ومهلهلا وقلقا ورث الثياب وحافي القدمين وقذرا. كنا مهزومين، وكان ذلك واضحا على وجوهنا. لم يعد لدينا الطاقة أو المال أو الوقت للاستمتاع بالحياة. ولم يكن رجال غيرنزي يملكون أي قدر من الجاذبية التي كان الجنود الألمان يملكونها. فقد كانوا، حسب وصف صديق لي، طويلي القامة وشقرا ووسيمين وذوي بشرة حنطية.. كانوا يقيمون حفلات صاخبة

يملؤها المرح والبهجة، ويملكون السيارات والمال ويمكنهم الاستمرار في الرقص طوال الليل.

كانت بعض النساء اللاتي يصاحبن الجنود يوفرن لآبائهن السجائر ولعوائلهن الطعام. كن يعدن من حفلاتهم محملات بالخبز والفاكهة وفطائر اللحم والحلوى، لتتمكن عوائلهن من الاستمتاع بوجبة كاملة في اليوم التالي.

ولا أظن أن سكان الجزيرة قد فكروا بأن الملل قد يكون حافزا لمصاحبة العدو. ذلك أن الملل حافز قوي وإمكانية الاستمتاع بالحياة مسبب قوي، خاصة لصغار السن.

كان هناك الكثير ممن لم يتعاملوا مع الألمان قط. كان هؤلاء يرون أن مجرد إلقاء التحية تعاون مع العدو. لكن الظروف لم تساعدني على الالتزام بمثل هذا التفكير مع النقيب كريستيان هيلمان، صديقي الذي يعمل طبيبا في قوات الاحتلال.

في أواخر العام 1941 نفد الملح من الجزيرة، ولم نعد نحصل عليه من فرنسا. ولا نكهة للخضار الجذرية والشوربات من دون الملح، بدأ الألمان باستخدام ماء البحر لتزويدهم بالملح، فنقلوه من الميناء وصبوه في خزان كبير وسط سان بيتر بورت. كان على السكان أن يذهبوا إلى وسط المدينة لملء دلائهم والعودة إلى منازلهم، ثم غلي الماء حتى يتبخر لنستخدم ما ترسب في قاع القدر من ملح. لكن هذه الخطة فشلت، فلم يكن هناك ما يكفي من الخشب لنضحي به لعمل نار حامية بما يكفي لتبخير الماء، فقررنا طهي خضراواتنا بماء البحر.

أدى هذا المشروع الغرض وأعاد النكهة لطعامنا، لكن العديد من أهل الجزيرة كانوا من كبار السن الذين يعجزون عن السير

إلى وسط المدينة، أو حمل الدلاء الثقيلة والعودة للمنزل. لم يكن لدى أي منا ما يكفي من الطاقة لتلك الأعمال الشاقة. وكنت أعرج قليلا بسبب إصابة سابقة. ومع أنها أعفتني من الخدمة في الجيش، لكنها لم تسبب لي أي أذى ملحوظ. كنت معافى بما يكفي لإيصال الماء لبعض الأكواخ.

قايضت مجرفة فائضة عن حاجتي، والقليل من الفتائل، مع عربة أطفال قديمة كانت تملكها مدام لوبل. كما زودني سيد سومز ببرميلين صغيرين من خشب البلوط، مزودين بحنفية. نشرت رأس البرميلين لأصنع منهما أغطية متحركة ثم قمت بتثبيتها على عربة الأطفال فأصبح لدي وسيلة مواصلات. كان هناك عدد لا بأس به من الشواطئ التي سلمت من الألغام، وكان من السهل تسلق الصخور نزولا نحو الشاطئ، وملء البراميل بماء البحر، ثم جرها صعودا على الصخور.

يتميز شهر نوفمبر برياحه القاسية. وفي أحد تلك الأيام، وبعد صعودي من الشاطئ مع أول برميل ماء، كادت يداي تتجمدان. وبينما كنت أدلكهما لأدفئهما وأعيد الحياة فيهما، مر بي كريستيان بسيارته، فعاد نحوي سائلا إن كنت في حاجة للمساعدة. ورغم أنني رفضت، ترجل من سيارته وأخذ يساعدني في إرجاع البرميل للعربة. بعدها، ودون أن ينبس ببنت شفة، نزل معي إلى أسفل الجرف الصخري لمساعدتي في حمل البرميل الثاني.

لم أنتبه إلى كتفه وذراعه المتيبسين، لكن ذلك، بالإضافة إلى عرجي والحصى المتناثرة تحت أرجلنا، أدى إلى سقوطنا على جانب التلة حيث زلت أقدامنا أثناء صعودنا، ففقدنا السيطرة على البرميل الذي تدحرج متهشما على الصخور وتركنا مبتلين تماما. لا أعلم ما

الـذي أمتعنـا في الأمـر، لكـن نوبـة ضحـك لا يمكـن تفسـيرها أصابتنـا في التـو واللحظـة، ولم نتمكـن مـن كبحهـا. وهنـا سـقطت أبحـاث إيليـا مـن جيبـي والتقطهـا كريسـتيان معلقـا عـلى بللهـا «آه. تشـارلز لام. لم يكـن ممـن يمانـع القليـل مـن الرطوبـة عـلى أي حـال». ولا بـد أن دهشـتي كانـت واضحـة لأنـه عقـب عـلى كلامـه قائـلا: «عـادة مـا أقـرأ لـلام في بيتـي. يـا لحسـن حظـك لحيازتـك مكتبـة محمولـة».

تسـلقنا الجـرف نحـو سـيارته، واسـتفسر منـي عـن إمكانيـة حصـولي عـلى برميـل آخـر، فطمأنتـه عـلى ذلـك موضحـا لـه طريـق عـودتي. وانطلقـت مبتعـدا بعربتـي، لكننـي عـدت أدراجـي لأعـرض عليـه اسـتعارة الكتـاب إن شـاء ذلـك. فكانـت ردة فعلـه وكأننـي أقـدم لـه القمـر. تبادلنـا الأسـماء وودع بعضنـا بعضـا.

بعـد ذلـك سـاعدني عـلى حمـل المـاء مـرارا، وكان يعـرض عـلي السـجائر ونقـف في الطريـق للتحـدث عـن جـمال غيرنـزي، وعـن التاريـخ والكتـب والزراعـة، دون التطـرق للحديـث عـن الوقـت الحـالي، كنـا نتحـدث دائمـا عـن أشـياء بعيـدة عـن الحـرب. وفي إحـدى هـذه الوقفـات مـرت بنـا إليزابيـث وهـي تقـود دراجتهـا الهوائيـة عائـدة مـن نوبـة التمريـض التـي عملـت بهـا طـوال اليـوم، بـل عـلى الأرجـح طـوال الليلـة السـابقة أيضـا. وكانـت ثيابهـا مرقعـة ورثـة كـما هـو حال كل أهـالي غيرنـزي. لكـن ذلـك لم يمنـع كريسـتيان مـن التوقـف عـن الحديـث فجـأة ليراقبهـا وهـي تتجـه نحونـا. لم يتفوهـا بكلمـة، لكننـي رأيـت سـيماهما ومضيـت مبتعـدا عـلى الفـور. لم أكـن أعلـم أنهـما يعرفـان بعضهـما.

عمـل كريسـتيان جراحـا ميدانيـا حتـى اضطـره جـرح كتفـه إلى تـرك أوروبـا الشرقيـة والتوجـه إلى غيرنـزي. وفي عـام 1942 تـم اسـتدعاؤه إلى

مستشفى في كين، فضربت قاذفات الحلفاء سفينته التي غرقت بمن فيها. كان الدكتور لورنز، مدير مستشفى الاحتلال الألماني، صديقا لي فأتى ليخبرني بوفاة كريستيان وطلب مني إيصال الرسالة إلى إليزابيث، ففعلت.

قد يكون لقائي مع كريستيان غير اعتيادي، لكن صداقتنا لم تكن شيئا غريبا. لا شك لدي أن العديد من سكان الجزيرة كوّنوا صداقات مع بعض الجنود. لكنني أفكر في تشارلز لام أحيانا، وأستغرب كون رجل ولد في العام 1775 سببا في صداقتي بك وبكريستيان.

المخلص،

دوزي آدامز

* * *

من جولييت إلى أميليا

4 أبريل 1946

عزيزتي السيدة موغري،

ها هي الشمس تشرق لأول مرة منذ عدة أشهر. يمكنني رؤيتها تتلألأ على سطح النهر إن وقفت على كرسي مادا عنقي للأمام. أتجنب رؤية تلال الأنقاض عبر الشارع، وأتظاهر أن لندن عادت جميلة.

تسلمت رسالة محزنة من دوزي آدامز يخبرني فيها عن طيبة قلب كريستيان هيلمان ووفاته. لا يبدو للحرب نهاية، أليس كذلك؟ وها نحن نخسر روحا جميلة أخرى. لا بد أن ذلك كان

أمرا شاقا على إليزابيث. لحسن الحظ كنت وسيد رامزي وإيسولا ودوزي موجودين لمساعدتها عند ولادة طفلها.

ها هو الربيع على الأبواب، وأكاد أشعر بالدفء في ضوء الشمس هذا. في أسفل الشارع -لا أتجنب المنظر الآن- أرى رجلا بثياب مرقعة يقوم بطلاء باب منزله بلون السماء. أرى صبيين كانا يلعبان بالعصي في الشارع يرجوانه أن يسمح لهما بمساعدته، يعطي كلا منهما فرشاة صغيرة. لذلك، ربما ستنتهي هذه الحرب.

المخلصة،

جولييت آشتون

* * *

من مارك إلى جولييت

5 أبريل 1946

عزيزتي جولييت،

إنك تراوغين في إجاباتك، وأنا لا أستسيغ ذلك. لا أريد مشاهدة المسرحية مع شخص آخر، أريد أن أذهب معك. في الحقيقة، أنا لا أكترث بالمسرحية لكنني أستخدمها كحجة لانتزاعك من شقتك. ما رأيك بتناول العشاء؟ أو الشاي؟ أو المشروبات؟ أو ركوب القوارب؟ أو الذهاب لحفلة رقص؟ اختاري ما يحلو لك وسألبي طلبك. وأنا لست طيعا هكذا في العادة، فلا بد لك من انتهاز الفرصة لتطوير أخلاقي.

المخلص،

مارك

* * *

من جولييت إلى مارك

عزيزي مارك،

هـل تـود مرافقتـي إلى المتحـف البريطـاني؟ لـدي موعـد في غرفـة القـراءة السـاعة الثانيـة، ويمكننـا أن نلقـي نظـرة عـلى المومياوات بعـد ذلـك.

جولييت

* * *

من مارك إلى جولييت

دعـك مـن غرفـة القـراءة والموميـاوات. تعـالي وشـاركيني وجبـة الغـداء.

مارك

* * *

من جولييت إلى مارك

هل تعتبر هذا نوعا من لين الطبع؟

جولييت

* * *

من مارك إلى جولييت

سحقا للين الطبع.

م.

* * *

من ويل ثسبي إلى جولييت

7 أبريل 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

أنا أحد أعضاء جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا، أعمل تاجر حديد وخردوات أثرية رغم أن البعض يعتبرني بائعا للخرق والمعدات البالية. كما أنني أصمم أجهزة تسهل الأعمال اليومية، أحدثها مشجب كهربائي لنشر الثياب، يقوم بتحريك الثياب مع نسمات الريح ليخفف التعب على رسغ غاسلي الثياب.

هل وجدت العزاء في القراءة؟ أجل، لكن ذلك لم يحدث فورا. كنت في البداية أنزوي في ركن هادئ من الغرفة مع فطيرتي، لكن إيسولا أصرت على قراءة كتاب والحديث عنه للآخرين، أسوة بهم جميعا. أعطتني كتابا لتوماس كارلايل بعنوان الماضي والحاضر. كم أضجرني هذا الكتاب وسبّب لي آلاما في رأسي، حتى وصلت إلى الصفحات التي يتحدث فيها عن الدين.

لم أكن يوما رجلا متدينا. ورغم تجوالي كنحلة بين الورود من كنيسة إلى معبد، والعودة إلى الكنيسة ثانية في محاولة لاكتساب

طبع ديني، لم أتمكن من التمسك بخيط العقيدة حتى عرضها كارلايل بهذا الشكل المختلف. كان كارلايل يسير عبر أطلال كنيسة بيري سان إدموندز عندما وافته خاطرة قام بتدوينها كالتالي:

((هل خطر ببالك يوما أن تصمت لأن لدى الرجال روحا، ليس بسبب الإشاعات وحدها، أو لكون ذلك مجرد تعبير مجازي، بل كحقيقة عرفوها وتصرفوا وفقا لها! حقا لقد كان ذلك عالما آخر آنذاك... ومع ذلك فإن ما يدعو للأسف أننا خسرنا ما يدل عليها... وسيكون لزاما علينا أن نبحث عنها من جديد، وإلا فإننا سنبتلى بأسوأ المصائب)).

ألا تعتبرينه أمرا مريعا أننا نعلم عن روحنا من خلال الاستماع لما يشاع عنها بدل أن تعرفيها بنفسك من خلال دلائلها؟ إن كنت أقنع بوجود هذه الروح، فلمَ أرضى بواعظ ديني يدلني عليها عوضا عن الاستماع إلى دلائل تلك الروح في نفسي؟

شاركت الجمعية بأفكاري هذه فأثارت نقاشا طويلا عن الروح؟ هل هناك روح؟ أجل؟ لا؟ ربما؟ كان الدكتور ستابنز أعلانا صوتا حتى هدأ النقاش وبدأ الجميع بالإنصات له.

لدى تومسون ستابنز عقل نيّر وفكر عميق. كان يعمل طبيبا نفسيا في لندن حتى فقد السيطرة على نفسه في العشاء السنوي لجمعية أصدقاء سيغموند فرويد في العام 1934. وقد قصّ علي ما حدث آنذاك. كان أعضاء الجمعية متحدثين صاخبين، وكانت خطاباتهم تستمر لساعات طوال، طالما كانت أطباقهم فارغة. وبمجرد قدوم العشاء، ران الصمت على القاعة بينما بدأ الأطباء يملؤون أفواههم. في إحدى المرات، انتهز تومسون تلك الفرصة فقرع بملعقته على كأسه ونادى بأعلى صوته: «هل طرأ على بال

أي منكم أنه بمجرد ابتعادنا عن الروح ظهر لنا فرويد وقدم الأنا ليحل مكان الروح؟ يا له من توقيت. ألم يتردد لبرهة؟ يا له من شخص مستهتر. أعتقد أن الناس أخذت بهذا الذي نسميه ضمير الأنا لأنها خشيت فقدان الروح؟ ألا تشاركونني الرأي؟».

أدت تلك الخطبة إلى منع ثومسون من حضور اجتماعاتهم للأبد، فرحل إلى غيرنزي ليزرع الخضار. وأجده أحيانا يشاركني عربتي فننطلق بالأحاديث عن الإنسان والخالق وكل ما يدور حولهما. كان سيضيع علي كل هذا لو لم أكن عضوا في جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا.

أخبريني يا آنسة آشتون عن رأيك في هذا الموضوع. إيسولا تعتقد أنه يتوجب عليك زيارة غيرنزي، فإن فعلت فسأدعوك لمشاركتنا العربة، وأحضر لك مسندا لتتكئي عليه.

أطيب التمنيات بصحة وفيرة وسعادة غامرة،

ويل ثسبي

* * *

من السيدة كلارا ساوسي إلى جولييت

8 أبريل 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

لقد سمعت عنك. وكنت في السابق عضوا في جمعية الأدب رغم يقيني أنك لم تسمعي عني. لم أكن أقرأ لأي كاتب راحل، بل كنت أقرأ كتاباتي الشخصية؛ كتاب الطبخ خاصتي، الذي أجج

المشاعر وجعل الدموع تجري أكثر مما استطاع تشارلز ديكنز أن يفعله في كتاباته.

كنت أقرأ عن أفضل الطرق لشوي خنزير صغير. قم بتدليك جسده بالزبدة، ودع الدهون تنزلق من جسده وتطش على النيران أسفلها. كنت أقرأ ذلك بصوت يجعلك تشتمّ رائحة الخنزير وتسمع لحمه وهو يفرقع. قرأت عن الكعكة ذات الطبقات الخمس التي أستخدم فيها دزينة بيض، عن حلوى السكاكر، عن كرات الشوكولاته المحشوة بالشراب، وعن الكعكة الإسفنجية التي أقدمها مع قَدر واف من الكريمة البيضاء. كعك أصنعه من طحين أبيض طيب، لا يُشابه هذا الطحين الملوث بالقشور والحبوب الذي كنا نستخدمه آنذاك.

مع الأسف، لم يعجب ذلك جمهوري الذي استصعب الاستماع لتلك الوصفات اللذيذة، حتى إن إيسولا بريبي، عديمة الأخلاق تلك، صرخت قائلة إنني أعذبها، وإنها سوف تصب اللعنة على أواني الطبخ خاصتي. أما ويل ثيسبي فقد تمنى أن أحترق كما يحترق الكرز عند طبخه لتحضير طبق الحلويات. ثم شتمني تومسون ستابنز حتى اضطر دوزي وإيبين لحراستي لأخرج من المنزل سالمة.

هاتفني إيبين في اليوم التالي ليعتذر عن تصرفات الجمعية موضحا أن معظم الموجودين قد حضروا الاجتماع بعد وجبة تعيسة من شوربة اللفت الخالية حتى من العظم، أو من البطاطا المشوية على سطح ساخن. بسبب عدم وجود السمن لقليها. طلب مني أن أكون متسامحة وأن أصفح عنهم.

لن أفعل ذلك طبعا. لقد شتموني بأسوأ الألفاظ. ولم يكن من بينهم من له شغف حقيقي بالأدب ليفهم أن كتابي هو بحور من

الشعر خطت في قدر للطبخ. أعتقد بأنهم ليسوا سوى مجموعة من الأشخاص الذين سئموا حظر التجول وغيره من القوانين النازية البغيضة، فاختاروا القراءة كعذر للخروج في المساء.

أريد منك أن تكوني صادقة في وصفك لهم في كتابك. فلولا الاحتلال لم يكن لأي منهم أن يلمس كتابا قط. أقسم على ذلك، ولك أن تأخذي بشهادتي في كتابك.

اسمي كلارا س.ا.و.س.ي.

كلارا ساوسي (السيدة)

* * *

من أميليا إلى جولييت

10 أبريل 1946

عزيزتي جولييت،

أنا أيضا يخامرني شعور بأن الحرب مستمرة إلى ما لا نهاية. عندما توفي ابني إيان في العلمين -جنبا إلى جنب مع جون والد إيلاي- كان الزوار يعزونني بقولهم «إن الحياة ستستمر». كنت أقول في نفسي، ما هذا الهراء؟ كيف لها أن تستمر. الموت هو الذي يستمر، فإيان ميت الآن وسيبقى ميتا غدا وفي العام التالي وللأبد. لا نهاية لذلك. لكن قد تكون هناك نهاية للحزن الذي يصاحب الموت. فالحزن غمر العالم كما غمره الماء أثناء الطوفان العظيم، وسيستغرق الأمر وقتا طويلا لينحسر الحزن. بيد أن ثمة بعضا من جزر الأمل بدأت تطفو. هل هي السعادة؟ أو شيء من

هـذا القبيـل. أحببـت صورتـك وأنـت تقفـين عـلى الكـرسي لتسـتمتعي بالقليـل مـن أشـعة الشـمس، متجنبـة النظـر إلى أكـوام الأنقـاض.

إن أبلـغ مـسراتي هـي اسـتئناف جـولاتي المسـائية بالمـشي عـلى طـول المنحـدر، والاسـتمتاع بمنظـر القنـال الإنجليـزي خاليـا مـن الأسـلاك الشـائكة ولوحـات «يمنـع الاقـتراب» الألمانيـة التـي كانـت تتنـاثـر عـلى الشـاطئ. كـما تمـت إزالـة الألغـام مـن شـاطئنا، ويمكننـي الآن أن أسـير أينـما أشـاء ومتـى أشـاء ولأي مـدة أشـاء. وإن وقفـت عـلى الجـرف الصخـري بمواجهـة البحـر، فلـن أرى المسـتودعات الإسـمنتية القبيحـة خلفـي، أو الأرض الجـرداء مـن الشـجر. وليـس بوسـع أحـد أن يدمـر البحـر حتـى الألمـان أنفسـهم.

سـتبدأ زهـور القنـدول الصغـيرة بالنمـو حـول تلـك التحصينـات هـذا الصيـف، وقـد تغطيهـا النباتـات المعرشـة تمامـا في العـام المقبـل. لـن أنـسى أبـدا كيـف بنيـت تلـك التحصينـات، حتـى وإن تجنبـت النظـر إليهـا.

قـام ببنائهـا عـمال السـخرة[25]. لا شـك لـدي بأنـك سـمعت عـن عـمال السـخرة الذيـن اسـتخدمتهم ألمانيـا في القـارة الأوروبيـة، لكـن هـل تعلمـين أن هتلـر أرسـل أكـثر مـن سـتة عـشر ألفـا منهـم إلى جـزر القنـال؟

كان هتلـر مهووسـا بتحصـين هـذه الجـزر حتـى لا تسـتعيدها إنجلـترا أبـدا. كان جنرالاتـه يطلقـون عليـه اسـم «جنـون الجـزر». فقـد مـلأ الشـاطئ بالمدافـع، وحصنـه بحوائـط مضـادة للقنابـل. كـما

(25) Todt Organisation: مجموعة الهندسـة المدنية والعسـكرية في الرايخ الثالث. وقد سميت باسم مؤسسها، فريتز تود، وهو مهندس وشخصية نازية بارزة. وكانت المنظمة مسؤولة عن مجموعة كبيرة من المشاريع الهندسية في ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية وخارجها خلال الحرب. وأصبحت سـيئة السـمعة بسبب إجبارها العمال في البلدان التي احتلتها ألمانيا على أعمال السخرة لدعم الصناعة الألمانية.

بنى مئات المستودعات وزودها ببطاريات المدفعية والأسلحة ومستودعات القنابل، وحفر أميالا من الأنفاق، بالإضافة إلى بناء مستشفى ضخم تحت الأرض، وشبكة قطارات لحمل المواد عبر الجزيرة. كانت التحصينات الساحلية سخيفة جدا، وكانت جزر القنال أفضل تحصينا من الحائط الأطلسي الذي بناه ليمنع هجوم الحلفاء. برزت تلك المباني على كل خليج، وكان من المتوقع أن يدوم الرايخ الثالث لمدة ألف عام، على هيئة خرسانة مسلحة.

ولذلك كان هتلر بحاجة إلى الآلاف من عمال الرقيق؛ فجند الرجال والأولاد، البعض تم اعتقالهم، والبعض الآخر تم التقاطهم من الشوارع وطوابير السينما والمقاهي وأزقة المدن وحقول أي أرض تحتلها ألمانيا. كان من بينهم أيضا سجناء سياسيون من الحرب الأهلية الإسبانية. أما سجناء الحرب الروس فقد تلقوا أسوأ معاملة، ربما بسبب انتصار الروس على الألمان على الجبهة الروسية.

وصل أغلبية عمال الرقيق هؤلاء إلى الجزر في العام 1942 وتم إسكانهم في حظائر مفتوحة وأنفاق وزرائب، والبعض منهم في منازل. كانوا يسيرون إلى أعمالهم في مختلف أنحاء الجزيرة، هزيلي الأجسام ويرتدون سراويلات رثة تكشف عن أجسامهم، بلا معاطف تقيهم غائلة البرد غالبا. لم يكونوا ينتعلون أحذية أو جزما سوى قطع القماش الدامية التي يلفون بها أقدامهم. كانوا صغارا في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، مرهقين ويتضورون جوعا، وبالكاد يستطيعون وضع قدم أمام الأخرى.

كان سكان جزيرة غيرنزي يقفون أمام أبواب منازلهم ليقدموا لهم ما يستطيعون من طعام أو ملبس. وكان الجنود الألمان الذين يحرسون عمال السخرة يسمحون لهم بكسر صفوفهم لأخذ هذه

الهدايا أحيانا، ويمنعونهم أحيانا أخرى بضربهم بأعقاب البنادق فيسقطونهم أرضا.

توفي الآلاف من هؤلاء الرجال والأولاد هنا، وقد علمت مؤخرا أن هذه المعاملة غير الإنسانية كانت سياسة هيملر الذي أطلق على خطته اسم «الموت بالإرهاق» وطبقها على هؤلاء العمال. كان يجهدهم بالعمل، ولا يقدم لهم سوى القليل من الطعام، ويتركهم ليلقوا حتفهم. وكانوا يستبدلون دوما بعمال أرقاء جدد من بلدان أوروبا المحتلة.

كان بعض عمال السخرة يتركون في العراء محاطين بسور من الأسلاك الشائكة، وكانوا شديدي الشحوب يغطي أجسادهم غبار الاسمنت. ولم يكن هناك سوى صنبور ماء واحد للاستحمام لما يزيد على مئة رجل.

عادة ما كان الأطفال يذهبون لمراقبة العمال عبر أسوار الأسلاك الشائكة، وكانوا يمررون الجوز والتفاح عبر فتحات الأسلاك الشائكة، بل والبطاطا أحيانا أخرى. أحد العمال لم يتقبل أخذ الطعام، بل كان يأتي لرؤية الأطفال. فكان يمرر يده عبر الأسلاك الشائكة ليضم وجوههم بين يديه، أو ليربت على رؤوسهم.

كان الألمان يسمحون لعمال السخرة بنصف يوم إجازة في الأسبوع، يوم الأحد. وكان ذلك هو اليوم الذي يفرغ فيه مهندسو الصحة الألمان مياه المجاري في المحيط عبر أنبوب كبير. كان السمك يندفع محتشدا نحو تلك الفضلات، فيقف عمال السخرة لتغطي هذه القذارة صدورهم حتى يتمكنوا من صيد بعض الأسماك وأكلها.

هل يمكن لأي ورود أو عرائش نبات أن تمحو مثل هذه الذكرى؟

لقد سردت لك أبغض قصة في الحرب يا جولييت. تعتقد إيسولا أن عليك زيارة غيرنزي للكتابة عن الاحتلال الألماني. فهي، كما تقول، لا تملك المهارة التي تمكنها من كتابة مثل هذا الكتاب. ورغم معزة إيسولا لدي، فإنني أخشى أن تندفع إيسولا لشراء دفتر ملاحظات تخط فيه هذه القصص بنفسها.

المخلصة لك على الدوام،

أميليا موغري

* * *

من جولييت إلى دوزي

11 أبريل 1946

عزيزي سيد آدامز،

رغم وعدها ألا تخط لي رسالة بعد رسالتها الأولى، ها هي أديليد أديسون تبعث لي برسالة أخرى كرستها لكل الأشخاص والأفعال التي تنتقدها، بما فيها أنت وتشارلز لام.

يبدو أنها جاءتك لتطلب منك توصيل عدد أبريل من مجلة الأبرشية ولم تعثر عليك. فلم تكن تحلب بقرتك أو تحرث أرضك، أو تنظف بيتك أو تمارس أيا من الأعمال التي يتحتم على المزارع الجيد أن يقوم بها. فدخلت مخزن حبوبك ويا لهول ما رأت. فقد وجدتك مستلقيا في مخزن قشك تقرأ كتابا لتشارلز لام. ومن شدة «افتتانك بذاك الكاتب السكير» لم تلاحظ دخول أميليا.

يـا لهـا مـن امـرأة مزعجـة. هـل تعلـم كيـف أصبحـت بهـذا الشـكل؟ أعتقـد بوجـود جنيـة خبيثـة في حفـل تعميدهـا.

عـلى أي حـال، لقـد اسـتهواني منظـرك وأنـت مسـتلق عـلى القـش مـع كتـاب تشـارلز لام وذكـرني بطفولتـي في سـافولكً. كان والـدي مزارعـا هنـاك، وكنـت أسـاعد في أعـمال المزرعـة، رغـم أن جـل عمـلي هـو القفـز خارجـة مـن السـيارة لفتـح البوابـة، ثـم إغلاقهـا والرجـوع إلى السـيارة ثانيـة، بالإضافـة إلى تجميـع البيـض وإزالـة الأعشـاب الضـارة ودرس القـش بالمضرب عندمـا أشـاء.

أتذكـر أننـي كنـت أسـتلقي في مخـزن القـش وأقـرأ كتـاب الحديقـة السريـة The Secret Garden وبجانبـي جـرس البقـر. فأقـرأ نحـو سـاعة ثـم أدق الجـرس طلبا لـكأس مـن شراب الليمـون. لكـن الطباخـة السـيدة هاتشـنز سرعـان مـا سـئمت هـذه الترتيبـات وأخـبرت والـدتي، فـكان ذلـك خاتمـة جـرس البقـر، رغـم أنهـا لم تكـن خاتمـة جلسـات القـراءة عـلى القـش.

اسـتطاع سـيد هيسـتنغز العثـور عـلى السـيرة الذاتيـة لتشـارلز لام التـي كتبهـا أ. ف. لـوكاس. واختـار ألا ينتظـر رأيـك في سـعرها، بـل إرسـالها في الحـال قائـلا: «ليـس عـلى محبـي تشـارلز لام الانتظـار».

صديقتك دوما،

جولييت آشتون

* * *

من سوزان سكوت إلى سيدني

11 أبريل 1946

عزيزي سيدني،

إنني طيبة القلب جدا، لكن إن لم تعد عما قريب فسيصاب تشارلز ستيفنز بانهيار عصبي. إنه غير مهيأ للعمل، بل لتوفير المال ليجعلك تقوم بالعمل. وقد وصل إلى المكتب قبل الساعة العاشرة من صباح أمس، لكن التعب أرهقه فبدا شاحب الوجه في الحادية عشرة، واحتسى كأسا من الويسكي في الحادية عشرة والنصف. وعندما سلمه أحد الموظفين الصغار رزمة أوراق تلزم موافقته عند الظهيرة، كادت عيناه تقفزان من رأسه هلعا وبدأ يردد تلك الحركة المقززة بأذنيه. أقسم إنه سيخسر أذنه يوما ما. وفي الساعة الواحدة غادر إلى المنزل ولم أره اليوم حتى الآن (الساعة الآن الرابعة بعد الظهر).

وفي تطورات تعيسة أخرى، فقدت هارييت مانفريز صوابها، وتريد تنسيق ألوان لائحة الأطفال كلها باللونين الأحمر والزهري. أقسم إنني لا أمزح معك هنا. أما صبي غرفة البريد (لم أعد أهتم بمعرفة أسمائهم) فقد شرب حتى ثمل، ورمى كل الرسائل الموجهة لأي شخص يبدأ اسمه بحرف السين. ولا أعلم سبب ذلك. كانت الآنسة تيلي فظة للغاية مع كيندريك، حتى إنه حاول ضربها بهاتفها. لا ألومه على ذلك، لكن الهاتف جهاز يصعب الحصول عليه، ولا نستطيع أن نتخلى عنه. يجب أن تفصلها من العمل بمجرد عودتك.

إن كنت في حاجة إلى حافز آخر لحجز تذكرة طيران للعودة إلى لندن دعني أخبرك بأنني رأيت جولييت ومارك رينولدز في مقهى باريس ذلك المساء وكانت الحميمية واضحة عليهما. كان الستار

المخملي يغطي طاولتهما، لكنني استطعت من مقعدي في الجزء المكتظ من المقهى أن أستشف كل بوادر الرومانسية. كان يهمس في أذنها، وكانت يدها قريبة من يده بجانب كأس شرابه، كما كان كتفه يلامس كتفها ليدلها على صاحب له في المقهى. وجدت من واجبي (كموظفة مخلصة لديك) أن أقطع حبل هذه العلاقة، فتوجهت نحوهما لأحيي جولييت. بدت سعيدة بلقائي ودعتني لمشاركتهما العشاء، لكن ابتسامة مارك أفصحت عن عدم رغبته في تلك المشاركة، فتركتهما وحدهما. رغم ربطة عنقه الجميلة، ليس مارك بالشخص الذي يجدر إغضابه، فابتسامته هذه تحذير واضح، وسينكسر قلب أمي إن تم العثور على جثتي طافية في نهر التيمز.

بعبارات أخرى، اركب كرسيا متحركا، استخدم عكازات، دع حمارا يحملك، المهم هو أن تعود إلى الوطن الآن.

المخلصة،

سوزان

* * *

من جولييت إلى سيدني وبيرس

12 أبريل 1946

عزيزيّ سيدني وبيير،

إنني أنقب مكتبات لندن بحثا عن معلومات عن غيرنزي. لا بل إنني حجزت تذكرة لغرفة القراءة رغم خوفي من ذلك المكان، وهذا يدل على مقدار إخلاصي في عملي.

استطعت الحصول على كمّ كبير من المعلومات. هل تتذكران سلسلة كتب تعيسة في العشرينيات من القرن العشرين بعنوان أ. ترامب في سكاي أو أ. ترامب في ليندسفارنه أو في شيبولم أو أي ميناء رسا فيه قارب الكاتب؟ في العام 1930، أبحر كاتبنا نحو غيرنزي ورسا بقاربه في سان بيتر بورت وكتب عنها (بما في ذلك عن رحلات نهارية إلى سارن وهيرم وألديرني وجيرسي حيث جرحته بطة واضطر للعودة إلى داره).

كان اسم ترامب الحقيقي سي سي ميريدث، وكان أحمقَ يعتقد بأنه شاعر، وكان من الغنى بما يكفيه للإبحار إلى أي بلد والكتابة عنه. ثم نشر ما كتبه على نفقته الخاصة ومنح نسخة لكل صديق مستعد لأخذها. لم يهتم سي سي بالحقائق المملة، وفضل أن يتجه إلى أقرب مستنقع أو شاطئ أو حقل زهور ليبدأ رحلته مع ملهمته. لكنني أشكره على أي حال، فقد منحني كتابه أ. ترامب في غيرنزي ما أحتاج إليه من معلومات لكي أتعرف على طابع الجزيرة.

رسا قارب سي سي في سان بيتر بورت فترجل منه تاركا والدته دوروثي تتخبط في المياه المتجاورة، وتتقيأ في بيت الدفة. كتب سي سي في غيرنزي شعرا في أزهار الفريزيا والنرجس البري. كما كتب عن الطماطم. كان معجبا بأبقار غيرنزي وجواميسها، وألف شعرا لتمجيد أجراسها «تنكل تنكل يا له من صوت مفرح». كما حاز شعب غيرنزي على إعجابه أيضا، بالدرجة الثانية بعد أبقاره، ووصفهم كالتالي: «شعب القرى البسيط الذي لا يزال يتحدث باللهجة النورماندية ويؤمن بالجنيات والسحرة». توغل سي سي في روح الجزيرة وأصبح يرى الجن في الغسق.

بعد أن طاف على الأكواخ والأسيجة والأسواق، وصل سي سي

أخيرا إلى البحر الذي وصفه بأنه: «كبير. تجده في كل مكان. أما مياهه فهي زرقاء، لازوردية، زمردية، مطعمة بخيوط الفضة، عندما لا تكون قاسية ومظلمة كصندوق مسامير فولاذية».

لحسن الحظ كان لترامب شريكة في الكتابة أعقل منه هي دوروثي التي كرهت كل ما في الجزيرة. كانت مهمتها وصف تاريخ الجزيرة، ولم تكن تزين الحقائق بل تطرحها كما هي:

أما عن تاريخ غيرنزي فخير الكلام ما قل ودل. كانت الجزيرة تابعة لدوقية نورماندي، لكن عندما أصبح وليام دوق نورماندي وليم الفاتح، أخذ جزر القنال وكأنها أملاكه الخاصة وسلمها إلى إنجلترا مع مزايا خاصة. وزاد الملك جون لاحقا هذه المزايا، كما زادها بعد ذلك إدوارد الثالث. لِمَ كان هذا كله؟ ما الذي فعلته الجزر لتحوز هذه المزايا؟ لا شيء البتة. وبعد ذلك، عندما خسر هنري السادس، ذلك الملك الضعيف، معظم فرنسا، اختارت جزر القنال البقاء تابعة لتاج إنجلترا. ولم لا؟

لذا فإن ولاء الجزر وحبها للتاج الإنجليزي هو من اختيارها، لكن عليك أن تدرك، سيدي القارئ، أن التاج لا يستطيع إرغامهم على فعل ما لا يريدون فعله.

يطلق على الهيئة الحاكمة في غيرنزي اسم هيئة المداولة، وتختصر باسم الهيئة. ويرأس كل ذلك رئيس الهيئة الذي تنتخبه الهيئة نفسها ويدعى المأمور. في الواقع ينتخب كل أعضاء الهيئة ولا يتم تعيينهم من جانب الملك. بالله عليك ما دور الملك إن لم يكمن في تعيين الأشخاص مراتبهم؟

أما ممثل المملكة الوحيد في هذا الخليط غير المقدس فهو القائم مقام. وبينما يسمح له بحضور اجتماعات الهيئة والمشاركة

في الحوار وإبداء الرأي، لكنه لا يملك حق التصويت. ويسمح له بالإقامة في السرايا على الأقل وهو القصر الوحيد الذي يعتد به في غيرنزي، إن لم تأخذ بيت عزبة ساوزماريس بالحسبان، الذي لا أعده جديرا بالمقارنة.

لا يحق للملك فرض الضرائب على الجزر، أو التجنيد الإلزامي. من الواجب علي في سبيل الحق أن أعترف أن سكان الجزر لا يحتاجون إلى التجنيد الإلزامي ليحاربوا في سبيل إنجلترا العزيزة. فقد تبرعوا في الحرب، وكان من بينهم جنود وبحارة قديرون بل شجعان، وقفوا في وجه نابليون والقيصر. لكن يجب أن تأخذ بعين الاعتبار أن هذه التصرفات الكريمة لا تشفع لهم إزاء حقيقة عدم دفعهم لأي ضرائب لإنجلترا، ولا حتى قرش واحد. إن من شأن ذلك أن يجعل المرء يبصق عليهم.

كانت هذه من كلماتها الأكثر طيبة، وسأجنبك ما بقي منها رغم أنك أدركت الآن توجهها العام.

يجب على أحدكما، بل كليكما، أن تراسلاني. أريد أن أعرف أخبار المريض والممرض. ما رأي طبيبك في رجلك؟ أقسم يا سيدني إنه كان بمقدورك زراعة رجل جديدة في هذا الوقت.

جولييت

* * *

من دوزي إلى جولييت
15 أبريل 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

لا أعلم ما خطب أديليد أديسون. تقول إيسولا إنها امرأة مزعجة لأنها تريد أن تكون امرأة مزعجة، فذلك يعطيها إحساسا بالقدر. لكن أديليد صنعت لي معروفا واحدا، أليس كذلك؟ فقد أخبرتك عن مقدار استمتاعي بتشارلز لام بشكل أفضل من قدرتي على شرح ذلك.

وصلت السيرة الذاتية. وقرأتها بسرعة لأن صبري لا يحتمل غير ذلك. لكنني سأعود وأقرؤها بتأنٍّ مرة ثانية حتى أستوعب كل ما جاء فيها. يعجبني وصف لوكاس للام بأنه «يستطيع تحويل الأشياء العادية والبسيطة إلى أشياء جميلة وحية». تشعرني كتابات لام وكأنني جزء من الحياة في لندن أكثر من شعوري بانتمائي إلى الحياة في سان بيتر بورت.

ما يستعصي علي تخيله هو منظر تشارلز عائدا لمنزله بعد يوم عمل ليجد والدته مقتولة ووالده ينزف دما، بينما تقف أخته ماري فوقهما مع سكينها الدامية. كيف استطاع أن يدخل الغرفة لينتزع السكين من يديها؟ وبعد أن أودعتها الشرطة دار المجانين، كيف أقنع قاضي المحكمة بأن يفرج عنها لتكون في رعايته هو وحده؟ كان يبلغ الحادية والعشرين من العمر. كيف استطاع إقناعهم بذلك؟

وعدهم بأن يعتني بماري بقية حياتها، وبمجرد أن أخذ هذه المسؤولية على عاتقه، لم يحد عنها قط. من المحزن أنه اضطر

لـترك كتابـة الشـعر الـذي أحبـه ويتجـه لكتابـة النقـد والمقـالات لكسـب المـال، رغـم عـدم احترامـه لذلـك النـوع مـن الكتابـة.

فكـر في حياتـه واضطـراره للعمـل ككاتـب في شركـة الهنـد الشرقيـة ليوفـر المـال حتـى يسـتطيع إيـداع مـاري منـزلا خاصـا لرعايتهـا كلـما دعـت الحاجـة، وقـد دعـت الحاجـة مـرارا.

كان يشـتاق إليهـا حينـذاك، فقـد كانـا صديقـين. هـل تتخيلـين كيف كان عليـه مراقبتهـا تأهبـا لظهـور أعـراض الجنـون التـي تعرفهـا هـي بنفسـها، ولا تملـك السـبيل لإيقافهـا. لا بـد أن ذلـك كان أمـرا مريعـا. أتخيلـه جالسـا هنـاك ليراقـب تصرفاتهـا بالخفـاء تحسـبا لأي طـارئ، وأتخيلهـا هـي أيضـا تراقبـه وهـو يراقبهـا. لا بـد أنهـما كرهـا الحيـاة التـي اضطـر كل منهـما لأن يحياهـا.

لكـن ألا تـرى أنـه عندمـا كانـت مـاري بكامـل قواهـا العقليـة، لم يكـن هنـاك مـن هـو أعقـل منهـا أو أفضـل صحبـة؟ تشـارلز كان يعتقـد ذلـك بـلا شـك، كـما يوافقـه جميـع أصدقائهـم: ووردزوورث وهازلـت ولي هانـت، وبالأخـص كولـيرج. عندمـا تـوفي كولـيرج تـم العثـور عـلى سـطر كتبـه بحاشـية أحـد الكتـب التـي كان يقـرؤهـا: «تشـارلز ومـاري لام. كـم هـما عزيـزان عـلى قلبـي».

ربمـا أسـهبت في الكتابـة عـن تشـارلز لام هنـا، لكننـي أردت منـك ومـن سـيد هيسـتنغز أن تـدركا كيـف استحوذت هـذه الكتـب عـلى تفكـيري وكـم اسـتمتعت بهـا.

اسـتمتعت أيضـا بقصـة طفولتـك؛ الجـرس والقـش. أسـتطيع تخيلهـا في عقـلي. هـل أعجبتـك الحيـاة في المزرعـة؟ هـل تشـتاقين لهـا؟ إن الحيـاة في غيرنـزي ليسـت بعيـدة عـن الحيـاة في الريـف، ولا حتـى في سـان بيـتر بـورت. لذلـك لا أسـتطيع تخيـل الفـرق بينهـا وبـين الحيـاة في مدينـة كبـيرة مثـل لنـدن.

أصبحت كيت تكره النموس بعد أن عرفت أنها تأكل الثعابين. هي تأمل في العثور على أفعى الأصلة العاصرة أسفل صخرة ما. زارتني إيسولا اليوم، وهي وتبعث لك بسلامها وستراسلك بمجرد نضج أعشابها، إكليل الجبل والزعتر والشبت وعشب البنج.

المخلص،

دوزي آدامز

* * *

من جولييت إلى دوزي

18 أبريل 1946

عزيزي دوزي،

كم يسعدني أنك تود الحديث عن تشارلز لام في رسائلك. لطالما أحسست بأن متاعب ماري جعلت من تشارلز كاتبا عظيما، حتى وإن اضطر لأن يتخلى عن كتابة الشعر ويعمل ككاتب في شركة الهند الشرقية. وهو يملك عبقرية في التعاطف لا يجاريه فيها أي من زملائه. عندما وبخه ووردزوورث لعدم اهتمامه بالطبيعة، كتب تشارلز يقول: «لا شغف لدي بالبساتين والوديان. ألا يكفيني ما لدي هنا؟ الغرف التي ولدت فيها، قطع الأثاث التي أراها طيلة حياتي، خزانة الكتب التي تبعتني كالكلب الوفي أينما رحلت، المقاعد القديمة، الشوارع القديمة، الساحات استمتعت فيها بضوء الشمس، مدرستي القديمة. ألا يغنيني كل هذا عن جبالك؟ إنني لا أحسدك، بل يجب أن أشفق عليك. ألست أدري أن العقل يمكنه

تكوين صداقة مع أي شيء يريده؟» عقل يمكنه أن يكون صداقة مع أي شيء. لكم فكرت في هذا أثناء الحرب!

عثرت اليوم بالمصادفة على قصة جديدة عن تشارلز لام. كان كثير الشرب، مبتذلا في ذلك، لكنه لم يكن سكيرا نكدا. في أحد الأيام، اضطر خادم مضيفه أن يوصله لمنزله وهو يحمله على كتفه كما يحمل رجل الإطفاء من يريد إنقاذه. وفي اليوم التالي، كتب تشارلز لمضيفه رسالة اعتذار مضحكة، تركها الرجل لابنه في وصيته. أتمنى أن يكون تشارلز قد كتب للخادم أيضا.

هل لاحظت كيف يؤدي اهتمامك بشخص جديد إلى أن تجد اسم هذا الشخص أينما كنت؟ صديقتي صوفي تطلق على ذلك محض مصادفة، أما صديقي الكاهن سمبلز فيعتبرها عناية إلهية. وهو يعتقد أن اهتمامنا الصادق بشخص أو شيء جديد يبعث في العالم طاقة معينة تؤدي إلى «كسب ثمرة» هذا الاهتمام.

المخلصة دوما،

جولييت

* * *

من إيسولا إلى جولييت

18 أبريل 1946

عزيزتي جولييت،

بما أننا أصبحنا أصدقاء بالمراسلة، أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة الشخصية. يعتقد دوزي أن هذا تصرف غير مقبول، أما أنا

فأعتقد أن هذا ما يميز الرجال عن النساء. طيلة خمسة عشر عاما، لم يطرح دوزي أي سؤال شخصي علي. سأتقبل أسئلته إن وجهها إلي، لكن لدوزي شخصية أخرى أكثر هدوءا، ولا أتوقع أنني سأغير من شخصيته تلك، أو أن شخصيتي ستتغير. لكنني وجدت أنك مهتمة بأن تتعرفي علينا، ولذلك رجحت أنك تريدين أن نتعرف عليك، رغم أنك لم تفصحي عن ذلك.

أولا- رأيت صورة لك على الغلاف الخارجي لكتابك عن آن برونتي، لذلك أعرف أنك لم تتجاوزي الأربعين من عمرك. كم يبلغ عمرك؟ هل كنت تواجهين الشمس أم أن لديك حولا؟ هل هو حول دائم؟ لا بد أنه كان يوما عاصفا لأن خصلات شعرك المتماوجة كانت ترفرف حول وجهك. لم أستطع رؤية لون شعرك لكن يمكنني القول إنه ليس أشقر، وأنا سعيد لذلك. فأنا لا أحب الشقراوات البتة.

هل تسكنين بجانب النهر؟ آمل ذلك لأن من يعيشون قرب ماء جار أطيب من سواهم. لو كنت أسكن بعيدا عن البحر لأصبحتً لعينة جدا. هل لديك معجب يرغب بالزواج منك؟ أما أنا، فليس لدي معجب.

هل تسكنين في شقة صغيرة ومريحة؟ أم هل لديك سكن فخم؟ أتمنى أن تكون شقة كبيرة لأتمكن من تصورها في مخيلتي. هل تحبين زيارتنا في غيرنزي؟ هل تمتلكين حيوانا أليفا؟ أي نوع من الحيوانات؟

صديقتك،

إيسولا

* * *

من جولييت إلى إيسولا
20 أبريل 1946

عزيزتي إيسولا،

كـم تسـعدني رغبتـك في معرفـة المزيـد عنـي، ولا يؤسـفني سـوى أننـي لم أفكـر في ذلـك مـن قبـل.

لنبـدأ بالزمـن الحـاضر: أبلـغ مـن العمـر ثلاثـة وثلاثـين عامـا، وقـد كنـت عـلى حـق، لأننـي كنـت أواجـه الشـمس. عندمـا أكـون في حالـة مزاجِيـة جيـدة، أصـف شـعري بالكسـتنائي ذي الخصـلات الذهبيـة. أمـا عندمـا أكـون في مـزاج سـيئ، فـأراه بنيـا فاتحـا أو أقـرب إلى الرمـادي. لم يكـن يومـا عاصفـا، بـل إن ذلـك هـو شـكل شـعري الدائـم. إن الشـعر المجعـد بطبيعتـه مزعـج جـدا، وإيـاك أن تصدقـي مـن يخـبرك بغـير ذلـك. عينـاي بلـون البنـدق. ورغـم أننـي نحيلـة، لكننـي أقـصر مـما كنـت أتمنـى.

لم أعـد أعيـش بالقـرب مـن نهـر التيمـز، وهـذا أكـثر مـا أشـتاق إليـه مـن بيتـي القديـم حيـث أحببـت منظـر النهـر وصوتـه عـلى مـدار اليـوم. أعيـش حاليـا في شـقة مسـتأجرة في شـارع غليـب. هـي شـقة صغـيرة ومفروشـة بـشيء بسـيط مـن الأثـاث. لن يعـود صاحبهـا الأصلي مـن الولايـات المتحـدة قبـل شـهر نوفمـبر المقبـل، وحتـى ذلـك الحـين، أنـا المسـؤولة عـن المـكان. أود لـو كنـت أملـك كلبـا، لكـن إدارة المبنـى لا تسـمح بالحيوانـات الأليفـة. لا تبعـد عنـي حدائـق كنسـنغتون كثـيرا، وحـين يضيـق عـلي المـكان، أذهـب إليهـا سـيرا عـلى الأقـدام وأسـتأجر مقعـدا مقابـل شـلن واحـد، وأسـترخي تحـت الأشـجار لأراقـب المـارة والأطفـال يلعبـون في الحديقـة، فيريحنـي ذلـك عـلى نحـو مـا.

دمر صاروخ من نوع[26] (V-1) أطلق بصورة عشوائية مجموعة منازل (البلوك) رقم 81 في شارع أوكلي قبل عام. لحقت معظم الأضرار بصف المنازل الواقعة خلف شقتي، لكن ثلاثة صفوف من البلوك 81 دمرت وأصبحت شقتي كومة من الركام. أتمنى أن يعيد صاحبها سيد غرانت بناءها لأنني أرغب باسترجاع شقتي كما كانت، أو بأقرب شكل ممكن لما كانت عليه، لأطل ثانية على النهر وممشى شين.

لحسن حظي كنت في بيري عندما أصاب الصاروخ المنطقة. وعند عودتي ذلك المساء، وجدت سيدني ستارك، صديقي وناشر كتبي، في انتظاري بمحطة القطار وذهبنا معا لرؤية كومة الحطام التي آل إليها منزلي.

كان جزء من الحائط قد تهدم، فاستطعت أن أرى ستائري الممزقة تلاعبها الرياح ومكتبي منهارا بأرجله الثلاث على ما تبقى من الأرضية المائلة. أما كتبي فقد تحولت إلى كومة من الطين، ورغم أنني تمكنت من العثور على صورة والدتي مغطاة بالسخام ومتدلية من الحائط، لكن الوصول إليها لاسترجاعها لم يكن ممكنا. كان الشيء الوحيد المتبقي على حاله مثقلة الورق البلورية الكبيرة، والتي نحتت عليها عبارة انتهز الفرصة[27] Carpe-Diem. كانت من أملاك والدي وها هي سليمة دون أي كسر، فوق كومة من الطوب المحطم والخشب المتشقق. لم أتمكن من تركها هناك، فتسلق سيدني فوق الحطام لاسترجاعها.

(26) أطلق عليه شعبيا اسم «القنبلة الطائرة» أو «القنبلة الطنانة». صاروخ ألماني نفاث من الحرب العالمية الثانية، ويعتبر أيضا باكورة صواريخ كروز الحديثة. كان نصيب لندن من هذه الصواريخ حوالي 8000 خلال الحرب، أصاب حوالي 2400 منها منطقة الهدف.

(27) Carpe Diem: قول مأثور لاتيني مأخوذ من الكتاب الأول للشاعر الروماني هوراس «قصائد غنائية»، ويترجم أيضا «اغتنم يومك» و«تمتع بحاضرك».

كنت طفلة ظريفة نوعا ما حتى سن الثانية عشرة عند وفاة والديّ. وقد رحلت عن المزرعة آنذاك وذهبت للعيش مع أحد أقربائي في لندن. هناك أصبحت فتاة غاضبة عنيفة وساخطة. وقد هربت من المنزل مرتين، مسببة أذى كبيرا لعمي، وكنت في ذلك الوقت سعيدة بذلك. أما الآن فأجدني خجلة من معاملتي له، وقد توفي وأنا في السابعة عشرة من العمر، وهكذا لم تتح لي الفرصة للاعتذار منه.

عندما بلغت الثالثة عشرة من العمر، قرر عمي أن يسجلني في مدرسة داخلية. وعندما ذهبت هناك كنت عنيدة في مقابلتي لناظرة المدرسة. فعندما اصطحبتني إلى قاعة الطعام، وأجلستني بجانب أربع فتيات، جلست مكتوفة الأيدي أراقب من حولي كنسر منتوف الريش، متحفزة للعثور على من أصب عليه جام غضبي. وقعت عيناي على صوفي ستارك، أخت سيدني الصغيرة.

كانت كاملة الأوصاف. كان شعرها ذهبيا مجعدا، وعيناها زرقاوين كبيرتين، وكانت ابتسامتها عذبة جدا. حاولت جاهدة أن تحادثني لكنني لم أجبها حتى قالت: «أرجو أن تكوني سعيدة معنا هنا». فأجبتها بأنني لن أبقى طويلا لمعرفة ذلك. قلت لها: «بمجرد علمي بمواعيد القطارات سأهرب من هنا».

في تلك الليلة تسلقت إلى سقف المهجع ممنية نفسي بالجلوس في سكينة في ظلمة الليل. وما هي إلا لحظات حتى جاءتني صوفي ومعها جدول مواعيد القطارات.

لا داعي لإخبارك بأنني لم أهرب من المدرسة بل بقيت هناك مع صديقتي الجديدة صوفي. ولطالما دعتني والدتها لقضاء العطلات في منزلهم حيث التقيت بسيدني. كان يكبرني بعشر سنوات، وكنت

أنظر إليه على أنه بطل. تغير منظوري بعد ذلك ورأيته شقيقا كبيرا متسلطا، ثم تغير بعد ذلك وأصبحت أراه من أعز أصدقائي.

بعد قضاء فترة الدراسة لم نكن نرغب في المزيد من الحياة الأكاديمية، بل أردنا تجربة الحياة نفسها. توجهنا أنا وصوفي إلى لندن للعيش في غرف مشتركة ساعدنا سيدني في الحصول عليها. عملنا معا في محل لبيع الكتب لفترة من الزمن، وبدأت أكتب قصصا في الليل، أقوم برميها بعد ذلك.

بعدها جاء اليوم الذي أعلنت فيه صحيفة الديلي ميرور Daily Mirror مسابقة في كتابة المقال، محددة حجمه بخمسمئة كلمة عن «أكثر ما تخشاه النساء». كنت أعلم ما الذي كانت المجلة تطمح إلى نشره، لكنني كنت أخاف الدجاج أكثر من خوفي من الرجال، فكتبت في هذا الموضوع. ولسعادتهم لأنهم لم يضطروا أن يقرؤوا المزيد عن الجنس، منحني الحكام الجائزة الأولى. خمسة جنيهات وها أنا ذي أصبحت صاحبة مقال منشور. أخذت رسائل المعجبين تنهال على الصحيفة فكلفتني كتابة مقال تلو الآخر. وسرعان ما بدأت بكتابة مقالات خاصة لمجلات وصحف أخرى. وعندما اندلعت الحرب، عرض علي كتابة عمود شبه أسبوعي لمجلة السبكتيتر Spectator بعنوان «إيزي بيكرستاف تذهب للحرب». تعرفت صوفي على طيار اسمه ألكساندر ستريكن ووقعت في حبه. تزوجا وذهبت صوفي للإقامة في مزرعة عائلته في اسكتلندا. أصبحت أنا الأم الروحية لابنهما دومينيك. ورغم أنني لم ألقنه أيا من التراتيل الروحية، لكننا تعاونا بقلع مفاصل باب القبو في بيتهم في آخر زيارة لي. كان كمينا كلتيا.[28].

(28) من الكلت أو Celt، وهي الشعوب التي كانت تسكن أوروبا في العصر الحديدي.

أعتقـد أن لـدي معجبا يرغـب بالـزواج منـي، لكننـي لم أعتـد عليـه بعـد. إنـه جـذاب جـدا ويمطـرني بوجبـات لذيـذة، لكننـي أعتقـد أحيانـا أنني أفضل قصـص الحـب في الكتـب عـلى تلـك التـي أعيشـها. مـا أفظـع هـذا إن كنـت محقـة. يـا لهـا مـن رجعيـة في التفكـير وجـبن وتخلـف عقـلي.

نـشر سـيدني كتابـا يحـوي مقـالاتي «إيـزي بيكرسـتاف»، فقمـت بجولـة للترويـج لكتـابي. ثـم بـدأت بكتابـة رسـائل لغربـاء في غيرنـزي، سرعـان مـا أصبحـوا أصدقـاء، أرغـب بالفعـل بزيارتهـم.

المخلصة دوما،

جولييت

* * *

من إيلاي إلى جولييت

21 أبريل 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

أشـكرك عـلى قطـع الخشـب التـي أرسـلتها لي. إنهـا جميلـة. لم أصـدق مـا رأتـه عينـاي عندمـا فتحـت الصنـدوق، كل تلـك الأحجـام ودرجـات اللـون مـن الفاتـح إلى الداكـن.

كيـف تمكنـت مـن الحصـول عـلى هـذه القطـع المختلفة؟ لا بـد أنك ذهبـت إلى العديـد مـن الأماكـن للحصـول عليهـا. لا شـك لـدي أنـك قمـت بذلـك، ولا أملـك الوسـيلة لتقديـم امتنـاني لـك. وقـد تسـلمتها في الوقـت المناسـب جـدا. كان حيـوان كيـت المفضـل هـو الثعبـان الـذي

رأت صورته في كتاب ما، وكان يسهل نحته لأنه طويل ونحيل. أما الآن فقد انتقل عشقها إلى النموس، وتعدني بأنها لن تلمس سكيني الذي أستخدمه في النحت إن نحت لها نمسا. لا أعتقد أن الأمر شاق جدا، فالنمس مدبب الجسم أيضا، وبفضل هديتك، لدي ما يكفي من الخشب للتمرن على نحته.

هل هناك حيوان معين ترغبين في الحصول عليه؟ أريد أن أنحت لك شيئا، وأفضل إن كان ذلك شيئا تحبينه. هل تحبين الفئران؟ إنني ماهر في نحت الفئران.

المخلص،

إيلاي

* * *

من إيبين إلى جولييت

22 أبريل 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

وصل الصندوق الذي أرسلته لإيلاي اليوم؛ يا للطفك. يجلس إيلاي لدراسة قطع الخشب، وكأنه يرى شيئا مخفيا داخلها، وبالفعل يستطيع أن يخرج ما كان مخفيا بواسطة سكينه.

سألتني إن كان قد تم إخلاء جميع أطفال غيرنزي. لا. بقي بعضهم هنا، وعندما افتقدت إيلاي كنت أنظر إلى من بقي منهم حولنا، وأحمد ربي على رحيل إيلاي لأن الأطفال هنا مروا بأوقات صعبة لندرة الطعام الذي يحتاجون إليه لينموا. أتذكر ابن بيل

لوبيل ذا الثانية عشرة من العمر الذي لم يزن أكثر من صبي في السابعة.

كان القرار صعبا بين أن تبعث بأطفالك للعيش مع أغراب، أو أن تتركهم حيث هم عندك. قد لا يأتي الألمان، لكن إن حضروا بالفعل، فكيف ستكون معاملتهم لنا؟ لكنهم قد يغزون إنجلترا أيضا. كيف يمكن لأطفالنا حينذاك أن يتدبروا أمورهم بعيدا عن أهلهم؟

هل تعرفين الحال التي كنا عليها عندما حضر الألمان؟ كنا مصدومين. لم نكن نعتقد أنهم يريدوننا حقا. كانوا يريدون إنجلترا ولم يكونوا في حاجة لنا. اعتقدنا بأننا سنكون كجمهور يتابع الحدث من بعيد، ولم نتخيل أننا سنكون على خشبة المسرح نفسه.

في ربيع العام 1940 اجتاح هتلر أوروبا مقطعا أوصالها كما تقطع سكين حادة قطعة من الزبدة. وقعت كل الأماكن تحت يده بسرعة قصوى، وأخذت شبابيك غيرنزي بالاهتزاز من تأثير الانفجارات في فرنسا. وبمجرد سيطرة الألمان على سواحل فرنسا، أصبح من الواضح أن إنجلترا لن تستخدم جنودها وسفنها للدفاع عنا، بل ستحافظ عليها درءا للغزو المحتوم.. ووجدنا أنفسنا بلا دفاع يذكر.

في أواسط شهر يونيو، عندما تأكد تماما أننا أصبحنا عرضة للغزو الألماني، اتصلت هيئة المداولة في غيرنزي بلندن للاستفسار عن ضرورة إرسال سفن لتأخذ أطفالنا إلى إنجلترا. لم يكن استخدام الطيران ممكنا خوفا من إسقاط سلاح الجو الألماني طائراتهم. وافقت لندن على ذلك، وكان يجب تحضير الأطفال فورا، وكان على السفن الإسراع في الوصول إلى غيرنزي والعودة ثانية قبل تفاقم الأمور. كانت أوقاتا بائسة وشعور العجلة يملأ الجو.

لم تكن جين قوية في ذلك الوقت، لكنها صممت على أن يرحل إيلاي. كان غيرها في حيرة من أمرهم: هل نرحل الأطفال أم نبقيهم؟ لكن جين أبلغت إليزابيث أن تبعد هؤلاء الناس عنها فلم تكن تريد الاستماع لضجتهم، وقالت إن ذلك «مضر للجنين». كانت جين ترى أن الأطفال يعون كل ما يجري حولهم، حتى قبل ولادتهم.

لكن زمن الحيرة ولى سريعا، ولم يكن أمام العائلات أكثر من يوم ليتخذوا القرار، وخمسة أعوام ليتحملوا نتائج هذا القرار. كان أول من رحل هم الأطفال الصغار ممن هم في سن الدراسة مع أمهاتهم في التاسع عشر والعشرين من يونيو. قدمت هيئة المداولة في غيرنزي مصروف جيب للأطفال إن لم يتوفر ذلك لأهاليهم. كان الأطفال الأصغر سنا متحمسين لما سيتمكنون من شرائه من حلويات بهذه النقود. واعتقد بعضهم أن هذه الرحلة مثل الرحلات المدرسية التي يقومون بها في أيام العطل، وأنهم سيعودون إلى منازلهم مع حلول المساء. كان هؤلاء الأطفال محظوظين. لكن الأطفال الأكبر سنا كانوا يدركون ما يعنيه هذا، وكان إيلاي أحدهم.

هناك صورة محفورة في ذاكرتي من بين العديد من الصور التي رأيتها يوم رحيلهم. طفلتان صغيرتان بلباس جميل وكأنهما أعدتا للذهاب لحفلة ما. كانتا ترتديان فساتين وردية بتنورة داخلية، وأحذية لماعة حول رجليهما. لا بد أنهما شعرتا بالبرد الشديد عند عبورهما القنال.

كان على أولياء الأمور إيصال أبنائهم إلى المدرسة وتوديعهم هناك. ثم أرسلت حافلات لنقل الأطفال إلى الميناء. وقد عبرت

القوارب التي وصلت للتو إلى دنكيرك القناة لاصطحاب الأطفال. لم يكن هناك وقت كاف لترتيب موكب ليرافق الأطفال. ولم يكن هناك وقت كاف لتزويد السفينة بقوارب نجاة أو سترات نجاة كافية.

في صباح ذلك اليوم، مررنا بالمستشفى أولا كي يودع إيلاي والدته، لكنه يتمكن من ذلك. كان فمه مطبقا بشدة، ولم يتمكن إلا من أن يودعها بإيماءة من رأسه. احتضنته جين لمدة قصيرة ثم سرنا به، أنا وإليزابيث، إلى ساحة المدرسة. هناك احتضنته بعنف، وكانت آخر مرة آراه فيها لمدة خمس سنوات. بقيت إليزابيث لأنها تبرعت بالمساعدة في تجهيز الأطفال للرحيل.

في طريق عودتي إلى المستشفى لأكون مع جين، تذكرت شيئا أخبرني به إيلاي ذات مرة. كان يبلغ من العمر خمس سنوات، وكنا نتمشى عند لا كوربيير لمراقبة وصول سفن الصيد. كان هناك حذاء سباحة كتاني قديم مرمي في عرض الطريق. سار إيلاي حوله محدقا فيه، وقال أخيرا: «هذا الحذاء وحيد يا جدي». فأجبته بنعم. ثم أكمل بعد برهة: «لن أكون كذلك أبدا يا جدي»، فسألته عما يعنيه، وقال «لن أكون أبدا وحيدا في روحي».

ها أنا قد عثرت على شيء سار لأخبر جين به، ودعوت أن يستمر إيلاي في شعوره هذا.

تقول إيسولا إنها تود أن تخبرك بنفسها عن الأحداث التي وقعت داخل المدرسة.، وتؤكد أنها شهدت أحداثا لا بد أنها تهمك كمؤلفة. فقد صفعت إليزابيث أديليد أديسون على وجهها وأجبرتها على الرحيل. إنك لا تعرفين الآنسة أديسون، لحسن حظك، فهي امرأة صعبة العشرة.

أخبرتنـــي إيســولا بأنــك قــد تأتــين لزيــارة غيرنــزي. يســعدني أن أســتضيفك في منــزلي مــع إيــلاي.

المخلص،

إيبين رامزي

* * *

برقية من جولييت إلى إيسولا

هــل صفعــت إليزابيــث أديليــد أديســون حقــا؟ يــا ليتنــي كنــت معكــم. أرجــو أن تمطرينــي بالتفاصيــل. مــع حبــي، جولييــت.

* * *

من إيسولا إلى جولييت

24 أبريل 1946

عزيزتي جولييت،

أجل. صفعتها على وجهها. كان شيئا ممتعا.

كنـا جميعـا في مدرسـة سـان بريـوك لمسـاعدة الأطفـال عـلى ركـوب الحافـلات التـي سـتأخذهم للسـفن. لم ترغـب هيئـة المداولـة في غيرنزي أن يحـضر أهــالي الأطفــال إلى المدرســة لأن ذلــك سيســبب ازدحامــا ويثـير الأحـزان. كان مـن الأفضـل توديـع الأطفـال خـارج المدرسـة. فقـد يـؤدي بـكاء طفـل واحـد إلى بـكاء بقيـة الأطفـال.

لذلك قامت مجموعة من الغرباء بربط أحذية الأطفال وتنظيف أنوفهم ووضع بطاقات أسماء حول رقابهم. عدلنا أزرار قمصانهم ولعبنا معهم لحين وصول الحافلات.

كانت معي مجموعة من الأطفال يحاولون لمس أنوفهم بألسنتهم، وكان مع إليزابيث مجموعة أخرى يلعبون تلك اللعبة التي تدربهم على الإبقاء على تعابير الوجه جامدة أثناء الكذب -نسيت اسم اللعبة- وهنا أتت أديليد أديسون بوجهها الكئيب، بكل مظاهر التقوى وانعدام العقلانية.

جمعت بعض الأطفال حولها وبدأت تغني لهم «أولئك الذين يواجهون المخاطر في أعالي البحار»[29]. وكأن تذكيرهم بمخاطر البحارة لم يكن كافيا، فبدأت تلمح إلى مخاطر القصف وتدعوهم للتضرع لله كل مساء حتى يحمي أهاليهم؛ فمن يعلم ما قد يفعله الجنود الألمان؟ ثم ذكرتهم بأن يكونوا أطفالا مطيعين حتى يفخر بهم آباؤهم وأمهاتهم عندما ينظرون إليهم من السماوات.

لقد جعلت الأطفال يبكون بكاء مريرا يا جولييت، وكنت مصدومة فلم أتمكن من الحراك. لكن إليزابيث أسرعت نحوها وأمسكت بذراعها وطلبت منها أن تصمت.

صاحت أديليد: «ابتعدي عني، دعيني، إنني أردد كلام الله».

ارتسم آنذاك على وجه إليزابيث نظرة تحول الشيطان نفسه إلى حجر أصم، ثم صفعت أديليد على وجهها بحدة وقوة جعلت رأسها يتمايل على كتفيها، وجرتها إلى الباب، وطردتها من القاعة، وأحكمت قفل الباب. استمرت أديليد بالطرق على الباب لكن أحدا لم يعرها أي انتباه. لا. في الواقع حاولت دافني بوست البلهاء

(29) ترتيل يردد في الكنائس اشتهر في أواخر القرن التاسع عشر بين الجيوش البحرية الأمريكية والانجليزية.

أن تفتح الباب، لكنني أحكمت قبضتي على رقبتها فتوقفت عن ذلك.

إنني على يقين بأن مشهد العراك هذا أنسى الأطفال أي خوف كان ينتابهم، فكفوا عن البكاء ووصلت الحافلات فحملنا الأطفال إليها. لم نرحل فورا، أنا وإليزابيث، بل بقينا في الشارع نلوح للأطفال مودعين إياهم حتى اختفت الحافلات من الطريق.

أدعو ألا يتكرر هذا اليوم أبدا، على الرغم من سعادتي بتلقي أديليد هذه الصفعة. كل هؤلاء الأطفال المحرومين في العالم!!

كنت سعيدة أنني لم أنجب.

إنني ممتنة لك لسردك قصة حياتك. كم يحزنني ما مررت به من أحزان بفقدك والديك وتدمير شقتك على النهر. لكنني سعيدة لحصولك على أصدقاء مثل صوفي ووالدتها وسيدني. يبدو أن سيدني رجل صالح، رغم كونه متسلطا. إن ذلك عيب شائع بين الرجال.

يتساءل كلوفيس فوسي إن كان بإمكانك إرسال نسخة من مقالك للجمعية، ذلك المقال عن الدجاج الذي ربحت من خلاله جائزة الصحيفة. هو يعتقد أنه سيسر بقراءته على أعضاء الجمعية أثناء اجتماعنا. ويمكننا أيضا أن نودعه في أرشيفنا، إن كان لنا أن نبدأ بالاحتفاظ بأرشيف.

أود أنا قراءته أيضا، فقد كان الدجاج سبب سقوطي من سقف قن الدجاج لأنهم لحقوا بي هناك. توجهت الدجاجات نحوي جميعا بمناقيرها الحادة وعيونها الدوارة. لا يعلم الناس أن الدجاج يمكن أن ينقلب ضدك، لكنه يفعل ذلك أحيانا، كما الكلاب

المسـعورة. لم أعـتن بالدجـاج حتـى انـدلاع الحـرب، عندمـا اضطـررت إلى ذلـك، لكننـي لا أرتـاح بوجـوده.

سـأكون سـعيدة جـدا إن قمـت بزيارتنـا. كـما سيسـعد ذلـك إيبـين وأميليـا ودوزي، وإيـلاي أيضـا. أمـا كيـت فـلا رأي لديهـا، لكـن ذلـك يجـب ألا يهمـك، فقـد تخضـع في النهايـة. سـينشر مقالـك الصحـافي قريبـا، ويمكنـك حينـذاك أن تـأتي للاسـتراحة هنـا. وقـد تجديـن قصـة توديـن الكتابـة عنهـا هنـا.

صديقتك،

إيسولا

* * *

من دوزي إلى جولييت

26 أبريل 1946

عزيزتي جولييت،

انتهـت فـترة وظيفتـي المؤقتـة في مقلـع الحجـارة، وسـتمكث كيـت معـي لبعـض الوقـت. هـي تجلـس الآن أسـفل الطاولـة التـي أكتـب عليهـا وتهمـس. سـألتها عـما تهمـس بـه فكانـت هنـاك فـترة طويلـة مـن الصمـت، ثـم عـادت للهمـس ثانيـة، وكان بإمـكاني أن أسـمع اسـمي يـتردد بـين الأصـوات الأخـرى التـي تهمـس بهـا. هـذا مـا يسـميه الجـنرالات حـرب الأعصـاب، وأعلـم مسـبقا مـن سـيفوز بهـذه الحـرب.

إن كيـت لا تشـبه إليزابيـث بـشيء فيـما عـدا عينيهـا الرماديتـين وتلـك النظـرة التـي تبـدو عـلى محياهـا عندمـا تركـز عـلى شيء مـا.

لكنها تشبه والدتها من حيث شخصيتها. فهي عنيفة في مشاعرها. كانت كذلك منذ كانت مخلوقة صغيرة. كان صراخها يهز زجاج النافذة، وعندما كانت تمسك إصبعي بقبضتها الصغيرة، كان يبيضّ. لم تكن لدي أي خبرة في العناية بالأطفال، لكن إليزابيث تمكنت من تدريبي. قالت إنني أب بالفطرة، ولذلك كان عليها أن تدربني على جميع نواحي العناية بالطفل. لقد افتقدت كريستيان، ليس لأجلها فقط، بل لأجل كيت أيضا.

تعلم كيت أن والدها توفي. فقد أخبرناها بذلك أنا وأميليا. لكننا لم نعرف كيف نحدثها عن إليزابيث، فقررنا في النهاية إخبارها بأن إليزابيث اضطرت للرحيل، وأنها ستعود قريبا. نظرت إلينا كيت لكنها لم تطرح أي أسئلة. خرجت من الغرفة وتوجهت إلى الاسطبل. لا أعلم إن أصبنا في تصرفنا هذا.

أجهد نفسي أحيانا في التفكير بإليزابيث وتمني عودتها. فقد نما إلى علمنا أن السير أمبروز آيفرز قتل في آخر الغارات على لندن. وبما أن إليزابيث هي وريثه الشرعي، بدأ محاموه في البحث عنها. لا بد أن لديهم طرقا أفضل من طرقنا للبحث عنها، لذلك آمل أن يستطيع ديلوين أن يتصل بها أو يعلم عن مصيرها. كم سيكون العثور على إليزابيث أمرا سعيدا لكيت ولنا جميعا.

تنوي الجمعية أن ترتب لرحلة يوم السبت لمشاهدة مسرحية يوليوس قيصر التي تنتجها فرقة مسرح غيرنزي. يلعب جون بوكر دور مارك أنتوني، وكلوفيس فوسي دور قيصر. تقوم إيسولا بمساعدة كلوفيس في التدرب على دوره، وتقول إن أداءه سيذهلنا، وبخاصة عندما يهمس بعد وفاته: «ستراني في فيليبي». تقول إن مجرد التفكير في كلوفيس وهو يهمس هذه الكلمات حرمها النوم

لمدة ثلاث ليال. إيسولا تبالغ بالطبع، لكنها تفعل ذلك مزاحا.

توقفت كيت عن الهمس. نظرت أسفل الطاولة فوجدتها نائمة. لم أنتبه إلى أن الوقت تأخر.

المخلص دوما،

دوزي

* * *

من مارك إلى جولييت

30 أبريل 1946

عزيزتي،

وصلت للتو. كان من الممكن تجنب الرحلة بأكملها لو قام هندري بعمل بعض الاتصالات الهاتفية، لكنني ضربت بعض الرؤوس ببعضها، وقد خلصوا الشحنة عبر الجمارك. أشعر وكأنني غبت لسنوات طويلة. هل أستطيع رؤيتك هذا المساء؟ أحتاج أن أتحدث معك.

محبتي،

م.

* * *

من جولييت إلى مارك

بالطبـع. هـل تـود المجـيء إلى منـزلي؟ لـدي طبـق مـن النقانـق للعشـاء.

جولييت

* * *

من مارك إلى جولييت

نقانق؟ حقا؟ كم يبدو ذلك شهيا.

مطعم سوزيت في الثامنة؟

محبتي،

م.

* * *

من جولييت إلى مارك

قل «لو سمحت».

ج.

* * *

من مارك إلى جولييت

يسعدني أن أراك في مطعم سوزيت في الثامنة.

محبتي،

م.

* * *

من جولييت إلى مارك

1 مايو 1946

عزيزي مارك،

تعلم أنني لم أرفض ذلك، بل قلت إنني أود التفكير به. ربما لم تنتبه لذلك لانشغالك بالحديث عن سيدني وغيرنزي. لم أقل سوى إنني أحتاج لبعض الوقت. لم يمر على معرفتي بك أكثر من شهرين، وليس ذلك وقتا كافيا لأكون متيقنة من رغبتي في قضاء باقي عمري معك، حتى لو كنت أنت متيقنا. ارتكبت خطأ فادحا فيما مضى، وكنت على وشك الزواج برجل لا أعرفه جيدا (ربما تكون قرأت عن ذلك في الصحف). على الأقل كانت الحرب ظرفا مخففا، لكنني لن أرتكب الحماقة نفسها ثانية.

أنظر في الأمر: لم أزر بيتك قط، بل إنني لا أعلم أين يقع. في نيويورك، لكن في أي شارع؟ كيف يبدو؟ ما لون الحائط؟ الأريكة؟ هل ترتب كتبك حسب الحروف الأبجدية؟ (لا آمل ذلك). هل أدراجك مرتبة أم في حالة من الفوضى؟ هل تدندن؟ بم تدندن؟

هـل تفضـل القطـط أم الـكلاب أم الأسـماك؟ مـا طعـام إفطـارك؟ أم هـل لديـك طبـاخ؟

أرأيت؟ لا أعرفك بصورة كافية للزواج منك.

ولـدي معلومـة أخـرى قـد تهمـك. سـيدني لا ينافسـك هنـا. لم أقـع في حـب سـيدني أبـدا، ولم يقـع هـو في حبـي. ولـن أتزوجـه أبـدا؟ هـل أصبـح هـذا واضحـا لديـك الآن؟

هـل أنـت متأكـد جـدا بأنـك لا تفضـل الـزواج بشـخص ألـين عريكة مني ؟

جولييت

* * *

من جولييت إلى صوفي

1 مايو 1946

عزيزتي صوفي،

ليتـك كنـت هنـا. ليتنـا مـا زلنـا نعيـش معـا في شـقتنا الصغـيرة، ونعمـل في محـل سـيد هـوك العزيـز، ونتعـشى كـسرات البسـكويت والجبنـة كل ليلـة. لـدي رغبـة عارمـة بالتحـدث إليـك. أريـدك أن تخبرينـي إن كان عـلي الـزواج مـن مـارك رينولـدز أم لا.

طلـب يـدي للـزواج الليلـة الماضيـة، لم يركـع عـلى قدميـه، لكنـه قـدم لي خاتـم ألمـاس بحجـم بيضـة الحمامـة، في مطعـم فرنـسي رومانـسي. لا أعلـم إن كان لا يـزال يرغـب بالـزواج منـي صبـاح اليـوم. فقـد أغضبـه جـدا أننـي لم أوافـق عـلى الفـور. حاولـت أن أشرح لـه أننـي بالـكاد أعرفـه وأحتـاج بعـض الوقـت لأفكـر بالأمـر، لكنـه لم

ينصت لي. كان متيقنا أنني أرفضه بسبب عشقي السري لسيدني. إن هذين الرجلين مهووسان ببعضهما حقا.

لحسن الحظ كنا في شقته عندما بدأ النقاش يحتد، وبدأ بالحديث عن سيدني وتلك الجزيرة المنبوذة، والنساء اللاتي يبدين اهتماما بجمع من الغرباء أكثر من اهتمامهن برجل يقف أمامهن (يتحدث هنا عن غيرنزي وأصدقائي الجدد هناك). استمررت في محاولة التفسير واستمر هو في الصراخ حتى بدأت في البكاء من شدة الإحباط. فبدأ يشعر بالندم بعد ذلك، الأمر الذي يخالف طبيعته وبأسلوب محبب كان من الممكن أن يجعلني أبدل رأيي وأوافق على الزواج منه حالا. ثم بدأت التفكير في قضاء عمري وأنا أبكي لأدفعه إلى الرقة في التصرف معي، فعدت لأرفض. تجادلنا وألقى علي محاضرة فبكيت أكثر لأنني كنت منهكة جدا. وفي النهاية، طلب من سائقه أن يأخذني للمنزل. وبينما كان يدفعني في المقعد الخلفي منحنيا ليقبلني، قال لي: «إنك حمقاء يا جولييت».

قد يكون على حق. هل تذكرين سلسلة روايات «شسلين فير- Cheslayne Fair» المريعة التي قرأناها أثناء الإجازة الصيفية عندما كنا في الثالثة عشرة؟ كانت رواية «سيد بلاكهييث –The Master of Blackheath» هي المفضلة عندي. لا بد أنني قرأتها عشرين مرة (كما فعلت أنت أيضا، لا تنكري ذلك). هل تذكرين رانسوم وكيف أخفى حبه للبريئة يولالي بمنتهى الرجولة، كي تكون لها حرية الاختيار، وهو لا يعرف أنها كانت مغرمة به منذ سقوطها عن صهوة حصان في سن الثانية عشرة؟ صوفي، أقول لك إن مارك رينولدز يشبه رانسوم كثيرا. فهو طويل وجذاب، بابتسامة ملتوية وفك منحوت. وهو يشق طريقه وسط الزحام غير آبه بالنظرات

التـي تلاحقـه. إنـه سـاحر وقليـل الصـبر، وعندمـا أذهـب لـدورة المياه لأعـدل مكياجـي، أسـمع النسـاء وهـن يتحدثـن عنـه، كـما كانـت يـولالي تفعـل في المتحـف. إنـه يلفـت الانتبـاه دون أي رغبـة منـه في ذلـك.

كانـت الرعشـة تنتابنـي عندمـا أفكـر برانسـوم، وهـي تنتابنـي الآن أحيانـا عندمـا أنظـر لمـارك، لكننـي لسـت يـولالي ولا يمكننـي أن أبعـد تلـك الفكـرة عـن ذهنـي. ولـو حـدث أن سـقطت يومـا عـن صهـوة حصـان، فسـيكون شـيئا جميـلا أن يلتقطنـي مـارك، لكننـي لا أري أننـي سأسـقط عـن صهـوة حصـان قريبـا. أعتقـد أن مـن المرجـح أن أذهـب إلى غيرنــزي للكتابــة عــن الاحتــلال، ولا يســتطيع مــارك تقبــل تلــك الفكـرة. فهـو يريـد منـي البقـاء في لنـدن لارتيـاد المسـارح والمطاعـم والـزواج منـه، كـما يفعـل أي شـخص عاقـل.

راسليني وانصحيني بما يجب علي عمله.

حبي لدومينيك، ولك أنت وألكساندر أيضا،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني

3 مايو 1946

عزيزي سيدني،

قـد تضطـرب حيـاتي كـما يضطـرب سـتيفنز وسـتارك مـن دونـك، لكننـي أشـتاق إليـك وأريـد نصيحتـك. أرجـوك أن تـترك كل مـا تقـوم بعملـه الآن وتراسـلني فـورا.

أريد الابتعاد عن لندن. أريد الذهاب إلى غيرنزي. تعلم كم أصبحت أحب أصدقائي في غيرنزي، وكم تبهرني حياتهم تحت الاحتلال الألماني، وبعده. زرت لجنة لاجئي جزر القنال وقرأت ملفاتهم. كما قرأت تقرير الصليب الأحمر. قرأت كل وقعت ما عليه عيناي عن عمال السخرة، وليس هناك الكثير عنهم حتى الآن. قابلت بعض الجنود الذين حرروا غيرنزي، كما قابلت أفرادا من سلاح المهندسين الملكي الذين أزالوا آلاف الأميال من الألغام من شواطئ الجزر. قرأت كل التقارير الحكومية «غير المحظورة» عن الحالة الصحية لسكان الجزر، أو انعدامها؛ عن سعادتهم، أو عدمها؛ عن مؤونتهم الغذائية، أو انعدامها. لكنني أريد معرفة المزيد. أريد معرفة قصص الأشخاص الذين كانوا في الجزر، ولن أستطيع جمع معلومات عن ذلك من خلال الجلوس في مكتبة في لندن.

على سبيل المثال، كنت أقرأ مقالا عن التحرير يوم أمس، وقد طرح صحافي هذا السؤال على أحد سكان غيرنزي: «ما أصعب تجربة مررت بها أثناء الاحتلال الألماني؟» واستخف بإجابة الرجل، لكنني رأيتها إجابة منطقية جدا. فقد أجابه الرجل بالقول: «هل تعلم أنهم صادروا كل أجهزة اللاسلكي؟ ولو تم العثور على شخص يخبئ جهاز راديو، فسيرسل للسجون في القارة الأوروبية. لذلك فإن من كان لديه راديو علم بإنزال جيوش الحلفاء في النورماندي. كان يجب علينا أن نتصنع الجهل بذلك. وكان أصعب ما مررت به هو السير في سان بيتر بورت في السابع من يونيو دون الابتسام أو الضحك أو إظهار أي من التصرفات التي توحي للألمان بأنني أعلم أن نهايتهم وشيكة. فإن علموا بذلك، فسيقع بعض الأشخاص في

مـأزق. لذلـك فقـد اضطررنـا لأن نتظاهـر، وكان مـن الصعـب التظاهـر بعـدم وقـوع إنـزال النورمانـدي.

أريـد التحـدث مـع أشـخاص مثـل هـذا الرجـل (قـد لا يرغـب في الحديـث مـع الكتـاب بعـد مـا حـدث) وأتعلـم عـن الحـرب مـن وجهة نظرهـم. فهـذا مـا أود القـراءة عنـه، عوضـا عـن الإحصائيـات بعـدد المحاصيـل وغيرهـا. لا أعلـم شـكل الكتـاب الـذي أسـتطيع التحـدث عـن ذلـك مـن خلالـه، بـل قـد لا أتمكـن مـن كتابـة أي شيء في ذلـك. لكننـي أود الذهـاب إلى سـان بيـتر بـورت لمعرفـة ذلـك.

هل تمنحني دعواتك؟

حبي لك ولبيرس،

جولييت

* * *

برقية من سيدني إلى جولييت

10 مايو 1945

تجديـن دعـواتي هنـا. زيـارة غيرنـزي فكـرة عظيمـة لـك وللكتـاب.. لكـن هـل سيسـمح لـك رينولـدز بذلـك؟ مـع حبـي، سـيدني.

* * *

برقية من جولييت إلى سيدني

11 مايو 1046

تــم تســلُّم دعواتــك. لا يملــك مــارك رينولــدز حــق الســماح أو الرفــض. مــع حبــي، جولييــت.

* * *

من أميليا إلى جولييت

13 مايو 1946

عزيزتي،

أسعدني تسلُّم برقيتك أمس تعلمينني فيها أنك قادمة لزيارتنا.

اتبعـت تعليماتـك ونـشرت الخـبر فـورا. لقـد تسـببت بزوبعـة مـن الإثـارة في الجمعيـة. تـبرع الأعضـاء فـورا بتزويـدك بـكل مـا تحتاجـين إليـه: فـراش وسـكن واجتماعـات ومخـزون مـن ملاقـط الغسـيل الكهربائيـة. إيسـولا سـعيدة للغايـة بمجيئك، وبـدأت في التجهيـز لكتابك. رغـم أننـي حذرتهـا مـن أن الكتـاب مجـرد فكـرة حاليـا، لكنهـا مصممـة عـلى توفـير المـادة اللازمـة لذلـك. وقـد طلبـت (بـل قـد تكـون هـددت) مـن كل مـن تعرفـه في السـوق بـأن يـزودك برسـائل عـن الاحتـلال. فهـي تعتقـد أنـك في حاجـة إليهـا لإقنـاع النـاشر أن الموضـوع يسـتحق النـشر. لا تسـتغربي إن امتـلأ صنـدوق بريـدك بالرسـائل في الأسـابيع المقبلـة.

كـما أنهـا توجهـت للمـصرف عـصر اليـوم لتطلـب مـن سـيد ديلوين أن يعـرض عليـك اسـتئجار كـوخ إليزابيـث. فهـو يقـع في موضـع جميـل

في مرج أسفل السجن[30]، وهو صغير مما يساعدك على العناية به بسهولة. انتقلت إليزابيث للعيش في الكوخ بعد أن سيطر الجنود الألمان على السجن. ستكونين مرتاحة للغاية هناك، وقد وعدت إيسولا سيد ديلوين بأنه ليس عليه إلا أن يحضر العقد لك وستتكفل هي ببقية الأمور: تهوية الغرف وغسل النوافذ وتنظيف السجاد، وقتل العناكب.

أرجو ألا تشعري بثقل كل هذه التجهيزات. فقد بدأ ديلوين بتسعير العقار بغرض تأجيره مسبقا. وبدأ محامو السير أمبروز في البحث عن إليزابيث. لم يعثروا على أي تقرير يفيد بوصولها إلى ألمانيا، وكل ما عثروا عليه هو أنها ركبت قطارا في فرنسا متجها إلى فرانكفورت. ستستمر محاولات البحث عنها، وآمل أن تؤدي إلى العثور عليها. لكن ديلوين يريد تأجير العقار الذي تركه السير أمبروز لإليزابيث حتى ذلك الحين وذلك لتوفير دخل لكيت.

أشعر أحيانا أننا ملزمون أخلاقيا بالبدء في البحث عن أقارب كيت الألمان، لكن قلبي لا يطاوعني في ذلك. كان كريستيان ذا جوهر مميز، وكان يكره ما يفعله بلده، لكن هذا ليس حال العديد من الألمان الذين آمنوا بحلم رايخ الألف سنة. فكيف بنا أن نبعث بكيت إلى أرض أجنبية مدمرة. حتى وإن عثرنا على أقاربها الألمان؟ نحن عائلتها التي لم تعرف غيرها قط.

عندما ولدت كيت، حافظت إليزابيث على سرية أصلها من أعين الألمان، ليس درءا للعار بل لخوفها من أن يأخذها الألمان لتترعرع هناك. فقد سرت إشاعات مخيفة بهذا الخصوص. أتساءل

(30) (Big House - السجن)، أو الإصلاحية أو سجن التأديب، وهو سجن كان يودع فيه المذنبون المراهقون، واستخدم هذا المصطلح للمرة الأولى في العام 1913.

إن كان بوسع إرث كيت أن ينقذ إليزابيث لو كانت صرحت بذلك عند اعتقالها. لكن بما أنها لم تصرح، فليس من صلاحيتي أن أفعل ذلك.

اعذريني على ما أسرده لأفضي بهمومي. ذلك أن مخاوفي تأخذ مجراها الاعتيادي في فكري، وأجد راحة في تدوين هذه الأفكار على الورق. لكنني سأغير الموضوع إلى ما هو مفرح، مثل لقاء الجمعية الليلة الماضية.

بعد أن هدأت زوبعة خبر زيارتك، قرأت الجمعية مقالك عن الكتب والقراءة في صحيفة التايمز. استمتع الجميع بذلك، ليس لمجرد القراءة عن أنفسنا، بل لأنك جئت لنا بوجهات نظر ما كنا نظن قط أنها تنطبق على قراءتنا من قبل. فقد قال د. ستبنز إنك الوحيدة التي حولت كلمة «الاضطراب» إلى كلمة مشرفة عوضا عن كونها عيبا في الشخصية. كان المقال مسليا وكنا جميعا فخورين وسعداء لأن نذكر فيه.

يرغب ويل ثيزبي في ترتيب حفل ترحيب على شرف وصولك. وسيخبز فطيرة قشر البطاطا للمناسبة وقد قام بابتكار كسوة من الكاكاو لتغطيتها. فاجأنا بحلوى قام بتحضيرها للقائنا مساء أمس؛ محروق الكرز، الذي احترق في القدر لحسن حظنا، فلم نضطر إلى أكله. يا ليته يدع الطبخ وشأنه ويعود للعمل في تجارة الحديد.

كلنا نتطلع للترحيب بك. كنت قد ذكرت أن عليك الانتهاء من العديد من المراجعات قبل أن تتمكني من مغادرة لندن، وسيسعدنا لقاؤك حينما تأتين. أخبرينا فقط بموعد وصولك. إن الرحلة بالطائرة إلى غيرنزي أسرع وأكثر راحة من الرحلة بقارب

بخاري دون أي شك (قال لي كلوفيس فوسي أن أبلغك بأن مضيفات الطيران يوفرن لك الخمر الذي لا توفره القوارب البخارية). لكن إن لم تكوني عرضة لدوار البحر، أنصحك بأخذ قارب العصر من ويموث. فالوصول إلى غيرنزي عن طريق البحر لا يضاهيه أي مشهد، سواء مع مغيب الشمس، أو عند تلبد السماء بغيوم سوداء مذهبة الأطراف، أو عند ظهور الجزيرة تدريجيا من بين غشاوة الضباب. هكذا رأيت غيرنزي أول مرة، عندما حضرت إليها كعروس جديدة.

مع تحياتي،

أميليا

* * *

من إيسولا إلى جولييت

14 مايو 1946

عزيزتي جولييت،

أقوم بتجهيز منزلك استعدادا لوصولك. طلبت من عدد من أصدقائي في السوق أن يراسلوك ليحدثوك عن تجاربهم، وأرجو أن يكونوا قد قاموا بذلك. إذا كتب لك سيد تاتوم يطلب المال في مقابل سرد ذكرياته، فلا تدفعي له بنسا واحدا. فهو مخادع كبير.

هل تودين أن أحكي لك عن أول مرة رأيت فيها الألمان؟ سأستخدم الوصف في أسلوبي لأجمل السرد، رغم أنني لا أقوم بذلك عادة حيث أفضل الحقائق الصارخة.

بدت غيرنزي هادئة صباح ذلك اليوم، لكننا كنا نعلم بوجودهم بيننا. فقد وصلت طائرات وسفن تحمل الجنود في اليوم السابق. هبطت الطائرات الألمانية الكبيرة لتنزل الرجال ثم رحلت ثانية. ولأنها أفرغت حمولتها وأصبحت خفيفة فقد أصبحت متماوجة في طيرانها صعودا وهبوطا فوق غيرنزي، مسببة بذلك الرعب للأبقار في الحقول.

كانت إليزابيث في منزلي، لكن لم يكن لدينا مزاج لتحضير مقوٍّ للشعر رغم أن نبات أم ألف ورقة أو (الأخلية - Yarrow) كان جاهزا للحصاد. كنا نشبه زوجين من الغيلان في حركتنا الثقيلة حتى استجمعت إليزابيث شجاعتها وقالت: «هيا بنا. لن أظل جالسة هنا بانتظار قدومهم. سأذهب لوسط البلد بحثا عن العدو».

سألتها بحدة نوعا ما: «ما الذي تنوين فعله عندما تجدينه؟».

فقالت: «سأحدق فيه، فلسنا حيوانات في قفص، هو الحيوان السجين هنا. هو حبيس الجزيرة مثلنا. هيا بنا. لنذهب للتحديق بهم».

أعجبتني الفكرة فارتدينا قبعاتنا وانطلقنا. لن تصدقي ما رأيناه في سان بيتر بورت.

كان هناك المئات من الجنود الألمان، وكانوا يتسوقون. ها هم يتنزهون يدا بيد في شارع فاونتين مبتسمين وضاحكين وهم يحدقون في نوافذ المحلات. يدخلون المحلات ويخرجون محملين بالطرود والعلب، وينادي بعضهم بعضا. كان شارع نورث اسبلاناد مليئا بالجنود أيضا. كان البعض يمشون الهوينى بينما يومئ لنا البعض الآخر بتحية مهذبة. قال لي أحدهم: «جزيرتكم جميلة.

سـنذهب للحـرب في لنـدن عـما قريـب، لكننـا هنـا الآن في إجـازة للاسـتمتاع بالشـمس».

وظـن أحمـق آخـر أنـه في برايتـون. كانـوا يشـترون البوظـة للأطفـال الذيـن يحومـون حولهـم، مسـتمتعين بأوقاتهـم. لـولا تلـك الأزيـاء الخـضراء لظنناهـم قادمـين عـلى متن سـفينة السـياح مـن ويمـوث.

بدأنـا جولتنـا في حدائـق كانـدي، فتغير المشـهد هنـاك مـن كرنفـال إلى كابـوس. في البـدء سـمعنا ضوضـاء، وهـو الإيقـاع الثابـت والعـالي للأحذيـة وهـي تنـزل بـكل ثقلهـا عـلى الحجـارة الصلبـة، وتـلا ذلـك مـرور مجموعـة مـن الجنـود في شـارعنا وكأنهـم سرب مـن الإوز بتنظيمهـم، وكان كل مـا فيهـم يومـض، مـن أزرارهـم إلى أحذيتهـم إلى قبعاتهـم المؤطـرة بسـلك معـدني. لم تكـن أعينهـم تتجـه نحـو أي شيء أو أي شـخص، بـل كانـت تحـدق إلى الأمـام فقـط. كان ذلـك منظـرا مثـيرا للرعـب أكـثر مـن رؤيـة البنـادق المتدليـة عـلى أكتافهـم، أو الخنـاجـر والقنابـل المندسـة في أحذيتهـم.

عنـد ذلـك، أمسـك سـيد فـير بذراعـي حيـث كان خلفنـا، وبـدأت الدمـوع تجـري عـلى وجهـه، فقـد حـارب في معركـة السـوم[31]. كان يلـوي ذراعـي ويعـصره، دون أن يـدري، قائـلا: «كيـف يجـرؤون عـلى تكـرار هـذا العمـل؟ لقـد هزمناهـم، وهـا هـم الآن يعـاودون الكـرة. كيـف سـمحنا لهـم بذلـك؟».

وأخـيرا علقـت إليزابيـث مبينـة أنهـا اكتفـت بمـا رأتـه وهـي في حاجـة إلى شراب مـا.

(31) Somme هـي معركة دارت بـين الجنود الألمان والحلفـاء أثناء الحرب العالمية الأولى وانتهت بخسـائر كبيرة للطرفين.

وبما أنني أحتفظ بمخزون جيد من الجن أو النبيذ في خزانتي، توجهنا إلى منزلي.

سأنهي الرسالة الآن، وأنا سعيدة بأنني سأراك عما قريب. فكلنا يطمح للقائك لكن القلق بدأ ينتابني الآن. قد يكون في القارب 20 راكبا آخرين، فكيف لي أن أتعرف عليك؟ صورة الغلاف التي لدي غير واضحة، ولا أريد أن أذهب لاستقبال وتقبيل امرأة أخرى. هل لك أن ترتدي قبعة حمراء كبيرة بوشاح، وتحملي باقة من زهور الزنبق؟

صديقتك،

إيسولا

* * *

من محب للحيوانات إلى جولييت

مساء الأربعاء

آنستي العزيزة،

إنني عضو في جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا أيضا، لكن لم يسبق أن راسلتك بشأن كتبي لأنني لم أقرأ غير اثنين منها، وهي قصص الأطفال عن الكلاب المخلصة والشجاعة والوفية. أخبرتني إيسولا بأنك ستزورين غيرنزي بهدف محاولة الكتابة عن الاحتلال، لذلك أعتقد بوجوب علمك عن حقيقة ما فعلت هيئة المداولة بالحيوانات. ما فعلته حكومتنا نحن وليس ما فعله الألمان. ولن أخجل مثلهم من سرد هذه الحقائق.

لم أكن ولن أكون قط ممن يهتم بالأشخاص من حولي، ولدي أسبابي في ذلك. فأنا لم أقابل أبدا إنسانا صادقا ووفيا كالكلب. إن أنت أحسنت معاملة الكلب، فسيحسن معاملتك بدوره، ويكون لك الجليس والرفيق دون أن يطلب منك مقابلا. تختلف القطط هنا، لكنني لا أحمّلها أي ذنب على ذلك.

يجب أن تعلمي ما فعله بعض سكان غيرنزي بحيواناتهم الأليفة عندما خافوا من وصول الألمان. الآلاف منهم تركوا الجزيرة وذهبوا إلى إنجلترا بحرا وجوا، تاركين كلابهم وقططهم دون رعاية. تخلوا عنها وتركوها تتسكع في الطرقات جوعا وعطشا. يا لخستهم.

آويت ما يمكنني من الكلاب، لكن ذلك لم يكن كافيا. بعدها تدخلت هيئة المداولة لحل هذه المشكلة، فزادت الطين بلة. حذرت الهيئة في الصحف من أنه، وبسبب الحرب، قد لا يكون هناك ما يكفي من الغذاء للبشر، ناهيك عن الحيوانات. وأصدرت القرار التالي: «يحق لسكان الجزيرة الاحتفاظ بحيوان أليف واحد فقط، وستقوم الدولة بقتل ما تبقى، ولن يسمح للكلاب والقطط بأن تجوب الجزيرة لأنها قد تشكل خطرا على الأطفال».

وبالفعل قامت الهيئة بذلك. عمدت إلى تجميع الحيوانات في شاحنات وأخذتها إلى ملجأ حيوانات سان أندروز، وهناك قامت الممرضات والأطباء بقتلها. وبمجرد إخلاء شاحنة، كانوا يرسلون غيرها.

رأيت هذا كله بأم عيني، عمليات تجميع الحيوانات وتنزيلها في الملجأ، ومن ثم دفنها.

رأيت ممرضة تخرج من الملجأ لالتقاط أنفاسها واستيعاب ما يجري. كانت تبدو شاحبة وكأنها على وشك الموت. دخنت

سيجارتها ثم عادت إلى الملجأ للمساعدة في قتل الحيوانات. تطلب الأمر يومين لقتل كل الحيوانات.

هذا كل ما أود قوله. أدرجيه في كتابك.

محب للحيوانات

* * *

من سالي أن فروبيشر إلى جولييت

15 مايو 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

أخبرتني الآنسة بريبي بأنك قادمة لغيرنزي لتسمعي قصص الحرب. آمل أن أقابلك عند وصولك، لكنني أكتب لك الآن لأنني أحب كتابة الرسائل. في الواقع، إنني أحب الكتابة بصورة عامة.

أود أن أخبرك بأنني تعرضت شخصيا للسخرية أثناء الحرب، عام 1943، عندما كنت في الثانية عشرة من عمري. فقد كنت مصابة بمرض الجرب.

لم يكن لدينا ما يكفي من الصابون للمحافظة على نظافة ثيابنا أو منازلنا أو أجسادنا. كان الجميع يعاني من مرض جلدي ما، ثؤلول أو قمل أو قشور. كنت أعاني من جرب تحت شعري في أعلى رأسي، ولم أستطع التخلص منه.

نصحني الدكتور أورموند أخيرا بالذهاب إلى مستشفى المدينة لجز شعري وقص رؤوس الجرب للتخلص من الصديد. أتمنى ألا تعاني قط من عار فروة رأس تنزّ. كنت أود الموت.

هناك قابلت صديقتي إليزابيث ماكينا، حيث كانت تساعد الممرضات في الدور الذي تعالجت فيه. كانت الممرضات لطيفات دوما، لكن الآنسة ماكينا كانت لطيفة ومسلية. وقد ساعدني حسها المرح في التغلب على مرحلة سوداء من حياتي. عندما تم حلق شعري، دخلت غرفتي ومعها قصعة وعلبة ديتول ومشرط حاد.

سألتها وأنا أحاول حبس دموعي: «لن يؤلمني هذا، أليس كذلك؟ أخبرني الدكتور أورموند بأنه لن يؤلمني».

أجابت الآنسة ماكينا: «لقد كذب عليك. الحق أنه سيؤلمك بشكل لا يطاق. لا تخبري والدتك بأنني أقسمت».

أضحكني ذلك وقامت هي بقص أول بثرة قبل أن يسعني أن أشعر بالخوف. كان موجعا، لكن ليس بصورة لا تطاق. جعلنا من العملية لعبة حيث نصرخ باسم كل امرأة عانت من الشفرة. «ماري ملكة اسكتلندا، آن بولين، ماري أنطوانيت» وها هي الشفرة تقطع رؤوس الجرب حتى انتهينا. كان موجعا، لكن الآنسة ماكينا تمكنت من تحويل الأمر إلى تسلية.

مسحت رأسي الأقرع بالديتول، وحضرت لزيارتي مساء ذلك اليوم، ومعها وشاح حريري خاص بها وضعته على رأسي كالعمامة. أعطتني مرآة وحثتني على أن أرى شكلي. كان الوشاح جميلا، لكن أنفي بدا كبيرا في وجهي، كما هي العادة. تساءلت إن كنت سأصبح جميلة في يوم ما، ووجهت سؤالي للآنسة ماكينا.

عندما كنت أوجه السؤال ذاته لوالدتي، كان تخبرني بأن صبرها ينفد عند هذه التفاهات، وأن الجمال جمال النفس. لم تكن هذه ردة فعل الآنسة ماكينا، فقد أنعمت النظر بي وفكرت قبل أن تقول: «يحتاج ذلك الأمر بعض الوقت، لكنك ستخلبين الألباب

يا سالي. استمري في النظر بالمرآة وستجدينني على حق عن قريب. ما يهم في الأمر هو تشكيل عظم الوجه، وتشكيل وجهك جميل جدا. وسيجعلك أنفك الجذاب هذا كنفرتيتي في جمالها. من الأفضل أن تتدربي على الظهور بمظهر الفتاة الملكية».

عندما جاءت السيدة موغري لزيارتي في المستشفى سألتها عمن تكون نفرتيتي، وإن كانت لا تزال على قيد الحياة. فقد بدا الأمر هكذا. أخبرتني السيدة موغري بأنها متوفاة فعلا، لكنها خالدة بصورة ما. وجلبت لي لاحقا صورة لنفرتيتي، وبما أنني لم أعلم كيف أبدو ملكية فقد حاولت أن أبدو كنفرتيتي. لم يصبح أنفي مثل أنف نفرتيتي حتى الآن، لكنني متيقنة أن ذلك اليوم سيأتي، فقد أخبرتني الآنسة ماكينا بذلك.

أما قصة عمتي ليتي فهي قصة حزينة أخرى من قصص الاحتلال. كانت تملك بيتا كبيرا وكئيبا على حافة الشاطئ الصخري بالقرب من لا فونتنل. ادعى الألمان أن البيت يعترض خط إطلاق نيران بنادقهم فقاموا بتفجيره. تعيش عمتي ليتي معنا الآن.

المخلصة،

سالي أن فروبيشر

* * *

من ميكا دانيلز إلى جولييت

15 مايو 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

أعطتني إيسولا عنوانك لأنها واثقة أنك تريدين معرفة قائمتي لإدراجها في كتابك.

لو أخذتني إلى مطعم فاخر في باريس اليوم، ذلك النوع من المطاعم التي تجد فيها مفارش طاولة بيضاء جميلة، وشموعا على الحائط، وتغطي صحونها طبقة من الفضة، فسأخبرك أنها لا تضاهي أبدا صندوق الفيغا الخاص بي.

إن كنت لا تعرفين ما الفيغا فهي سفينة الصليب الأحمر التي حضرت إلى غيرنزي في البدء في السابع والعشرين من ديسمبر 1944. كانوا يجلبون لنا الطعام الذي أبقانا على قيد الحياة آنذاك، وكرروا ذلك خمس مرات.

أجل. لقد أبقانا هذا الطعام على قيد الحياة. كان الطعام شحيحا لسنوات عديدة. فيما عدا ما تجده عند الشياطين في السوق السوداء، لم تكن هناك ملعقة من السكر في الجزيرة. انتهى مخزون دقيق الخبز في الأول من ديسمبر 1944. وكان الجنود الألمان يتضورون جوعا مثلنا، بكروشهم المنتفخة وأجسادهم التي لا يدفئها الطعام.

كنت قد سئمت البطاطا المسلوقة واللفت، كنت على وشك الموت عندما رست سفينة الفيغا في مينائنا.

لم يسمح تشرشل لسفن الصليب الأحمر بأن توصل لنا طعاما قبل ذلك لأن الألمان، كما قال، سيأخذون الطعام لأنفسهم. قد

يبدو ذلك لك وكأنه تخطيط عظيم ليجوع الألمان حتى يرحلوا، لكنه بدا بذلك غير مهتم إن تضورنا جوعا معهم.

لا بد أن ضميره قد صحا بعض الشيء وقرر أن يسمح لنا بالطعام. فها هو في ديسمبر يقول للصليب الأحمر «حسنا إذا. لكم أن تطعموهم».

آنسة آشتون، كان هناك صندوقان من الطعام لكل رجل وامرأة وطفل على الجزيرة، مخزنة جميعها على متن الفيغا. وكان هناك أشياء أخرى أيضا مثل المسامير والبذور والشموع وزيت الطبخ وعيدان الكبريت وبعض الملابس والأحذية. بل كان هناك أيضا كسوة للرضع.

كان هناك دقيق وتبغ. دعي موسى يخبرنا عن المنّ كما يشاء، لكنه لم ير شيئا كهذا قط. سأخبرك عن كل محتوى صندوقي لأنني دونت ذلك ليبقى في ذاكرتي (لألصقه في كتاب مذكراتي).

ست أوقيات من الشوكولاته عشرون أوقية من البسكويت
أربع أوقيات من الشاي عشرون أوقية من الزبدة
ست أوقيات من السكر ثلاثون أوقية من اللحم المعلب
أوقيتان من الحليب المعلب ثماني أوقيات من الزبيب
خمس عشرة أوقية من المربى عشر أوقيات من سمك السالمون
ست أوقيات من البرقوق أوقية واحدة من الفلفل
أوقية واحدة من الملح لوح صابون

تبرعت بالبرقوق، لكن أليس هذا بشيء عجيب. سأترك كل أموالي للصليب الأحمر عندما أموت وقد راسلتهم لأعلمهم بذلك.

ثمة شيء آخر يجب أن أخبرك به. قد يكون ذلك مديحا للألمان، لكن قول الحق واجب. لقد أنزلوا كل هذه الصناديق من

الفيغا لإعطائنا إياها، ولم يأخذوا أيا منها لأنفسهم. وبالطبع فقد أخبرهم قائدهم بأن «هذا الطعام لسكان الجزيرة وليس لكم. إن لمستم أي جزء منه فسأطلق النار عليكم». ثم أعطى كل رجل منهم ملعقة شاي، وأخبرهم بأنه سيسمح لهم بغرف ما وقع من الدقيق على الأرصفة ليتغذوا به.

كان منظر الجنود حزينا في الواقع. كانوا يسرقون من المزارع ويطرقون الأبواب طلبا لما تبقى من الطعام. وقد رأيت جنديا في أحد الأيام وهو يلاحق قطا ليضرب رأسه بالحائط ثم قطعه. بعدها خبأ جسد القط في معطفه. تتبعته حتى وصل إلى حقل. قام ذلك الألماني بسلخ جلد القط وطبخه في قصعته ليأكله فورا.

كان ذلك منظرا محزنا جدا بالفعل وسبب لي الغثيان، لكنني على الرغم من ذلك الشعور قلت لنفسي: «ها هو رايخ هتلر العظيم يتناول طعامه في الخارج»، ثم أخذت في الضحك لدرجة الموت. أخجل من ذلك عندما أفكر فيه الآن، لكن هذا ما فعلته حقا.

هذا كل ما لدي. أتمنى لك حسن الحظ في كتابك.

المخلص،

ميكا دانيلز

* * *

من جون بوكر إلى جولييت
16 مايو 1946

عزيزتي الآنسة آشتون،

أخبرتنا أميليا بأنك قادمة لغيرنزي لجمع قصص لكتابك. سأرحب بك من كل قلبي، لكنني لن أتمكن من أن أقص عليك ما حدث لي لأن الحديث في الأمر يجعلني أنتفض. ربما لن تحتاجي لسماع قصتي إن كتبتها لك هنا. هي لا تخص غيرنزي بأي حال، فلم أكن أقطنها. كنت في معسكر اعتقال نوينغامه في ألمانيا.

كما أخبرتك سابقا، كنت قد ادعيت بأنني اللورد توبياس على مدى ثلاثة أعوام. كانت ليزا، ابنة بيتر جنكنز، تواعد الجنود الألمان. كانت تواعد أي جندي، طالما أنه يهديها الجوارب أو أحمر الشفاه. استمر الوضع كذلك حتى استقرت على الرقيب ويلي غيرتز. كان رجلا خسيسا، فكرة كونهما معا تلوث المزاج. ليزا هي التي وشت بي وأفشت سري للقائد الألماني.

في مارس 1944، وبينما كانت ليزا في الصالون لعمل تسريحة لشعرها، وجدت نسخة قديمة تعود إلى حقبة ما قبل الحرب من مجلة تاتلر. وفي الصفحة 124، كانت هناك صورة ملونة للورد والسيدة توبياس بن بيرس. كانا يحضران حفل زفاف في ساسكس، يحتسيان الشامبانيا ويأكلان المحار. أما الوصف أسفل الصورة، فقد أفصح عن فستانها ومجوهراتها وأحذيتها ووجهها وأموالها. وذكرت المجلة أنهما يملكان مزرعة تدعى لا فورت في جزيرة غيرنزي.

أصبح جليا، حتى لمن هو بغباء ليزا، أنني لست اللورد توبياس بن بيرس. لم تمهل شعرها ليصفف، بل اندفعت مسرعة

لتطلع ويلي غيرتز على الصورة، والذي أخذها للقائد مباشرة.

رؤية الصورة في المجلة جعلت الألمان يشعرون بأنهم حمقى، لأنهم كانوا ينحنون احتراما طيلة ذلك الوقت لخادم، ما جعل حقدهم علي مضاعفا عندما علموا بالأمر. فأرسلوني إلى معسكر الاعتقال في نوينغامه.

ظننت أنني سألقى حتفي في الأسبوع الأول. فقد تم إرسالي مع غيري من السجناء لنزع القنابل التي لم تنفجر أثناء الغارات الجوية. يا له من اختيار، أن تجري في ساحة بينما تنهال القنابل من حولك، أو أن تقتل على يد الحرس لأنك ترفض القيام بذلك. جريت وتدحرجت كالفأر، وحاولت أن أحتمي عندما كنت أسمع صفير القنابل فوق رأسي. في النهاية نجوت بمعجزة. وكنت أواسي نفسي بالقول: حسنا ما زلت على قيد الحياة. أعتقد أن كلا منا كان يردد ذلك في نفسه صباح كل يوم: حسنا ما زلت على قيد الحياة. لكننا في الواقع لم نكن على قيد الحياة. لم نكن موتى، لكن لا يمكن وصف حالتنا بأننا على قيد الحياة. كنت روحا حية لدقائق قليلة عندما كنت في سريري. كنت حينها أحاول التفكير بما قد يسرني، بشيء يعجبني، وليس بشيء أحبه لأن ذلك كان يزيد الأمور سوءا. شيء بسيط ليس إلا مثل صورة الصف في المدرسة، أو ركوب الدراجة عند التل. كان هذا أقصى ما أتحمل التفكير فيه.

كان عاما واحدا لكنه مر علي وكأنه ثلاثون عاما. في أبريل 1945 اختار القائد في معسكر اعتقال نيونغامه من كانوا لا يزالون يصلحون للعمل وأرسلنا إلى بيلزن. ركبنا حافلة مكشوفة لأيام عديدة، دون طعام أو بطانيات أو ماء، لكننا كنا سعداء لأننا

لم نضطر إلى المشي في هذه المسافة فقد اصطبغت برك الوحل التي مررنا بها باللون الأحمر لكثرة ما سال فيها من دماء.

أتصور بأنك تعرف بيلزن وما جرى بها. عندما وصلنا ونزلنا من الشاحنة تم تسليم كل منا مجرفة، وأمرنا بحفر حفرة كبيرة لدفن الموتى. أخذونا عبر المخيم وصولا للموقع، وخشيت أن أفقد عقلي لأن كل من رأيتهم كانوا موتى. حتى الأحياء منهم بدوا كالجثث. أما الجثث فقد ظلت ملقاة حيث أسقطت. وكنت أتساءل لماذا يزعجون أنفسهم بدفنهم الآن. علمت فيما بعد أن الروس كانوا قادمين من الشرق والحلفاء من الغرب، وكان الألمان جزعين مما قد يراه هؤلاء عند وصولهم.

لم تتمكن المحرقة من حرق الجثث بالسرعة الكافية، لذلك فقد جررنا الجثث نحو الخنادق التي حفرناها ورميناها هناك. قد يصعب عليك تصديق هذا، لكن وحدة الإس إس[32] أجبرت فرقة السجناء الموسيقية على العزف بينما نقوم بجر الجثث، ولذلك أتمنى أن يحرقوا في نار جهنم. عندما امتلأت الخنادق، قامت وحدة الإس إس بسكب البنزين على الجثث وإشعال النار فيها. كان علينا تغطية ذلك بالتراب، وكأنه من الممكن تغطية شيء كهذا.

وصلت الجيوش البريطانية في اليوم التالي، وكم كنا سعداء لرؤيتها. كنت سليما وقويا لدرجة تمكنني من السير نحوهم، ولذلك تمكنت من رؤية الدبابات وهي تسحق البوابات، كما رأيت علم بريطانيا مطليا على جوانبها. التفت إلى رجل جالس عند الحاجز وقلت له: «تم إنقاذنا. إنها الجيوش البريطانية».

(32) (Schutzstaffel SS) هي وحدة شبه عسكرية تابعة للحزب النازي الألماني تم حظر أعمالها عام 1945 لدورها الإجرامي في المحرقة.

لكنني اكتشفت أنه قد توفي قبل دقائق، ولم تسنح له الفرصة بأن يفرح بوصولهم. جلست في الوحل ونشجت وكأنه كان من أعز أصدقائي.

عندما نزل الجنود البريطانيون[33] (Tommies) من الدبابات، كانوا ينتحبون أيضا، بل حتى الضباط كانوا ينتحبون. قام هؤلاء الرجال الطيبون بإطعامنا وزودونا بالبطانيات، واصطحبونا إلى المستشفيات. بارك الله فيهم فقد حرقوا بيلزن تماما بعد ذلك بشهر.

قرأت في الصحف أن المنطقة تحولت إلى مخيم للاجئي الحرب. يقشعر بدني عندما أفكر بأنهم يقومون ببناء ثكنات جديدة هناك، حتى وإن كان الهدف منها نبيلا. ففي ذهني، أرى أن تبقى تلك الأرض فارغة للأبد.

لن أسترسل في الكتابة عن هذا الأمر، وأرجو منك أن تتفهمي عدم رغبتي في الحديث عنه. فكما يقول سينيكا: «الأحزان الصغيرة ثرثارة، أما عظيمها فأبكم».

أتذكر شيئا قد تودين إدراجه في كتابك. حدث ذلك في غيرنزي بينما كنت أدعي بأنني اللورد توبياس. كنا نسير أنا وإليزابيث أحيانا إلى لسان الأرض لنراقب قاذفات القنابل وهي تطير في سماء الليل، المئات منها، وهي في طريقها لقصف لندن. كان أمرا رهيبا أن نراقبها مع علمنا لما تستهدفه وما هي بصدد فعله. كانت الإذاعة الألمانية تبث لنا خبر تدمير لندن ومسحها من فوق الأرض، دون أي أثر أكثر من الحصى والرماد. لم نصدقهم تماما لأننا نعلم ماهية الدعاية الألمانية ونشرها للأكاذيب، لكن هذا لم يخفف من إحساسنا بالرهبة.

(33) (Tommies Tommy Atkins) هي لفظة عامية تطلق على الجنود العاديين في الجيش البريطاني.

وفي إحـدى تلـك الليـالي، وبينـما كنـا نسـير عـبر سـان بيـتر بـورت، مررنـا بمنـزل مـاكلارن. كان منـزلا قديمـا وجميـلا سـيطر عليـه الضبـاط الألمـان. كانـت إحـدى النوافـذ مفتوحـة ومكنتنـا مـن الاسـتماع إلى مقطوعـة موسـيقية جميلـة يبثهـا المذيـاع. توقفنـا للإنصـات، ظنـا منـا أنهـا أحـد البرامـج التـي تبـث مـن برلـين. لكـن عنـد انتهـاء المقطوعـة، سـمعنا دقـات أجـراس سـاعة بيـغ بـن وصـوت مذيـع بريطـاني يقـول: «هنـا محطـة البـي بي سي». ليـس مـن الصعـب التعـرف عـلى صـوت أجـراس بيـغ بـن. لنـدن لا تـزال قائمـة وسـليمة. تعانقنـا أنـا وإليزابيـث، وأخذنـا نرقـص الفالـس عـلى الطريـق. كانـت تلـك مـن اللحظـات التـي لم أسـتطع التفكـير بهـا عندمـا كنـت في معسـكر اعتقـال نوينغامـه.

المخلص،

جون بوكر

* * *

من دوزي إلى جولييت

16 مايو 1946

عزيزتي جولييت،

لم يتبـق لنـا الآن إلا انتظـار وصولك. قامت إيسـولا بغسل وتنشـية وكي سـتائر بيـت إليزابيـث. تأكـدت مـن خلـو المدخنـة مـن الخفافيـش، ونظفـت النوافـذ ورتبـت الأسرّة، وقامـت بتهويـة الغـرف.

نحـت إيـلاي هديـة لـك، ومـلأ إيبـين مخزنـك بالحطـب، وجـزّ كلوفيـز المـرج المحيـط بالبيـت تـاركا بعـض شـتلات الزهـور البريـة

لتستمتعي بها، حسب قوله. وترتب أميليا وليمة عشاء على شرفك مساء أول يوم لوصولك.

وظيفتي الوحيدة هي إبقاء إيسولا على قيد الحياة لحين وصولك. تصيبها الأماكن المرتفعة بالدوار، لكنها تسلقت سقف منزل إليزابيث للتأكد من ثبات القرميد. لحسن الحظ، عثرت عليها كيت قبل وصولها إلى المزراب، وجرت نحوي تحثني على إقناعها بالنزول.

أتمنى لو أستطيع فعل المزيد للترحيب بقدومك، أرجو أن يكون ذلك قريبا. إنني سعيد جدا بزيارتك.

المخلص،

دوزي

* * *

من جولييت إلى دوزي

19 مايو 1946

عزيزي دوزي،

سأصل بعد غد. لا أملك الجرأة لأستقل الطائرة، ولو مع حافز توفر المشروب، لذلك سأصل غيرنزي على متن قارب بخاري.

أرجو أن تقوم بإيصال رسالة مني إلى إيسولا؛ أخبرها بأنني لا أملك قبعة بوشاح، ولا أستطيع حمل باقة زنابق، فهي تسبب لي الحساسية. لكن لدي معطف صوفي أحمر سأرتديه على القارب.

دوزي، ليس هناك أكثر مما فعلته لتجعلني أشعر بأنني موضع

ترحيب في غيرنزي. لا أكاد أصدق أنني سأراكم جميعا عما قريب.

المخلصة دوما،

جولييت

* * *

من مارك إلى جولييت

20 مايو 1946

عزيزتي جولييت،

طلبت مني أن أمنحك بعض الوقت، وها أنا قد منحتك إياه. طلبت مني ألا آتي على ذكر الزواج، ولم آتِ على ذكره. تخبرينني الآن، رغم ذلك، بأنك ذاهبة إلى غيرنزي اللعينَة لمدة... لمدة أسبوع؟ شهر؟ للأبد؟ هل تعتقدين أنني سأستسلم وأدعك ترحلين؟

هذا سخف منك يا جولييت. حتى الأبله يستطيع أن يرى أنك تحاولين الهروب، لكن ما لا يمكن لأي شخص أن يفهمه هو سبب ذلك. إننا متوافقان مع بعضنا. أنت تشعرينني بالسعادة ولا أملّ وجودك أبدا، واهتماماتك توافق اهتماماتي، وأرجو ألا يبدو غرورا مني إن اعتقدت أن الشعور متبادل. إننا ملائمان لبعضنا. أعلم كم تكرهين قولي إنني أدرى بمصلحتك، لكنني فعلا أدرى بمصلحتك في هذا الشأن.

بالله عليك، انسَي أمر تلك الجزيرة التعيسة وتزوجيني. سأصطحبك إليها لقضاء شهر عسلنا إن اقتضى الأمر.

محبتي،

مارك

من جولييت إلى مارك

20 مايو 1946

عزيزي مارك،

قد تكون على حق، لكنني ذاهبة إلى غيرنزي غدا بأي حال، ولا يمكنك منعي.

أعتذر عن عدم قدرتي على إعطائك الجواب الذي تريده. أتمنى لو كنت قادرة على ذلك.

محبتي،

جولييت

ملحوظة: شكرا على الورود.

* * *

من مارك إلى جولييت

بحق الله. هل تريدنني أن أوصلك إلى ويموث؟

مارك

* * *

من جولييت إلى مارك

هل تعدني بأن تكف عن تأنيبي وتوبيخي؟

جولييت

* * *

من مارك إلى جولييت

لن أوبخك، لكنني سأستخدم جميع أساليب الإقناع الأخرى.

مارك

* * *

من جولييت إلى مارك

لن تخيفني بذلك. ما الذي يمكنك عمله أثناء القيادة؟

جولييت

* * *

من مارك إلى جولييت

سوف أدهشك. أراك غدا.

م.

* * *

الجزء الثاني

من جوليت إلى سيدني
22 مايو 1946

عزيزي سيدني،

لدي الكثير لأخبرك به. لم يمض على وصولي إلى غيرنزي أكثر من عشرين ساعة، لكن كل ساعة منها كانت مليئة بالوجوه والأفكار الجديدة، ولدي الآن مقدار كبير مما يمكن أن أكتبه. ألا ترى كيف أن حياة الجزر تعزز من الكتابة؟ انظر إلى فكتور هوغو، سيصبح إنتاجي الأدبي غزيرا إن طال بقائي هنا.

كانت الرحلة من ويموث شنيعة بالقارب البخاري الذي ظل يئن ويصدر صريرا قويا ويوشك على التحطم بين الأمواج. كدت أتمنى أن يتحطم ليخلصني من المعاناة التي كنت فيها، لولا رغبتي برؤية غيرنزي قبل مماتي. بمجرد أن ظهرت لنا الجزيرة غيرت رأيي فورا عندما رأيت الشمس تتجلى بين الغيوم لتحط بأشعتها البراقة على الشطآن الصخرية لتبدو بلون الفضة.

عندما رسا القارب في الميناء، رأيت سان بيتر بورت ترتفع من فوق البحر بتدرّج مصاطبها وصولا إلى كنيسة في قمة التل وكأنها زينة كعك، وأدركت حينها أن قلبي كانت تتسارع دقاته. ورغم محاولتي إقناع نفسي بأن سبب ذلك جمال المنظر الذي أمامي، لكنني كنت أدرك السبب الحقيقي. كل هؤلاء الأشخاص الذين تعرفت عليهم وأحببتهم نوعا ما، هم الآن في انتظاري. وها أنا ذي، دون كتاب أو صحيفة تسترني عن الأنظار. أجد أن السنتين أو الثلاث الماضية جعلتني بارعة في الكتابة يا سيدني، لكنني لا أعرف كيف أعيش. ولك أن تعلق بما تشاء على براعة كتاباتي. أجدني جذابة

جدا عندما أفرغ أفكاري على الورق، لكن هذه ليست سوى خدعة تعلمتها. وليس لها أي صلة بشخصي. هذا ما كان يدور في خلدي بينما كان القارب يرسو في الميناء. كانت لدي رغبة جبانة برمي معطفي الأحمر من متن القارب والتظاهر بأنني شخص آخر.

عندما اقتربنا من المرسى، استطعت أن أرى وجوه الأشخاص الذين ينتظرونني، ولم يعد هناك أي مجال للعودة. تعرفت عليهم من خلال رسائلهم. ها هي إيسولا بقبعة عجيبة وشال بنفسجي مثبت بدبوس براق. كانت تبتسم بكل ثقة باتجاه خاطئ، وقد أحببتها على الفور. وقف بالقرب منها رجل بوجه امتلأ بالتجاعيد، وصبي طويل ودقيق البنية بجانبه. إنه إيبين وحفيده إيلاي. لوحت بيدي لإيلاي فابتسم كشعاع من النور، ووكز جده ليسترعي انتباهه. وهنا أصبحت خجلة ووجدت نفسي تائهة بين الأفواج المندفعة نحو معبر القارب.

كانت إيسولا أول الواصلين إلي عندما وثبت فوق صناديق سرطان البحر فاحتوتني بعناق حار حملني عن الأرض، وصرخت قائلة «هذا جميل جدا» بينما كنت أتدلى بين ذراعيها.

ما أرقها! لقد خرجت مني كل مشاعر التوتر والاضطراب مع أنفاسي في هذا العناق. جاء الآخرون نحوي بهدوء لا تنقصه العاطفة ولا دفء المشاعر. صافحني إيبين مبتسما. يبدو جليا بأنه كان عريض المنكبين يوما ما، أما الآن فهو نحيل جدا. بدا غامضا ولكنه ودود ولطيف في آن معا، ولا أعلم كيف له أن يدمج هاتين الخصلتين. وجدتني أطمح في أن أحوز على إعجابه.

حمل إيلاي كيت على كتفيه وتقدما نحوي. كان لكيت أرجل ممتلئة ووجه صارم ذو شعر مموج غامق، وعينان رماديتان كبيرتان،

ولم تستلطفني البتة أو توليني أي اهتمام. كان قميص إيلاي مرقطا بنشارة الخشب، وكان يحمل في جيبه هدية لي، هي عبارة عن فأر صغير بديع ذي شوارب ملتوية تم نحته من خشب الجوز. قبلته على خده وسلمت من نظرة كيت الحاقدة. لديها مظهر صارم جدا لا يناسب فتاة في الرابعة من عمرها.

ثم مد دوزي إلي يديه. كنت قد تخيلت أنه يشبه تشارلز لام، وهو بالفعل يشبهه قليلا، بل إن لديه تلك النظرة المطمئنة نفسها. قدم لي رزمة من أزهار القرنفل من طرف بوكر الذي لم يستطع أن يأتي للميناء، فقد أصيب بارتجاج أثناء التدريب، وهو يرقد الآن تحت الملاحظة في المستشفى. دوزي ذو بشرة داكنة وجسد نحيل وقوي، وتعلو وجهه نظرة هادئة ويقظة تتغير حين يبتسم لك. لديه أعذب ابتسامة رأيتها، باستثناء ابتسامة أختك، وتذكرت هنا قول أميليا عن قدرته العجيبة على الإقناع وصدقتها. كما هو إيبين، وكما هم الجميع هنا، كان نحيلا جدا، رغم أنه من الواضح أن جسده كان قويا في يوم ما. أخذ الشيب يغزو شعره، ولديه عينان غائرتان بلون بني غامق جدا، حتى لتبدوان وكأنهما سوداوان. الخطوط حول عينيه تجعله وكأنه يبتسم، حتى وإن لم يكن يبتسم. لا أعتقد أن عمره يتجاوز الأربعين عاما. هو أطول مني قليلا فقط ويعرج قليلا، لكنه قوي. فقد استطاع حمل كل حقائبي في عربته، بالإضافة إلى حملي وأميليا وكيت.

صافحته (لا أتذكر إن كان قد تفوه بشيء) ثم انتحى جانبا ليترك المجال لأميليا. وهي من ذلك النوع من السيدات اللاتي يبدون أكثر جمالا وهن في الستين من عمرهن عما كنَّ في العشرين (كم أتمنى أن يصفني أحدهم هكذا يوما ما). تبدو أميليا صغيرة ونحيلة

الوجه بابتسامة لطيفة وشعر رمادي متوج بالضفائر. أمسكت بيدي وقالت: «يسعدني وصولك هنا أخيرا يا جولييت. لنتسلم أغراضك ونتوجه للمنزل». بدا ذلك جميلا، وكأنني أتوجه لمنزلي فعلا.

بينما كنا نقف عند رصيف الميناء، كان ثمة وميض ضوء يلمع في عيني ثم يدور حول الرصيف بين الفينة والأخرى. تذمرت إيسولا وهي تخبرني بأن هذه هي أديليد أديسون تتابع حركاتنا عند نافذتها بمنظار الأوبرا. لوحت إيسولا بعنف باتجاه الوميض، فتوقف.

أخذنا بالضحك على ذلك. أما دوزي فقد انشغل بحقائبي بينما كان يتابع كيت بحرص حتى لا تقع من حافة الرصيف، مهتما بكل من حوله. واستطعت أن أدرك أن هذا هو طبع دوزي وأن الجميع يعتمد عليه في ذلك.

ركبنا أربعتنا عربة دوزي، أميليا وكيت ودوزي وأنا حتى وصلنا مزرعة أميليا، بينما اتجه البقية إلى هناك سيرا على الأقدام. لم تكن المسافة طويلة، لكنها كانت حافلة بالمناظر الجميلة. اتجهنا من سان بيتر بورت إلى الريف. كان الطريق يعج بالمراعي المتماوجة التي تنتهي فجأة عند المنحدرات الصخرية وتلف المكان رائحة البحر المالحة الرطبة. وبينما كنا نتجه للمزرعة، غربت الشمس وتصاعد الضباب. أتعرف كيف تتضخم الأصوات في الضباب؟ هذا ما كنا فيه، كانت كل تغريدة طائر مضاعفة ولها رمزية خاصة. عند وصولنا للمزرعة بدت الغيوم وكأنها تغلي فوق حواف الجروف الصخرية، واكتست الحقول بلون رمادي، لكنني تمكنت من ملاحظة خيال أشكال أعتقد بأنها المستودعات الإسمنتية التي بناها عمال السخرة.

جلست كيت بجانبي في العربة ورمقتني بعدة نظرات جانبية. لم أكن من الحماقة بأن أحاول التحدث معها، لكنني قمت بتمثيل لعبة الإصبع المقطوعة. تعرفها، أليس كذلك؟ تلك التي تجعل إبهامك تبدو وكأنها قطعت إلى جزأين.

كررت ذلك مرارا مدعية العفوية دون النظر نحوها، بينما كانت تراقبني كصقر صغير. كانت تركز على ما أفعله مبهورة به، لكنه لم يسهل خداعها لجعلها تضحك. في النهاية اكتفت بالسؤال: «هل ترينني كيف تفعلين ذلك؟».

جلست قبالتي على العشاء ورفضت أخذ السبانخ مادّة يدها كرجل المرور لتقول: «لا أريد ذلك» ولم أجرؤ على مخالفتها. سحبت مقعدها مقتربة من دوزي وبدأت تأكل وهي تتكئ بمرفقها على ذراعه لتثبته في مكانه. لم يبدُ أن لديه أي اعتراض، رغم ما بدا عليه من صعوبة في قطع دجاجته. وبمجرد انتهاء العشاء، تسلقت فورا إلى حجره. كان هذا عرشها الشرعي دون أي شك. ورغم اندماج دوزي في الحوار الدائر، لكنني رأيته يشكل المنديل على هيئة أرنب، بينما كان الحديث يدور حول ندرة الطعام أثناء الاحتلال. هل تعلم أن سكان الجزيرة كانوا يطحنون طعام الطيور للحصول على الدقيق حتى نفد؟

لا بد أنني نجحت في اختبار لم أكن أعلم أنني خضته. فقد طلبت كيت مني أن أرافقها للاستعداد للنوم. أرادت مني أن أروي لها حكاية عن النمس. قالت إنها تحب القوارض، وسألتني إن كنت أحببتها. سألتني إن كنت مستعدة لتقبيل فأر على فمه؟ أجبتها: «مستحيل»، ويبدو أن ذلك نال استحسانها. تبين أنني جبانة بالفعل، لكنني لست منافقة. رويت لها قصة، وأعطتني

خدها لأطبع عليه قبلة.

يا لها من رسالة طويلة، ولا تحوي إلا أول أربع ساعات من الساعات العشرين. عليك الانتظار حتى أكمل لك الست عشرة ساعة الباقية.

محبتي،

جولييت

* * *

من جولييت إلى صوفي

24 مايو 1946

الغالية صوفي،

أجل. إنني في غيرنزي. حاول مارك جاهدا أن يثنيني، لكنني قاومته بعناد شديد حتى النهاية. لطالما كنت أعتقد أن إصراري العنيد من أسوأ خصالي، لكنها كانت خصلة مفيدة جدا في الأسبوع الماضي.

ما إن ابتعد القارب عن الميناء حتى رأيته واقفا على الرصيف متجهما بطوله الفارغ، ويرغب بالزواج مني أنا بطريقة أو بأخرى. بدأت أتساءل إن كان على حق. قد أكون حمقاء كبيرة. أعلم أن هناك ثلاث نساء مغرمات به، وأنهن سيأخذنه مني، وأنني سأمضي ما تبقى من عمري البائس على فراش المرض وتتساقط أسناني الواحدة تلو الأخرى. آه، إنني أتخيل الآن أن يحدث كل ذلك لي. لن يشتري أحد كتبي، وسأمطر سيدني بمخطوطات بالية

لا يمكن قراءتها، وسيدعي نشرها شفقة علي. وسأجوب الشوارع مرتعشة أتمتم بلا معنى، ومعي حقيبتي التعيسة المليئة باللفت، وبحذائي المبطن بأوراق الصحف. ستحنين علي ببطاقات عاطفية في عيد الميلاد (أليس كذلك؟) وسأتفاخر أمام الأغراب بأنني كنت في يوم من الأيام على وشك الزواج من ماركام رينولدز الناشر المليونير. وسيهزون رؤوسهم قائلين لا بد أنها عجوز مجنونة، لكنها غير مؤذية.

يا إلهي. هذا هو الطريق إلى الجنون.

غيرنزي جميلة، وقد رحب بي أصدقائي الجدد بكل كرم محبة، حتى إنني لم أشك ولو للحظة بصحة قراري بالمجيء إلى هنا، حتى هذه اللحظة التي بدأت أفكر فيها بأسناني المتساقطة. سأتوقف عن التفكير بذلك. سأذهب للاستمتاع بمروج الزهور البرية عند عتبة بابي وأجري نحو الجروف الصخرية بأسرع ما لدي. ثم سأسقط على الأرض لأراقب السماء التي تبرق كلؤلؤة في هذا المساء، وأستنشق رائحة العشب الدافئة، وأتظاهر بأن ماركام ف. رينولدز غير موجود.

للتو عدت إلى الداخل، بعد ساعات قضيتها في الخارج، حيث صبغت أشعة الشمس الغاربة إطارا ذهبيا حول الغيوم، وحيث يئن البحر أسفل الجرف الصخري. مارك رينولدز؟ من يكون؟

مع حبي دائما،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني

27 مايو 1946

عزيزي سيدني،

لقد بني كوخ إليزابيت لإيواء ضيف فخم بلا شك، لأنه كوخ واسع جدا. يتألف الكوخ من غرفة جلوس كبيرة وحمام ومخزن للمؤونة ومطبخ كبير في الطابق السفلي. أما الطابق العلوي فيحوي ثلاث غرف نوم وحماما واحدا. أجمل ما في الكوخ هو كثرة النوافذ التي تسمح بمرور هواء البحر عبر جميع الغرف.

حشرت طاولة الكتابة قرب أكبر نافذة في غرفة المعيشة. جل ما يعكر هذا الترتيب هو الرغبة المستمرة في ترك الطاولة والسير إلى حافة الجرف. فالبحر والغيوم في حركة مستمرة تجعلني أقلق من أن يفوتني منظرهما المتغير إن مكثت في الداخل. عندما نهضت من النوم هذا الصباح، كان بريق أشعة الشمس يغطي سطح البحر، أما الآن فقد تحول ذلك إلى ستار ليموني شفاف. يتحتم على الكتّاب العيش بعيدا عن البحر أو بالقرب من مقلب نفايات المدن ليتمكنوا من الإنتاج. أو أن يتمتعوا بإرادة أقوى من إرادتي.

إن كنت في حاجة إلى من يشجعني على الافتتان بإليزابيث، وهو ما لا أريده، فها هي مقتنياتها تتكفل بالمهمة. نزل الجنود الألمان في منزل السير أمبروز ومنحوها ست ساعات فقط لحمل أغراضها إلى الكوخ. أخبرتني إيسولا بأن إليزابيث لم تأخذ معها غير بعض القدور والمقالي، وبعض السكاكين وأطباق الاستعمال اليومية (احتفظ الألمان بالفضيات والكريستال والخزف والخمور)، كما أخذت معدات الرسم بالإضافة إلى فونوغراف قديم وبعض

الإسطوانات. أما الكتب فقد أخذت منها أحمالا كثيرة. آه يا سيدني ما أكثرها من كتب، لم يسعفني الوقت لأعاينها جميعها، وقد امتلأت بها رفوف غرفة الجلوس حتى فاضت بها وأخذت حيزا من مخازن المطبخ. بل إنها كدست بعضها عند طرف الأريكة لاستخدامها كمنضدة. كم هي فكرة عبقرية!

أجد أشياء صغيرة تدلني على شخصية إليزابيث في كل زاوية. كانت دقيقة الملاحظة يا سيدني، تشبهني في ذلك، فقد امتلأت الأرفف بالأصداف وريش الطيور وأعشاب البحر المجففة، والحصى وقشر البيض وهيكل خفاش على ما يبدو. كانت مجرد قطع صغيرة متناثرة على الأرض قد يتجاهلها أغلب الناس أو يدوسون عليها. لكن إليزابيث رأت أنها جميلة وجلبتها للمنزل. قد تكون استخدمتها كموضوع لوحة. هل أجد دفاتر رسمها هنا؟ هناك حملة تفتيش حتمية. العمل على الكتابة يأتي أولا، لكن توقعاتي بما قد أجده تجعل كل يوم وكأنه ليلة عيد الميلاد.

هناك أيضا لوحة من لوحات سير أمبروز أحضرتها إليزابيث معها. هي صورة لها أتوقع أن تكون قد رسمت عندما كانت في الثامنة من عمرها. تراها تجلس على أرجوحة وهي على استعداد للوثب بعيدا عنها، لكنها تحافظ على سكونها ليستطيع سير أمبروز رسمها. رسم حواجبها يدل على امتعاضها من الأمر، لا بد أن نظرات الأشخاص تورث لأطفالهم، فلكيت نظرة مماثلة.

يقع كوخي داخل البوابات (بصراحة هي بوابات مزرعة بثلاثة مزاليج) ويمتلئ المرج حول الكوخ بزهور برية متناثرة تمتد حتى حافة الجرف حيث يسود العشب وشجيرات الجولق[34].

(34) gorse هو نبات من فصيلة البقوليات ذو زهور صفراء صغيرة. من أسمائه أيضا الرتم والقندول.

أما السجن (لا أعلم له اسما آخر) فهو الذي جاءت إليزابيت لإغلاقه لصالح أمبروز، وهو منزل عظيم من الحجر الرمادي المزرق يقع على امتداد شارع الكوخ. يتكون من طابقين على شكل حرف (L) بالإنجليزية، وله سقف من ألواح حجرية تبرز منه نافذة صغيرة. كما تمتد شرفة طويلة عند الجهة الأكبر من المنزل وتواجه البحر من الجهة الأخرى، وفيها برج بنافذة. وقد قطعت معظم الأشجار الكبيرة لاستخدام خشبها حطبا. لكن سيد ديلوين طلب من إيبين وإيلاي أن يزرعا أشجارا جديدة من البلوط والسنديان، كما سيصنع عريشة لأشجار الخوخ بجوار سور الحديقة الحجري بمجرد الانتهاء من بنائه.

يمتاز المنزل بكمية متناسقة من الشبابيك الطويلة والعريضة التي تؤدي إلى الشرفة الحجرية. وقد بدأ العشب بالنمو واكتساب اللون الأخضر مرة أخرى ليغطي آثار إطارات السيارات والشاحنات الألمانية.

خلال الأيام الخمسة الماضية في الجزيرة، قمت بزيارة عشر أبرشيات بمرافقة إيبين أو إيلاي أو دوزي أو إيسولا. غيرنزي جميلة بتنوعها من حقول وغابات وشجيرات ووديان ومزارع وأضرحة وهضاب شاسعة، وزوايا الساحرات وحظائر تعود للعهد التيودوري وأكواخ حجرية من زمن النورمانديين. استمعت إلى قصص تمرد عديدة عند كل موقع ومبنى.

تمتع قراصنة غيرنزي بذوق رفيع يبدو جليا في ما تركوه خلفهم من منازل جميلة ومبان عامة رائعة. يبدو جمالها المعماري واضحا على الرغم من حاجتها إلى الترميم. اصطحبني دوزي إلى كنيسة صغيرة تزين كل شبر منها فسيفساء من الخزف والفخار،

وكل ذلك من عمل قسيس واحد لا بد أنه كان يستخدم المطرقة في إلقاء خطبه.

مرشديّ السياحيون متنوعون بتنوع المناظر. تخبرني إيسولا عن صناديق القراصنة الملعونة المزينة بالعظام المبيضة التي ترتمي على الشواطئ، وعما يخبئه سيد هاليت في حظيرته (هو يدعي أنه عجل لكننا نعلم حقيقة الأمر). ويصف إيبين الأوضاع في فترة ما قبل الحرب، بينما يختفي إيلاي فجأة ليعود بابتسامته الملائكية ومعه عصير الخوخ. أما دوزي فهو قليل الكلام لكنه يأخذني لأرى العجائب مثل تلك الكنيسة الصغيرة حيث يقف بعيدا ليتيح لي الفرصة للاستمتاع بهذه المناظر كما أريد. فهو إنسان لا يستعجل الأمور قط. وبينما كنا نسير على الطريق يوم أمس لاحظت بأنه ينقطع قريبا من الجرف ويتحول إلى ممر ينحدر إلى الشاطئ. سألته إن كان هذا المكان الذي التقى فيه بكريستيان هيلمان. بدا مندهشا لوهلة، ثم أخبرني بأن هذه هي البقعة التي التقاه فيها فعلا. وعندما سألته عن شكل كريستيان لأنني أردت تكوين صورة للمنظر. كنت أعتقد أن سؤالي لن يجد إجابة وافية، حيث يعجز الرجال عن وصف بعضهم بعضا، لكن دوزي تمكن من إعطائي وصفا جيدا، وقال: «بدا كالألماني الذي تتخيلينه، طويلا ذا شعر أشقر وعينين زرقاوين، لكنه مفعم بالإحساس».

تكررت زياراتي لاحتساء الشاي في المدينة مع أميليا وكيت وقد كان سي سي محقا في بهجته للإبحار إلى سان بيتر بورت، فقد كان الميناء من أجمل ما رأيت، حيث تمتد المدينة صعودا من البحر نحو السماء. كانت نوافذ المحلات في شارع هاي وبوليت تشع

نظافة، وهي آخذة بالامتلاء بالسلع الجديدة. قد يكون سان بورت بورت تعيسا في هذه الأيام حيث تحتاج العديد من المباني للصيانة، لكنه لا ينشر ذلك الهواء المستنفد الذي تجده في لندن المسكينة. لا بد أن سبب ذلك هو النور الساطع الذي يتدفق على كل شيء، والهواء النظيف الصافي والأزهار المتناثرة التي تنمو في كل مكان، في الحقول وعلى جوانب الطرق وفي الفجوات وبين بلاط الطرق.

عليك أن تكون قصيرا مثل كيت لتتمكن من رؤية العالم رؤية جيدة. فهي بارعة في الإشارة إلى ما قد يفوت انتباهي، مثل الفراشات والعناكب والأزهار الصغيرة التي تنمو بالقرب من الأرض، والتي يصعب الانتباه إليها حين تواجه جدارا متوهجا من أزهار الفوشيا والجهنمية. رأيت كيت ودوزي يوم أمس وهما يجلسان القرفصاء بين الشجيرات بصمت كصمت اللصوص بالقرب من البوابة. لم يكونا يسرقان بل يراقبان طائرا أسود يجر دودة من بين فجوات الطريق. حاولت الدودة مقاومة الطائر بينما جلسنا أنا وكيت ودوزي بصمت حتى تمكن الطائر أخيرا من ابتلاعها. لم يسبق لي أن رأيت هذه العملية بأكملها. كم هي مقززة!

أحيانا تحمل كيت معها صندوقا صغيرا عندما نذهب للمدينة، صندوقا كرتونيا مربوطا بحبل وله مقبض صوفي أحمر. تضعه في حجرها وتحافظ عليه بكل اهتمام وتحرص عليه حتى أثناء تناولنا الشاي. لا يحوي الصندوق فتحات تهوية، فلا يمكن أن يكون فيه نمس، لكن كان ميتا.. أتوق لمعرفة محتوى الصندوق، لكنني لا أجرؤ على السؤال.

إن المعيشة هنا تستهويني، وقد استقر بي المقام هنا بما يكفي لكي أبدأ بالكتابة، وسأبدأ بمجرد عودتي من رحلة صيد السمك مع إيبين وإيلاي بعد ظهر اليوم.

محبتي لك ولبيرس،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني

30 مايو 1946

عزيزي سيدني،

هل تذكر عندما أجبرتني على حضور خمس عشرة جلسة في مدرسة سيدني ستارك لأساليب تحفيز الذاكرة؟ أخبرتني وقتها أن الكتّاب الذين يدونون ملحوظاتهم أثناء المقابلات وقحون وكسالى وليسوا كفوئين، ووعدتني حينها بأنك لن تسمح لي بجلب العار لك. يومها كنت مغرورا إلى الحد الذي جعلني أكرهك، لكنني تعلمت الدرس جيدا وها أنت تجني الآن ثمار جهدك.

حضرت مساء أمس أول جلسة لي مع جمعية الأدب وفطيرة قشر البطاطا، والتي انعقدت في غرفة جلوس كلوفيس ونانسي فوسي (الغرفة تتصل بمطبخهما). كان المتحدث يومها عضوا جديدا يدعى جوناس سكيتر وقد حدثنا عن تأملات ماركوس أوريلياس.

خطا سكيتر بخطوات طويلة إلى واجهة الغرفة، حدق بنا وأعلن أنه لا يود أن يكون في هذا المكان، وأن صديقه السابق وودرو كاتر،

الذي كان من أقدم وأعز أصدقائه هو من دفعه لقراءة كتاب السخيف ماركوس أوريلياس، بعد أن جعله يشعر بالخجل لعدم معرفته به. فاستدار الجميع للنظر إلى وودرو الذي بدا مصدوما حقا وقد فغر فمه.

استرسل جوناس سكيتر قائلا: «حضر وودرو إلى حقلي أثناء انشغالي بتهيئة سماد الزراعة (الكومبوست)، ملوحا بهذا الكتاب الصغير ليخبرني بأنه قد أتم قراءته للتو، وأنه ينطوي على قدر كبير من المعرفة ويريد مني قراءته أيضا».

قلت له إن وقتي لا يسمح لي بأن أكون على قدر كبير من المعرفة.

فقال لي: «يجب أن توفر الوقت اللازم لذلك يا جوناس، فإن فعلت فستتحسن مواضيع حوارنا عند احتسائنا البيرة في حانة إيدا المجنون».

يجب أن أعترف بأن ذلك قد جرح مشاعري، وأكذب عليكم لو قلت غير ذلك. فقد كان صديق طفولتي يستغل ميزته ليسيطر علي لبعض الوقت لمجرد قراءة بعض الكتب معكم. وقد تجاهلت الأمر في السابق لأن كلا منا يغني على هواه، كما تردد أمي دائما. لكنه تعدى الحد المعقول في ذلك اليوم، فقد أهانني وجها لوجه. وحاول السيطرة علي في الحديث.

قال وودرو: «اسمع يا جوناس. كان ماركوس إمبراطورا رومانيا ومحاربا عظيما. وهذا الكتاب هو نتاج أفكاره، وهو يحارب ضد الكوادي[35] الهمج الذين كانوا يتربصون بالرومان لقتلهم. ورغم

(35) Quadi هي قبيلة جرمانية (من بحر البلطيق) كانت تقطن بالقرب مما يطلق عليه مورافيا حاليا في زمن الإمبراطورية الرومانية.

ضيق وقته لانشغاله بمحاربتهم، لكنه استقطع وقتا لتدوين أفكاره في هذا الكتاب الصغير. كانت أفكاره عميقة ومهمة، ويجب علينا الاستفادة منها يا جوناس».

سيطرت على مشاعري المجروحة وأخذت الكتاب منه. لكنني أتيت هنا هذا المساء لأقول أمام الجميع يا للعار يا وودرو. عار عليك أن تفضل كتابا على صديق طفولتك.

لكنني قرأت الكتاب فعلا وإليكم رأيي فيه. كان ماركوس أوريلياس امرأة عجوزا، يدأب على فحص دماغه، متسائلا دوما عما فعله أو ما لم يفعله، وعما إذا أحسن التصرف أم لا، وعما إذا كان العالم كله على خطأ أم أنه هو المخطئ. وقرر أن الجميع مخطئون، ودأب على توضيح الأمور لهم. ولأنه كالدجاجة التي تحضن بيض غيرها، لم يخطر بباله أنه لا يمكن أن يتحول إلى واعظ. لا بد أنه رجل يصعب عليه حتى قضاء حاجته.

شهق أحدهم: «يا إلهي، لقد قال قضاء حاجته أمام جمهور من النساء».

وصاح آخر: «أجبروه على الاعتذار».

«ليس عليه الاعتذار فيحق له الإفصاح عما يريد، سواء أعجبكم هذا أم لم يعجبكم».

«وودرو، كيف تجرؤ على الإساءة لصديقك هكذا؟».

«يا للعار يا وودرو».

ران الصمت على الغرفة عندما نهض وودرو من مكانه وتقابل الرجلان في وسط الغرفة. صافح أحدهما الآخر وربت وودرو على كتف جوناس ليتوجه الرجلان بعد ذلك، يدا بيد،

إلى إيدا المجنونة. أرجو أن يكون هذا اسم حانة وليس اسم امرأة.

محبتي،

جولييت

ملحوظة: كان دوزي الوحيد من بين أعضاء الجمعية من اعتبر أحداث مساء أمس مضحكة، ورغم أن أخلاقه لم تسمح له بالضحك بصوت مرتفع، لكنني رأيت كتفه تهتز. واستخلصت من ردة فعل الآخرين أنها كانت أمسية جيدة، وإن لم تكن مميزة.

محبتي ثانية،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني

31 مايو 1946

عزيزي سيدني،

أرجو منك قراءة الرسالة المرفقة، لقد وجدتها أسفل بابي صباح اليوم:

عزيزتي الآنسة آشتون،

أخبرتني الآنسة بريبي بأنك تودين الحصول على معلومات عن الاحتلال الألماني لجزيرتنا، فإليك رسالتي.

إنني رجل صغير. ورغم قول أمي إنني لم أبلغ حجمي الطبيعي، لكن ذلك غير صحيح. قد أبقيت على الموضوع سرا لكنني بطل صفير فزت بمسابقات وجوائز، واستطعت بموهبتي تلك أن أضعف العدو أثناء الاحتلال.

كنت أتسلل خارجا من المنزل بعد أن تخلد والدتي للنوم. وأتجه بهدوء إلى الماخور الألماني (عذرا على استخدامي لهذا اللفظ) الكائن في شارع ساوماريز. كنت أتخذ الظلام سترا حتى يخرج جندي من موعد عشقه. وأود أن تعلمي أن الرجال يكونون في أدنى قدراتهم الجسدية بعد هذه التجربة. يبدأ الجندي في التوجه إلى ثكنته مطلقا العنان للصفير في أغلب الأحيان. فأتبعه بحذر مطلقا العنان لصفيري ليوافق لحن صفيره، وإن كنت أتفوق عليه في ذلك. فيتوقف وأستمر أنا بالصفير. يتوقف برهة ليقرر إن كان ما يسمعه صدى صفيره أم أنه صفير شخص آخر يتبعه. لكنه يتساءل عن هذا الشخص فينظر للخلف، وأكون حين ذلك قد اختبأت خلف عتبة أحد الأبواب. وعندما يعجز عن رؤية أي شخص، يستمر في السير دون صفير. أبدأ بالسير ثانية مستمرا بالصفير. يقف، فأقف. يسرع الخطى فأستمر بالصفير، بينما أتبعه بخطوات قريبة. يتجه الجندي لثكنته بينما أتجه أنا للماخور في انتظار جندي آخر. ليس لدي أي شك بأنني تسببت في جعل العديد من الجنود غير قادرين على أداء واجباتهم في اليوم التالي. هل فهمت؟

الآن، إذا سمحت لي، أود الحديث عن المواخير. لا أعتقد أن النساء كنّ هناك بمحض رغبتهن. لقد تم إرسالهن من المناطق المحتلة في أوروبا، على غرار عمال السخرة. لا بد أنه كان عملا تعيسا. لحسن

حظ الجنود، فقد طالب هؤلاء أن تمنح النساء بدل طعام إضافيا كالذي يمنح لمن يمارسون الأعمال الشاقة في الجزيرة. كما رأيت بعض هؤلاء النسوة وهن يتقاسمن طعامهن مع عمال السخرة الذين كان يسمح لهم أحيانا بترك مخيماتهم بحثا عن الطعام.

تعيش خالتي في جيرزي، وللأسف هي تستطيع زيارتنا الآن لانتهاء فترة الحرب، إنها من الأشخاص الذين يحكون قصصا بذيئة.

قرر الألمان إرسال نساء الماخور إلى فرنسا بعد إنزال النورماندي، فتم تحميلهن في قارب متجه إلى سان مالو. كانت المياه هائجة وكئيبة وشرسة. تحطم قاربهن على الصخور وغرق كل من عليه. يا له من منظر رؤية أولئك النسوة الغرقى بشعرهن الأصفر (شقراوات اصطناعيات كما وصفتهن خالتي) طافيات على الماء عند الصخور. وكانت خالتي تردد: «هن يستحققن ذلك فهن عديمات الأخلاق». فتأخذ هي ووالدتي بالضحك.

لم يكن من الممكن احتمال ذلك، فقفزت من مقعدي ورميت بطاولة الشاي فوق رأسيهما، وشتمتهما قائلا إنهما خفافيش قذرة شمطاء.

صرحت خالتي أنها لن تأتي إلى منزلنا بعد الآن، ولم تكلمني والدتي منذ ذلك الحين. أجد ذلك مريحا وهادئا جدا.

المخلص،

هنري أ. توسان.

* * *

من جولييت إلى سيدني

6 يونيو 1946

سيد سيدني ستارك

شركة ستيفنز وستارك المحدودة

21 ساحة سان جيمس

لندن س. و. *1*

عزيزي سيدني،

لا أصدق أنك هاتفتني من لندن مساء أمس. يا لحكمتك لإبقاء أمر سفرك سرا، تعلم كم تخيفني الطائرات، حتى وإن لم تكن تمطرنا بالقنابل. كم يسعدني أنه لم تعد تفرقنا خمسة محيطات، بل قنال واحد فقط. هل ستأتي لزيارتي قريبا؟

إيسولا من أعظم من يسوق لفكرة كتابي، فقد جلبت لي سبعة أشخاص ليخبروني بقصصهم عن الاحتلال، ولدي الآن كمية عظيمة من الملحوظات عن تلك المقابلات. لكنها لا تزيد على ذلك، ملحوظات متفرقة لا أعلم إن كان يمكن تحويلها إلى كتاب، وإن أمكن ذلك، فما نوع هذا الكتاب؟

اعتادت كيت قضاء بعض صباحاتها هنا. تجلب الصخور أو الأصداف وتجلس بهدوء، نسبيا، على الأرض لتلعب بها بينما أنا أعمل. وعندما أنتهي، نأخذ غداء النزهة ونذهب إلى الشاطئ. نمكث داخل المنزل إن كان الجو كثير الضباب فنلعب لعبة الصالون حيث نمشط شعر بعضنا، أو لعبة «العروس الميتة».

«العروس الميتة» ليست لعبة معقدة مثل لعبة الحية والسلم فهي بسيطة جدا. تلف العروس نفسها بستارة من الدانتيل،

وتدخل في كيس الغسيل حيث ترقد كالميتة، بينما يبحث عنها الزوج المفجوع. وعندما يجدها في كيس الغسيل يأخذ بالنواح بصوت عال. وعندها تقفز العروس لتصيح «مفاجأة» وتضمه لصدرها. فيتحوّل الأمر إلى ضحك وفرح وقبلات. شخصيا، لا أرى أي مستقبل باهر لهذا الزواج.

أعلم أن الأطفال يميلون للكآبة أحيانا، لكنني لا أعلم إن كان علي تشجيعهم على ذلك. أخشى سؤال صوفي إن كانت لعبة «العروس الميتة» كئيبة لمن هم في الرابعة من العمر، فإن أجابتني بنعم، يتوجب علي التوقف عن اللعب. ولا أود التوقف لأن اللعبة تستهويني.

تراودك الكثير من الأسئلة عندما تمضي يومك مع طفل. على سبيل المثال، إن جعلت عينيك حولاوين كثيرا فهل ستبقيان على هذا الوضع للأبد، أم أن هذه إشاعة فقط؟ أخبرتني والدتي بأن هذا صحيح وقد صدقتها، لكن كيت مصنوعة من قالب صلب ويصعب عليها تصديق ذلك.

أحاول تذكر أفكار والدي بشأن تربية الأطفال، لكنني أعجز عن ذلك لكوني الطفل الذي ربياه. أعلم أنني قد وبخت بقسوة عندما كنت أتفل الفاصولياء بوجه السيدة موريس، لكنني لا أذكر غير ذلك. ربما كانت السيدة موريس تستحق ذلك. لا يبدو على كيت أي تأثير سيئ لأنها ترعرعت شيئا فشيئا على أيدي أعضاء الجمعية، ومن المؤكد أن ذلك لم يجعلها قلقة ومنطوية على نفسها. سألت أميليا عن ذلك بالأمس فأجابتني بأن من المستحيل لطفل أنجبته إليزابيث أن يكون قلقا أو منطويا على نفسه. ثم روت لي قصة جميلة تخص إليزابيث وابنها إيان عندما

كانا أطفالا. كان قد تقرر إرسال إيان إلى مدرسة في إنجلترا، ولم يكن ذلك يسره، فقرر الهروب من البيت. استشار جين وإليزابيث فنصحته إليزابيث بشراء قاربها ليهرب به. كانت المشكلة تكمن بعدم حيازة إليزابيث قاربا، رغم أنها لم تخبره بذلك بل قامت ببنائه في ثلاثة أيام. وفي اليوم المحدد، سحبوا القارب للشاطئ وانطلق به إيان بينما كانت إليزابيث وجين تلوحان بمناديلهما من الشاطئ. بدأ القارب يغرق على بعد كيلومتر واحد تقريبا. أرادت جين أن تجري لإحضار والدها، لكن إليزابيث قالت إنه لا وقت لديهما لذلك وإن عليها إنقاذه بنفسها لأنها هي السبب في غرقه. خلعت حذاءها واندفعت في الماء نحو إيان، قاما بسحب أنقاض القارب للشاطئ معا، ثم أوصلت إيان لمنزل السير أمبروز كي تجف ثيابه. أعادت له نقوده، وبينما هما جالسان أمام المدفأة التفتت نحوه قائلة بحزن شديد: «يبدو أنه لا بد من سرقة قارب، هذا كل ما في الأمر». أخبر إيان والدته بأنه قد يكون من الأسهل أن يذهب للمدرسة.

أعلم أن الأمر يتطلب وقتا طويلا حتى تتم أعمالك بعد عودتك من السفر. لكن هل تبحث لي عن كتاب من الدمى الورقية إن سنحت لك الفرصة؟ كتاب يحوي فساتين سهرة جميلة.

لقد بدأت أحوز على رضا كيت بلا شك، فهي تربت على رجلي عندما تمر بي.

محبتي،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني

10 يونيو 1946

عزيزي سيدني،

قد تسلمت للتو طردا جميلا من سكرتيرتك. هل تدعى بيلي بي جونز فعلا؟ لا يهم ذلك. إنها عبقرية حقا، فقد استطاعت العثور على كتابين من الدمى الورقية لكيت، وهي ليست مجرد دمى ورقية. لقد عثرت على دمى تجسد الممثلة غريتا غاربو وشخصيات فيلم ذهب مع الريح. صفحات من الفساتين الجميلة والفرو والقبعات. كم هي جميلة. كما أرسلت بيلي بي أيضا مقصا صالحا لاستخدام الأطفال، وهو ما لم أكن أستطيع التفكير به بنفسي. ها هي كيت تستخدمه الآن.

هذه ليست رسالة بل كلمة شكر، وسأرسل مثلها لبيلي بي. كيف عثرت على مثل هذه المرأة البارعة؟ أرجو أن تكون صريحة وحنونة، فهكذا أتصورها في مخيلتي. وقد أرفقت بالطرد رسالة صغيرة تخبرني فيها بأن العينين لا تظلان حولاوين للأبد، فتلك قصص ترددها الأمهات لأطفالهن. كم أسعد هذا كيت، فهي تعتزم جعل عينيها حولاوين حتى يحين وقت العشاء.

محبتي لك،

جولييت

ملحوظة: أود أن أوضح أنه، وبعكس ما لمحت له في رسالتك السابقة، لا توجد أي إشارة إلى دوزي آدامز في هذه الرسالة. فأنا لم أره منذ عصر يوم الجمعة عندما جاء لأخذ كيت. وقد وجدَنا حينذاك

في أروع مجوهراتنا نـذرع الغرفـة ذهابا وإيابا عـلى وقـع موسـيقى بومـب آنـد سيركمستانسـس (Pomp and Circumstance) الصـادرة مـن الغرامافـون. صنعـت لـه كيـت شـالا مـن فوطـة المطبخ وسـار معنـا. أعتقـد أن لديـه عروقـا أرسـتقراطية حيـث يسـتطيع التحديـق أمامـه بجديـة تشـبه جديـة الـدوق.

* * *

رسالة إلى غيرنزي

في 12 يونيو 1946

إلى: إيبـين أو إيسـولا أو أي مـن أعضـاء جمعيـة الأدب في غيرنـزي، جـزر القنـال، بريطانيـا العظمـى
(تم تسليمها لإيبين 14 يونيو 1946)
إلى جمعية الأدب في غيرنزي،

تحيـة طيبـة لكـم، أعـزاء صديقتـي إليزابيـث ماكينـا، أكتـب لكـم لأخبركـم عـن وفـاة إليزابيـث في معتقـل رافينزبـروك حيـث أعدمـت هنـاك في شـهر مـارس مـن عـام 1945.

في تلـك الأيـام القليلـة قبـل وصـول الجيـش الـروسي لتحريـر المعسـكر، قـام جهاز الاسـتخبارات النـازي (SS)، بتحميـل شـاحنات بكميـة كبـيرة مـن الملفـات ليتـم التخلـص منهـا بحرقهـا في الأفـران. لذلـك خشـيت ألا يصلكـم خـبر اعتقـال إليزابيـث ووفاتهـا.

لطالمـا حدثتنـي إليزابيـث عـن أمبليـا وإيسـولا ودوزي وإيبـين

وبوكر. لم تذكر اسم العائلة لكنني آمل أن يسهل العثور عليكما في غيرنزي لأن اسمَيْ إيبين وإيسولا ليسا شائعين في هذه الأنحاء.

أعلم أيضا أنكم كنتم كأفراد عائلتها، وقد شعرت بالشكر والأمان لكون ابنتها كيت تحت رعايتكم. لذلك أكتب لكم لتعلموا أنتم وطفلتها عن شجاعة إليزابيث التي رأيناها نحن نزلاء المعتقل. لم تكن شجاعة فقط، بل كان لها القدرة على جعلنا ننسى ما كنا فيه لفترات صغيرة من الزمن. كانت إليزابيث صديقتي، وفي مثل هذه الأماكن كانت الصداقة هي كل ما يساعدنا على الحفاظ على إنسانيتنا.

أقيم حاليا في مأوى لا فوري في لوفيير بنورماندي. لغتي الإنجليزية ضعيفة، لكن الممرضة توفيير تقوم بتنقيح جملي بينما تخط هذه الرسالة.

لدي من العمر الآن أربع وعشرون عاما. وقد قبض علي الجستابو في بلوها في بريتاني عام 1944 وبحوزتي علبة من قسائم التموين المزورة. تم استجوابي وضربي ثم إرسالي لمعتقل رافينزبروك. وضعت في القسم 11 من المعتقل وهناك تعرفت على إليزابيث.

سأخبركم عن لقائنا. أتت نحوي ذات مساء وذكرت اسمي، ريمي. وقد أسعدني سماع اسمي. قالت لي: «هيّا معي لأطلعك على مفاجأة جميلة». لم أفهم ما تعنيه، لكنني جريت معها إلى مؤخرة المعسكر حيث سحبت أوراق الصحف التي حشيت بها النافذة المكسورة هناك. تسلقنا النافذة هروبا وأخذنا في الجري نحو الشارع الرئيس في معسكر الاعتقال.

هناك رأيت ما عنته بمفاجأة جميلة. بدت السماء فوق الحائط وكأنها تشتعل نارا بغيومها القريبة ذات اللون الأحمر

والقرمزي والمضاءة من الأسفل بلون ذهبي داكن. وكانت الغيوم تغير شكلها ولونها بينما تتسارع متلاحقة عبر السماء. وقفنا هناك يدا بيد حتى حل الظلام.

لا أعتقد أنه يمكن لمن لم يعش تجربتنا أن يعي ما عنته لي هذه اللحظة التي أمضيناها معا بهدوء.

ضم سكننا، القسم 11، حوالي أربعمئة امرأة. وكان هناك أمام كل ثكنة طريق ممهد بالرماد حيث يتم نداء التفقد مرتين في اليوم الواحد، الأولى في الخامسة والنصف صباحا، والثانية في المساء بعد انتهاء جولة العمل. وقد صفت النساء من كل ثكنة في مجموعات تتكون من مئة امرأة في كل مجموعة يقفن في صفوف من عشرة أشخاص. امتدت تلك المجموعات إلى مسافة شاسعة على يميننا ويسارنا. كان يصعب رؤية نهايتها في أيام الضباب.

أما أسرتنا فقد كانت عبارة عن أرفف خشبية رصت ثلاثة ثلاثة تغطيها مفارش من القش كريهة الرائحة ومليئة بالحشرات والقمل. كانت الفئران الصفراء الضخمة تطوف على أقدامنا في المساء. وكان هذا شيئا جيدا لأن سجانينا كانوا يكرهون الفئران والرائحة الكريهة لذلك تمتعنا بقدر من الحرية بعيدا عنهم أثناء الليل.

وهناك أخبرتني إليزابيث عن جزيرة غيرنزي وجمعية الأدب، وبدت قصصها وكأنها وصف للجنة. كان الهواء الذي نتنفسه في الثكنة مثقلا بالأمراض والقذارة، لكنني كنت أتخيل هواء البحر النقي ورائحة الفاكهة في حرارة الشمس عندما كانت إليزابيث تتكلم. لا أذكر يوما أشرقت فيه الشمس في رافينزبروك رغم أن ذلك لا يبدو معقولا. كم أحببت سماع القصص عن نشأة جمعية

الأدب وكـدت أن أضحـك عندمـا أخبرتنـي بقصـة الخنزيـر المشـوي، لكننـي تمالكـت نفسـي لأن الضحـك في الثكنـة يجلـب المتاعـب.

كان هنـاك عـدد لا بـأس بـه مـن صنابـير المـاء البـارد لنغتسـل بـه. كان يتـم تزويدنـا بقطعـة صابـون لنسـتحم مـرة في الأسـبوع، وكان ذلـك ضروريـا جـدا لأن جـل مـا نخشـاه كان أن تعشـش فينـا القـذارة وتسـبب لنـا المـرض. لم نجـرؤ عـلى أن نمـرض لأن ذلـك سـيمنعنا مـن العمـل. وإن لم نعمـل فنحـن عديمـو الفائـدة للألمـان الذيـن سـيقومون بقتلنـا.

كنـت وإليزابيـث نسـير مـع مجموعتنـا السـاعة السادسـة صبـاح كل يـوم لنتسـلم عملنـا في مصنـع سـيمنز الواقـع خـارج أسـوار المعتقـل. وهنـاك كنـا ندفـع بالعربـات اليدويـة إلى أسـفل مسـار السـكة الحديـد لتنزيـل صفائـح حديـد ثقيلـة عـلى عربـات أخـرى. ثـم كنـا نتغـدى ظهـرا عـلى وجبـة مـن معجـون القمـح والفاصوليـا لنعـود مـن ثـم إلى عنابرنـا حيـث يتـم إحصـاء عددنـا في السادسـة قبـل تزويدنـا بعشـاء مكـون مـن شـوربة اللفـت.

كانـت مهامنـا تتغـير حسـب الحاجـة، في أحـد الأيـام أمرونـا بـأن نحفـر خندقـا لتخزيـن البطاطـا لموسـم الشـتاء. سرقـت صديقتنـا إلينـا إحـدى حبـات البطاطـا لكنهـا أوقعتهـا عـلى الأرض، فتوقفـت عمليـات الحفـر كلهـا حتـى يتمكـن المـشرف مـن العثـور عـلى السـارق.

كانـت إلينـا تعـاني مـن تقـرح القرنيـة في عينيهـا، وإن اكتشـفه الألمـان فقـد يظنونهـا في الطريـق إلى العمـى، لذلـك فقـد أسرعـت إليزابيـث بتحمـل جـرم سرقـة حبـة البطاطـا، وبذلـك تـم أخذهـا للحبـس الانفـرادي لمـدة أسـبوع كامـل.

كانـت الزنازيـن في منطقـة الحبـس الانفـرادي صغـيرة جـدا، وفي أحـد الأيـام فتـح حـارس أبـواب كل الزنزانـات ووجّـه خرطـوم مـاء

ذا ضغط عال نحو كل سجين. أوقع بإليزابيث إلى الأرض. ولحسن حظها لم يصلْ الماء إلى لحافها المثني فوق الفراش فاستطاعت أن تنهض من الأرض وتندس تحت لحافها حتى زالت عنها رجفة البرد. لكن المرأة الحبلى صغيرة السن في الزنزانة المجاورة لم يحالفها الحظ. فلم تكن تملك من القوة ما يمكنها من النهوض والاحتماء باللحاف. وقد توفيت ذلك المساء بعد أن تيبس جسدها على الأرض من البرد الصاعق.

إنني أتفوه بأكثر مما يلزم قوله، وبأشياء لا ترغبون العلم بها. لكنني مضطرة لسرد التفاصيل لتتمكنوا من معرفة ما مرت به إليزابيث، ومعرفة مقدار حفاظها على طيبتها وشجاعتها. أود أن تعلم بذلك ابنتها أيضا.

دعوني الآن أخبركم عن سبب وفاتها. عادة ما تتوقف النساء عن المحيض بعد وصولهن للمعتقل بأشهر قليلة. لكن هذا لا يشمل الجميع. لم يوفر أطباء المعتقل أيا من المستلزمات للحفاظ على نظافة وصحة النزلاء، فلم تتوفر الخرق أو الفوط الصحية أو الصابون. لم يكن للنساء الحائضات إلا أن يتركن الدماء تسيل على سيقانهن.

وقد استهوى ذلك حراس السجن، لأن منظر الدم المقيت منحهم العذر ليصرخوا على النزلاء ويضربوهم. وفي إحدى الأمسيات أثناء تفقد النزلاء لإحصاء أعدادهم، كان حارسنا امرأة تدعى بينتا. صبت جام غضبها على فتاة حائض. وبختها وهددتها بعصاها، ثم انهالت عليها ضربا.

اندفعت إليزابيث مسرعة من بين صفوفنا وأمسكت العصا من يد بينتا وبدأت تضربها بها. ظلت تضربها حتى قدم الحراس.

اندفع اثنان منهم وأوقعا إليزابيث أرضا ببنادقهما. ثم رموها في شاحنة وأخذوها لغرفة العقاب ثانية.

أخبرتني إحدى الحارسات بأن الجنود اصطفوا حول إليزابيث صباح اليوم التالي وانتزعوها من زنزانتها. خارج أسوار المعسكر كان هناك بستان من أشجار الحور تشابكت أغصانها لتكون ممرا مظللا سارت فيه إليزابيث دون معونة أحد. ركعت على الأرض ورموها بالرصاص في مؤخرة رأسها.

سأتوقف هنا. أعلم أنني قد أحسست بوجود صديقتي بجانبي عندما كنت أشعر بالمرض بعد خروجي من معسكر الاعتقال. عندما كنت أصاب بالحمى كنت أتخيل أنني أبحرت وإليزابيث إلى غيرنزي بقارب صغير. كنا خططنا لذلك عندما كنا حبيستين في معسكر رافينزبروك، وقررنا أن نعيش معا في كوخ إليزابيث للعناية بكيت. كم ساعدني ذلك على الخلود للنوم.

أرجو أن تشعروا بأن إليزابيث ترافقكم كما أشعر بها أنا. لم تخنها شجاعتها قط، ولم يخنها عقلها أبدا، لكنها شهدت عددا لا يحصى من المآسي.

تقبلوا تمنياتي الحارة،

ريمي جيرو

ملحوظة من الممرضة سيسيل توفير وجدت في الظرف الذي احتوى رسالة ريمي:

أنا الممرضة سيسيل توفير، أخط لكم هذه الأسطر بعد أن نجحت في مساعدة ريمي على النوم. لم أوافق على رسالتها الطويلة لكم، لكنها أصرت على كتابتها.

أود أن أخبركم بمدى مرض ريمي لأنها لن تفصح عن ذلك بنفسها. قبل وصول الجيوش الروسية لرافينزبروك بأيام قليلة، أمر النازيون القذرون كل من يستطيع السير بأن يغادر المعتقل. قاموا بفتح البوابات، وأرسلوا السجناء طليقين نحو الريف المدمر. «اذهبوا. اذهبوا للبحث عن أي جيوش للحلفاء تستطيعون الاستدلال عليها». هكذا أمروهم.

تركوا النساء المرهقات المتضورات جوعا يسرن أميالا عديدة دون طعام أو ماء. خلت الحقول التي مررن بها من أي مخلفات للمزروعات، وبذلك تحولت المسيرة إلى مسيرة موت بلا شك، فقد لاقت مئات النساء حتفهن على الطريق.

بعد مرور أيام عديدة أصيبت رجلا ريمي وجسدها باستسقاء المجاعة، ولم تستطع إكمال سيرها فاستلقت على الأرض لتلقى حتفها. لحسن الحظ عثرت عليها مجموعة من الجنود الأمريكان. حاولوا منحها طعاما لكنها لم تستطع أن تأكل. حملوها إلى مستشفى ميداني استقبلها. أعطوها سريرا وبدأت عملية سحب كميات من الماء من جسدها. بعد أشهر عديدة في المستشفى تحسنت صحتها بعض الشيء على نحو أمكن معه إرسالها إلى النزل[36] في لوفيير. كان وزنها أقل من 27 كيلوغراما عندما وصلت إلى هنا، لذلك لم تستطع كتابة الرسالة آنذاك.

أعتقد بأن صحتها ستتحسن عندما ترسل هذه الرسالة. وعندها ستتمكن من الشروع في نسيان صديقتها إليزابيث. يمكنكم

(36) (النزل -Hospice) هو بيت أو سكن خاص بالحجاج أو الغرباء أو المسافرين أو الفقراء المعدمين، وعادة ما تنفق عليه مؤسسة دينية.

مراسـلتها بالطبـع، لكـن أرجـو ألا تبعثـوا لهـا بأسـئلة عـن معسـكر اعتقـال رافينزبـروك، فمـن الأفضـل لهـا نسـيان الأمـر برمّتـه.

مع تحياتي،

الممرضة سيسيل توفيير

* * *

من أميليا إلى ريمي جيرو

16 يونيو 1946

الآنسة ريمي جيرو

دار لا فوري للرعاية

لوفيير

فرنسا

عزيزتي الآنسة جيراود،

أشـكرك عـلى مراسـلتنا فيـا لطيبتـك وحسـن أخلاقـك. لا بـد أنّ اسـترجاع ذكرياتـك المريـرة لإخبارنـا عـن مـوت إليزابيـث ليـس بالأمـر الهـين عليـك. كنـا نتـضرع إلى اللـه أن تعـود إلينـا، لكـن معرفـة حقيقـة مـا حـدث أفضـل مـن العيـش في ظـل شـكوك وريبـة. نحـن ممتنـون للعلـم بصداقتـك لإليزابيـث، وبمقـدار المواسـاة التـي اسـتطعتم توفيرها لبعضكـما.

هـل أسـتطيع زيارتـك في لوفيـر مـع دوزي آدامـز؟ سيسـعدنا ذلـك جـدا، لكننـا لا نريـد أن نسـبب لـك أي إزعـاج. نريـد أن نتعـرف عليـك، ولدينـا فكـرة نـود طرحهـا عليـك. لكننـي أرجـو أن تصارحينـا إن لم

تكـن لديـك رغبـة بلقائنـا، فنحـن سـنحترم رغبتـك بـلا شـك.

دعواتنا لك وشكرنا لطيبتك وشجاعتك.

المخلصة،

أميليا موغري

* * *

من جولييت إلى سيدني

16 يونيو 1946

عزيزي سيدني،

كـم شـعرت بالراحـة لترديـدك: «اللعنـة!» فهـذا هـو الـرد الوحيـد الصـادق في هـذا الموقـف، أليـس كذلـك؟ إن مـوت إليزابيـث عمـل بغيـض ولا يمكـن وصفـه بغيـر ذلـك.

مـن الغريـب أن تحـزن لشـخص لم تقابلـه قـط. لكننـي حزينـة فعـلا. فلإليزابيـث حضـور يلازمنـي دومـا، وأجـده يرافقنـي فـور دخـولي أي غرفـة، سـواء في أنحـاء الكـوخ، أو في مكتبـة أميليـا التـي ملأتهـا بالكتـب، أو في مطبـخ إيسـولا الـذي كانـت تحضر فيـه وصفـات عديـدة. يتحـدث الجميـع عـن إليزابيـث وكأنهـا حـاضرة معنـا، لذلـك كنـت مقتنعـة بعودتهـا. كـم أردت أن أتعـرف عليهـا.

لا بـد أن الأمـر أصعـب بكثـير عـلى مـن حـولي. عندمـا رأيـت إيبـن يـوم أمـس بـدا وكأنـه كـبر في السـن. لحسـن الحـظ لديـه إيـلاي بجانبـه. أمـا إيسـولا فقـد اختفـت، وتطمئننـي أميليـا بـأن ذلـك هـو مـا تفعلـه إيسـولا عندمـا يثقـل الحـزن قلبهـا.

قـرر دوزي وأميليـا الذهـاب للوفيـر لمحاولـة إقنـاع الآنسـة جـيرو بالمجـيء إلى غيرنـزي. كتبـت في رسـالتها أن إليزابيـث كانـت تسـاعدها عـلى النـوم في المعتقـل، وذلـك بـسرد خطـط حـول المسـتقبل الـذي ينتظرهـما في غيرنـزي، والتـي بـدت لهـا وكأنهـا قطعـة مـن الجنـة. أثـار ذلـك شـجون أصدقـاء إليزابيـث وقـرروا أنـه قـد حـان الوقـت لتعويـض الفتـاة المسـكينة جـزءا مـما تسـتحق، فقـد عانـت الكثـير مـن المشـكلات والأحـزان.

سـأتولى العنايـة بكيـت أثنـاء غيابهـم. كـم أشـعر بالحـزن عـلى كيت لأنهـا لـن تعـرف والدتهـا إلا مـن خـلال أقـوال النـاس عنهـا. أتسـاءل عـن المسـتقبل الـذي ينتظرهـا، فهـي يتيمـة الآن. بـورك سـيد ديلويـن، فقـد أخـبرني بـأن لدينـا متسـعا مـن الوقـت لاتخـاذ القـرار بشـأن ذلـك. «لنـترك الأمـور عـلى مـا هـي عليـه الآن، فهـي تجـري بخـير». لا يبـدو سـيد ديلويـن مثـل أي مـصرفي أو وصي سـمعت بـه، فليبـارك اللـه قلبـه.

مع حبي،

جولييت

* * *

من جولييت إلى مارك

17 يونيو 1946

عزيزي مارك،

أعتـذر عـلى مـا انتهـى إليـه حديثنـا مسـاء أمـس. فحـوار الهاتـف لا يسـاعد عـلى الإفصـاح عـن المعـاني المختلفـة، وخصوصـا إن كان

المتحدث يزمجر فيه. لا أريد منك القدوم في عطلة نهاية الأسبوع فعلا، لكن هذا لا علاقة له بك. لقد تلقى أصدقائي للتو ضربة قوية. كانت إليزابيث صلة الوصل بين جميع الأصدقاء هنا، لذلك هزنا خبر وفاتها. كم يبدو الوضع غريبا عندما أتخيل أنك تقرأ هذه الأسطر، وأراك وأنت تتساءل عن علاقة خبر وفاة امرأة بي أو بك أو بخططنا لعطلة نهاية الأسبوع. لكنني أشعر وكأنني فقدت شخصا عزيزا علي، لذلك تجدني في وضع الحداد هذا.

هل نجحت في شرح الأمر لك لتفهم ما أنا فيه؟

المخلصة،

جولييت

* * *

من دوزي إلى جولييت

21 يونيو 1946

الآنسة جولييت آشتون

كوخ غراند مانوار

لا بوفي

سينت مارتنز، غيرنزي

عزيزتي جولييت،

وصلنا الآن إلى لوفيير، لكننا لم نذهب لرؤية ريمي بعد. فقد أتعبت الرحلة أميليا جدا، لذلك رأت أن ترتاح مساء اليوم قبل أن نذهب إلى النزل.

كانت الرحلة عبر نورماندي فظيعة جدا، فقد امتلأت طرق المدن بأسوار حجرية مهدّمة وقضبان معدنية ملتوية. كما كانت هناك فجوات كبيرة سوداء بين المباني، بينما بدت المباني الأخرى وكأنها أسنان سوداء مخلخلة ومتفرقة. تهدمت واجهات المباني فانكشفت البيوت عن حيطانها الموردة ورؤوس أسرّتها المعقوفة التي احتفظت بمكانها بطريقة ما. أعلم الآن كم كانت غيرنزي محظوظة لنجاتها من آثار الحرب تلك.

تمتلئ الشوارع بالسكان الذين يزيلون الإسمنت والحجارة من الشارع إلى العربات. قاموا بصنع ممرات من الأسلاك الثقيلة وضعت فوق الأنقاض لتمر عليها الجرافات. كما تصطف الحقول المدمرة خارج المدينة بحفرها الكبيرة وأرضها وأسيجتها المحطمة.

إن منظر الأشجار مؤلم جدا. فلم تعد هناك أشجار حور أو دردار أو كستناء كبيرة، كل ما تبقى هو أغصان هزيلة سوداء متفحمة وغير مكتملة النمو.

أخبرنا راعي الفندق سيد بياجي بأن مهندسي الألمان أمروا المئات من الجنود بأن يقطعوا الأشجار في غابات وأدغال بأكملها. ثم قلعوا الأغصان وأغرقوا جذوع الأشجار بطلاء الكريوسوت[37] ليغرسوها صفوفا في حفر حفروها في الحقول، وقد أطلق عليها «هليون رومل» وكانت تهدف لمنع مظلات قوى التحالف وجنودها من النزول.

ذهبت أميليا إلى سريرها بعد العشاء مباشرة، فقمت بالتجوال في لوفيير. إنها مدينة جميلة، رغم أنها تعرضت للقصف ولنيران الألمان قبل رحيلهم. لا أعلم كيف لها أن تعود للحياة ثانية.

(37) مادة زيتية بنية داكنة تستخرج من قطران الفحم، وتستخدم كمادة حافظة للأخشاب.

عدت لأجلس على الشرفة حتى حلول الظلام، وأنا أفكر في الغد.

أرجو أن توصلي قبلاتي لكيت.

صديقك دوما،

دوزي

* * *

من أميليا إلى جولييت

23 يونيو 1946

عزيزتي جولييت،

التقينا بريمي يوم أمس، وشعرت بعدم أهليتي لهذا اللقاء، لكن دوزي تمكن من السيطرة على الوضع لحسن الحظ. سحب مقاعد الحديقة، وجلسنا تحت ظل شجرة، ثم طلب من الممرضة بعض الشاي.

كنت أود أن نحوز على رضا ريمي وأن نجعلها تشعر بالأمان معنا. كانت لدي رغبة بمعرفة المزيد عن إليزابيث، لكنني خشيت من ضعف ريمي وتحذيرات الممرضة توفيير. ريمي صغيرة الحجم ونحيلة جدا ولها شعر أسود قصير وعينان واسعتان وعميقتان. بدا واضحا أنها كانت جميلة يوما ما، لكنها بدت هشة كالزجاج الآن. كانت يداها ترتجفان كثيرا، لذلك كانت تحرص على وضعهما في حضنها لتبعدهما عن الأنظار. رحبت بنا قدر المستطاع، لكنها كانت متحفظة نوعا ما حتى سألتنا عن كيت، وعما إذا أرسلت للسير أمبروز في لندن.

أبلغها دوزي بخبر وفاة السير أمبروز وترك كيت في رعايتنا، ثم أطلعها على صورة لك ولكيت كان يحملها معه، فابتسمت قائلة: «إنها ابنة إليزابيث فعلا. هل هي قوية البنية؟» فقدت النطق حيث رحت أفكر في فقيدتنا إليزابيث، فأجابها دوزي بنعم إنها قوية جدا، ثم أخبرها بشغف كيت بالنموس. وهنا ابتسمت ثانية.

ريمي مقطوعة الجذور في هذا العالم. فقد توفي والدها قبل الحرب بفترة طويلة، وأرسلت والدتها إلى معسكر اعتقال درانسي[38] في العام 1943 بسبب إيوائها أعداء الحكومة حتى توفيت في معسكر اعتقال أوشفتز لاحقا. أما شقيقاها الاثنان فقد فقدا، وخيل لها أنها رأت أحدهما في محطة قطار ألمانية في طريقها إلى معسكر اعتقال رافنزبروك[39]، لكنه لم يلتفت عندما صرخت باسمه. أما الآخر فلم تره منذ العام 1941. تعتقد ريمي أنهما قد توفيا أيضا. لحسن الحظ كانت لدوزي الجرأة ليطرح عليها كل هذه الأسئلة، فقد بدت عليها الراحة وهي تتحدث عن عائلتها.

وفي النهاية تجرأت على طرح موضوع عودتها معنا لقضاء بعض الوقت معي في غيرنزي، فعادت إلى انطوائها وأخبرتنا بأنها ستترك النزل عما قريب، فقد بدأت الحكومة الفرنسية بتقديم معاشات تقاعدية للناجين من معسكرات الاعتقال النازية، لتعويضهم عن زمن حبسهم وعن إصاباتهم المزمنة، واعترافا بمعاناتهم. كما أنهم يوفرون معاشا صغيرا لمساعدة من يرغب في العودة إلى مقاعد الدراسة.

(38) معسكر اعتقال نازي في مديمة درانسي إلى الشمال من باريس، استخدمه الألمان في الحرب العالمية الثانية.

(39) هو أكبر معسكر اعتقال للنساء في الرايخ الألماني. بدأ إنشاؤه في نوفمبر 1938 في موقع قريب من قرية رافنزبروك شمال ألمانيا.

بالإضافة إلى المعاش الذي تقدمه الحكومة، ستقوم الرابطة الوطنية للمبعدين السابقين ومعتقلي المقاومة (Association Nationale des Anciennes Déportées et Internées de la Résistance) بمساعدة ريمي في دفع إيجار غرفة تسكنها أو شقة تتشارك فيها مع ناجين آخرين، لذلك فقد قررت الذهاب إلى باريس للبحث عن عمل كمتدربة لدى مخبز.

بدت مصرّة على تنفيذ خططها فلم ألحّ عليها كثيرا، لكنني لا أعتقد أن دوزي قد تخلى عن الفكرة. فهو يرى أن إيواء ريمي هو من واجبنا الأخلاقي نحو إليزابيث. قد يكون هذا صحيحا، أو قد يكون جلّ ما يمكننا عمله للتخفيف من شعورنا بالعجز. على أي حال، قام دوزي بترتيب رحلة أخرى ليوم غد لاصطحاب ريمي في جولة سيرا على الأقدام عند القنال، وزيارة مخبز حلوايات رآه في لوفيير. أتساءل أحيانا عما حدث لدوزي، صديقنا القديم الخجول.

أشعر أنني بصحة جيدة، رغم أنني عادة ما أعاني من شعور بالتعب قد يكون سببه رؤية نورماندي العزيزة في هذه الحال من الدمار. سأكون سعيدة بعودتي للمنزل يا عزيزتي.

قبلاتي لك ولكيت،

أميليا

* * *

من جولييت إلى سيدني

28 يونيو 1946

عزيزي سيدني،

يا لها من هدية ملهمة أرسلتها لكيت، حذاء رقص أحمر حريري مغطى بالترتر. أين عثرت على مثل هذا الحذاء؟ وأين حذائي أنا؟

عانت أميليا من التعب منذ عودتها من فرنسا، فبدا من الأفضل أن تمكث كيت لدي، وخصوصا إن قررت ريمي الحضور للعيش مع أميليا عندما تترك النزل. ويبدو أن الفكرة قد أعجبت كيت، والحمد لله. تعلم كيت عن وفاة والدتها الآن، فقد أخبرها دوزي بذلك. أجهل شعورها إزاء ذلك الخبر، فهي لم تتحدث في الأمر حتى الآن، ولا أجدني قادرة على سؤالها. أتجنب الحوم حولها دون داع أو أن أعاملها معاملة خاصة. بعد وفاة والدي ووالدتي كانت طبّاخة سيمبلز تزودني بقطع كبيرة من الكعك وتظل واقفة بينما ألتهمها، لتراقبني بوجه كله أسى. كم كرهتها لاعتقادها أن الحلوى ستعوضني عن فقدان والدي. أعلم أنني كنت فتاة مقيتة في الثانية عشرة من العمر، بينما لا تزال كيت في الرابعة من عمرها، وقد يستهويها الكعك، لكنك تفهم ما أقصده، أليس كذلك؟

سيدني، إنني أواجه مصاعب مع كتابي. لدي الكثير من المعلومات من سجل الدولة، وبعض من المقابلات التي تمكنني من البدء في سرد قصة الاحتلال. لكنني أعجز عن جمع هذه المعلومات والمقابلات بصورة ترضيني. فالتسلسل الزمني البحت يبدو مملا جدا. هل لي أن أرسل لك بصفحاتي القليلة؟ هي في

حاجة إلى رأي آخر من شخص موضوعي. هل لديك الوقت الكافي لمعاينتها الآن، أم أنك ما زلت مشغولا بالتعويض عن الوقت الذي قضيته في أستراليا؟

لا تقلق إن كنت مشغولا، فأنا أعكف على الكتابة بأي حال، وقد أستطيع التوصل لفكرة عبقرية بصورة ما.

محبتي،

جولييت

ملحوظة: شكرا لإرسالك قصاصات الصحف التي تظهر مارك وهو يرقص مع أرسولا فلينت، وإن كان هدفك دفعي لنوبة من الغيرة الغاضبة فقد أخفقت في ذلك. هاتفني مارك مسبقا ليخبرني بأمر أرسولا وكيف أنها تحوم حوله مثل كلب بوليسي متيم. إنكما تتشابهان في خصلة معينة فعلا، فلديكما أنتما الاثنان رغبة برؤيتي بائسة. ما رأيك بأن تؤسّسا ناديا لذلك.

* * *

من سيدني إلى جولييت

1 يوليو 1946

عزيزتي جولييت،

لا ترسلي أوراقك بالبريد. أريد القدوم إلى غيرنزي بنفسي. هل تناسبك عطلة نهاية هذا الأسبوع؟

أريد أن أراك أولا، وأرى كيت وغيرنزي ثانية. لكنني لا أنوي قراءة

مخطوطتك بينما تجولين ذهابا وإيابا أمامي. سآخذ مخطوطتك معي عند عودتي إلى لندن.

أستطيع الوصول بعد ظهر يوم الجمعة على طائرة الساعة الخامسة وأمكث حتى مساء الإثنين. هلا حجزت لي غرفة في الفندق؟ هل يمكنك ترتيب حفل عشاء صغير أيضا؟ فأريد مقابلة إيبين وإيسولا ودوزي وأميليا. سأجلب المشروب معي من لندن.

محبتي،

سيدني

* * *

من جولييت إلى سيدني

الأربعاء

عزيزي سيدني،

رائع! لن تسمح لك إيسولا أن تمكث في فندق (هي تلمح إلى حشرة العثة في أسرّة الفندق). تريد أن تستقبلك في بيتها وتود معرفة إن كانت ضوضاء الفجر تزعجك، حيث تستيقظ عنزتها إيريال. أما أنثى الببغاء زنوبيا فتنام حتى وقت متأخر.

سأكون في استقبالك مع دوزي وعربته عند مدرج الطائرة. أتمنى سرعة وصول يوم الجمعة لأراك.

محبتي،

جولييت

* * *

من إيسولا إلى جولييت (تركت الرسالة تحت باب جولييت) الجمعة، قرب وقت الفجر

رائع. لم أستطع دخول البيت لأنني في عجلة من أمري لأصل لكشكي في السوق. كم يسعدني أن يمكث صديقك عندي، وقد وضعت أغصان الخزامى على فراشه. هل تريدينني أن أضع خلطاتي في كوب قهوته؟ أومئي لي عند مرورك بالسوق وسأفهم أي خلطة تريدين.

إيسولا

* * *

من سيدني إلى صوفي

6 يوليو *1946*

عزيزتي صوفي،

وصلت أخيرا لغيرنزي لأكون مع جولييت، وأنا مستعد الآن لأن أجيبك عن ثلاثة أو أربعة من الأسئلة العديدة التي طلبت مني سبرها.

أولا تبدو كيت مغرمة بجولييت كما غرمنا بها أنا وأنت. إنها طفلة تتمتع بحيوية عظيمة، حنونة بنوع من التحفظ (وهما ليستا صفتين متناقضتين كما يبدو الأمر) وابتسامتها جاهزة عندما تكون بصحبة أحد الذين تبنوها من جمعية الأدب.

كما أنها جميلة بخديها الممتلئين وخصلات شعرها المتماوجة وعينيها الدائريتين. تغمرني الرغبة في عناقها، لكن ذلك قد يقلل

من منزلتها، وليست لدي الجرأة لأجازف بذلك. عندما ترى شخصا لا تكن له الود، تصبح لديها نظرة لها أن تجعل الساحرة ميديا[40] تضمر. تخبرني إيسولا بأنها تحتفظ بتلك النظرة لسيد سميث الذي يضرب كلبه، وللسيدة غيلبرت، الشريرة التي تسمي جولييت الآنسة فضولي، وتحثها على العودة إلى لندن من حيث قدمت.

سأخبرك بإحدى قصص جولييت وكيت. حضر دوزي (سأخبرك بالمزيد عنه لاحقا) لاصطحاب كيت لمشاهدة قارب إيبين للصيد قادما من البحر. ودعت كيت إليزابيث وخرجت مسرعة، ثم عادت مسرعة إلى المنزل باتجاه جولييت، رفعت تنورتها قليلا وقبّلت رضفة ركبتها، ثم خرجت بسرعة. بدت جولييت صعقة، ومن ثم سعيدة كما لم نرها من قبل.

أعلم أنك تظنين أن جولييت بدت متعبة ومرهقة ومشوشة وشاحبة عندما رأيتها في الشتاء الماضي. ولا أظنك تدركين ما تسببه حفلات الشاي والمقابلات من ضيق، أما الآن فتبدو في أتم صحة ومليئة بحيويتها القديمة، لدرجة أنني أعتقد أنها لم تعد ترغب في العيش في لندن، رغم أنها لا تدرك ذلك الآن. يبدو أن هواء البحر وضوء الشمس والحقول الخضراء والزهور البرية والسماء والمحيط المتغير، والأهم من ذلك كله الناس، قد أغروها بالابتعاد عن حياة المدن.

أعلم تماما كيف يمكن أن يكون لهم هذا التأثير. إنه مكان مريح. إيسولا مضيفة يتمناها كل من أراد زيارة الريف. أيقظتني من النوم في أول صباح لي هنا لأساعدها على تجفيف بتلات الورد،

(40) ميديا في الأصل شخصية أسطورية إغريقية. لكن في معظم القصص هي ساحرة.

وخض الحليب لعمل الزبدة، وتحريك شيء لا أعرف كنهه في قدر كبير، وإطعام عنزتها إيريال، والذهاب لسوق السمك لشراء سمكة حنكليس. كل هذا بينما تستقر الببغاء زنوبيا على كتفي.

دعيني الآن أحدثك عن دوزي آدامز. فقد عاينته كما أوصيتني، وأعجبت بما وجدت فيه. إنه هادئ ومتمكن ويعتمد عليه، يا إلهي، لقد جعلته يبدو ككلب وفيّ، ويتمتع بحس الفكاهة. باختصار، هو لا يمتلك أيا من خصال أصدقاء جولييت الآخرين، وذلك شيء إيجابي بلا شك. لم يكثر الحديث في أول لقاء لنا -بل هو قليل الحديث دوما- لكن دخوله غرفة ما تجعل الجميع يتنفس الصعداء. لم يكن لدي هذا التأثير على أي شخص في حياتي، وأتساءل عن سبب ذلك. تبدو جولييت متوترة في حضوره -صمته يتركك في حيرة أحيانا- وعبثت بأطباق الشاي بصورة غريبة عندما قدم لأخذ كيت. لكن جولييت كانت تهشم أكواب الشاي دائما؛ هل تذكرين ما صنعته بأطباق والدتنا من ماركة سبود؟ وهذا أمر لا يستحق الإشارة. أما من ناحية دوزي، فهو يراقبها بعينين غامضتين وثابتتين حتى تقابل نظرته بنظرتها فيلتفت بعيدا عنها آنذاك (أرجو أن تقدري مهاراتي العجيبة في الملحوظة).

أستطيع الجزم بنقطة واحدة دون أي شك: إنه يساوي العشرات من أمثال مارك رينولدز. أعلم أنك تعتقدين أني غير منطقي في حكمي على رينولدز، لكنك لم تقابليه بعد. إنه جذاب وراق ويحصل على كل ما يريده. إنه أحد مبادئه القليلة. فهو يريد جولييت لأنها جميلة و«مثقفة» في آن واحد، ويعتقد أنهما سيكونان زوجين رائعين. وإن هي تزوجته فستمضي بقية

حياتها وهي تعرض على الناس في المسارح والنوادي وعطلات نهاية الأسبوع، ولن تكتب ثانية. وباعتباري محرر كتبها فإنني خائف من هذا الاحتمال، أما كصديق لها فإنني جزء من ذلك. ستكون تلك نهاية جولييت.

يصعب معرفة رأي جولييت برينولدز. سألتها إن كانت مشتاقة له فأجابت: «مارك؟ أعتقد ذلك». وكأنه أحد أقربائها الغرباء الذين لا تفضل صحبتهم. سأسر جدا إن هي نسيت أمر مارك تماما، لكنني لا أعتقد أنه سيسمح لها بذلك.

لأعد بك الآن للمواضيع الأقل أهمية كالاحتلال وكتاب جولييت. تمت دعوتي لمشاركتها العديد من الزيارات التي تقوم بها لسكان الجزيرة عصر هذا اليوم. كان يوم تحرير غيرنزي في التاسع من مايو العام الماضي هو موضوع مقابلاتها.

لا بد أنه كان صباحا غير عادي. اصطفت الجموع على ضفاف مرفأ سان بيتر بورت. جموع من الناس يراقبون بصمت مطبق سفن البحرية الملكية وهي ترسو خارج الميناء. وبمجرد نزول الجنود وبدء مسيرهم على الشاطئ، انفجر الجمهور بالقبلات والعناق والبكاء والصراخ.

كان العديد من الجنود الذين نزلوا في الميناء من سكان غيرنزي أساسا ممن لم تصلهم أخبار أهلهم في غيرنزي لمدة خمس سنوات. لك أن تتخيلي أعينهم وهي تفتش عن أفراد عائلاتهم في الحشود المتجمعة في الميناء، وفرحتهم الغامرة بلم الشمل.

من أعجب القصص التي سمعناها هي ما أخبرنا به سيد لوبرن، ساعي البريد المتقاعد. انفصلت بعض السفن البريطانية

من الأسطول الراسي في سان بيتر بورت وأبحرت شمالا لبضعة أميال باتجاه ميناء سان سامسون. اجتمعت الحشود هناك أيضا في انتظار السفينة الراسية وهي تخترق الحواجز المضادة للدبابات التي وضعها الألمان. عندما فتحت بوابة الميناء لم يندفع منها فيلق من الجنود بثيابهم العسكرية، بل خرج رجل واحد يرتدي لباسا تنكريا مصنوعا من بنطال مقلم ومعطف وقبعة إنجليزيين، وبيده مظلة طويلة ونسخة من عدد الأمس من صحيفة التايمز. عم الصمت لثوان معدودة قبل أن تنفجر الجماهير ضاحكة عند فهمها مغزى اللباس. فهي مزحة قام بها هذا الجندي الذي حيته الجماهير بالهتافات ثم حمل على أكتاف أربعة رجال بينما صرخ أحدهم: «أخبار عاجلة من لندن» وهو ينتزع الصحيفة من يده. كان جنديا ذكيا ويستحق ميدالية.

عندما نزل بقية الجنود، كانوا يحملون الشوكولاته والبرتقال والسجائر وأكياس الشاي لتوزيعها على الجماهير المنتظرة. كما أعلن العميد سنو أنه يجري إصلاح خطوط الهاتف الممتدة إلى إنجلترا وسيتمكن الناس قريبا من تبادل الحوار مع أطفالهم وأهاليهم في إنجلترا. كما حملت السفن أيضا الكثير من الطعام والأدوية وعلف الماشية والملابس والبذور والأحذية.

لا بد أن هناك ما يكفي من القصص لملء ثلاثة كتب، ربما يتعلق الأمر بالاختيار ليس إلا. لذلك يجب ألا تقلقي إن بدت جولييت مثقلة ومتوترة أحيانا، لأنها مهمة شاقة فعلا.

أتوقف عن السرد الآن لأجهز نفسي لحضور حفل عشاء جولييت. تتزين إيسولا بثلاثة أنواع من الأوشحة، بالإضافة إلى

غطاء كتف مطرز من الدانتيل، وأريد أن أجاريها في لباسي حتى لا أخيب ظنها.

محبتي لكم جميعا،

سيدني

* * *

من جولييت إلى صوفي

7 يوليو 1946

عزيزتي صوفي،

أكتب لك هذه الرسالة لأعلمك بوصول سيدني، وأن تكفي عن القلق بشأنه وبشأن رجله. فهو يبدو رائعا ببشرته المسمرة وجسده الممشوق، دون أي عرج ملحوظ. وقد رمينا عكازه في المحيط، وأعتقد أنها في منتصف الطريق إلى فرنسا حاليا.

قمت بترتيب حفل عشاء صغير على شرف وصوله. عشاء جيد أعددته بنفسي. أعطاني ويل ثيسبي كتاب الدليل في كتب الطبخ للفتيات المبتدئات، وقد كان كتابا مميزا فعلا، إذ يفترض الكاتب جهلا تاما بالطبخ ويزود الكتاب بنصائح مهمة مثل: «قبل إضافة البيض، اكسري القشرة أولا».

يقضي سيدني وقتا ممتعا في ضيافة إيسولا. ويبدو أنهما استمرا في الحديث طوال ليلة أمس، فإيسولا لا تثق بالدردشة السطحية، وتؤمن بضرورة تطبيع الصداقة بالحديث عن تفاصيل الأمور.

سـألته أولا إن كنـا نخطـط للـزواج قريبـا، وإن لم نكـن كذلـك فـما الـذي يمنعنـا، فالجميـع يـرى مقـدار المـودة بيننـا.

وافقهـا سـيدني بـأن المـودة بيننـا عظيمـة جـدا، ولطالما كانـت كذلك وستسـتمر كذلـك دومـا، لكننـا نـدرك أن الـزواج ليـس في مسـتقبلنا، بسـبب ميولـه الجنسـية.

أخبرني سـيدني بـأن إيسـولا لم تشـهق لسـماع ذلـك أو يغمـى عليهـا أو يـرف لهـا جفـن، بـل رمقتـه بنظرتهـا الثاقبـة وسـألته إن كنـت أنـا عـلى علـم بذلـك.

وعندمـا طمأنهـا بأننـي كنـت عـلى علـم بذلـك دومـا، قفـزت إيسـولا مـن مقعدهـا وانحنـت عـلى جبينـه تقبلـه قائلـة: «مـا أجمـل ذلـك، إنـك في ذلـك تشـبه عزيـزي بوكـر. لـن أخـبر أحـدا، ولـك أن تعتمـد عـلي في ذلـك».

ثـم عـادت لمقعدهـا وأخـذت تتحـدث عـن مسرحيـات أوسـكار وايلـد. ألم يكونـا مسـليين؟ يـا إلهـي يـا صـوفي، ألا توديـن لـو كنـت ذبابـة عـلى الحائـط؟ يـا ليتنـي كنـت كذلـك.

سـأذهب للتسـوق مـع سـيدني الآن ليشـتري هديـة يشـكر فيهـا إيسـولا عـلى ضيافتهـا. نصحتـه بـشراء وشـاح شـتوي زاه لأنهـا تحـب ذلـك، لكنـه يريـد شراء سـاعة حائـط مـن النـوع المزيّـن بديـك في وسـطها. لا أعلـم لمـاذا!!

محبتي،

جولييت

ملحوظـة: لا يراسـلني مـارك، بـل يحدثنـي عـلى الهاتـف. اتصـل بي في الأسـبوع المـاضي وكان خـط الهاتـف ضعيفـا، مـا اضطرنـا أن نقاطـع

بعضنا مرارا للاستفسار عما فاتنا، لكنني استطعت معرفة محور الحديث، وهو ضرورة عودتي لأتزوجه. خالفته بكل أدب، ويجب أن أعترف أن ذلك لم يضايقني الآن كما كان يضايقني قبل شهر مضى.

* * *

من إيسولا إلى سيدني

8 يوليو 1946

عزيزي سيدني،

إنك ضيف لطيف جدا. وقد سررت باستضافتك، كما سرت بذلك الببغاء زنوبيا كما يبدو من استمرارها بالطيران للوقوف على كتفك.

كم يسعدني استمتاعك بالحديث طوال الليل، فذلك يسعدني أنا أيضا. سأذهب الآن للبحث عن الكتاب الذي حدثتني عنه. لِمَ لم تخبرني جولييت أو أميليا عن جين أوستن؟

آمل أن تعود لزيارة غيرنزي. هل أعجبك الحساء الذي حضرته جولييت؟ ألم يكن شهيا؟ ستتمكن من عمل عجينة الفطيرة والصلصة عما قريب، فيجب عليك التروي في تعلم الطبخ حتى تتجنب الفوضى.

شعرت بالوحدة بعد رحيلك، فدعوت دوزي وأميليا لتناول الشاي يوم أمس. وستذهل لردة فعلي عندما أبدت أميليا رأيها بزواجك المحتوم من جولييت. لم أنبس ببنت شفة.. بل أومأت برأسي وعبرت بوجهي وكأنني أعلم ما لا يعلمون، حتى أوهمهم بأنهم على حق.

كم أحب ساعة الحائط الجديدة التي أهديتني إياها، هي مسلية جدا، وأجدني أهرول للمطبخ لمراقبتها. يؤسفني أن الببغاء زنوبيا قضمت رأس طائر الوقواق بداخلها، فهي تشعر بالغيرة بلا شك. لكن إيلاي وعدني بنحت طائر آخر بديل له. لكن القاعدة التي يجثم الطائر عليها لا تزال تبرز كعادتها عند تمام كل ساعة.

مع حبي، مضيفتك،

إيسولا ريبي

* * *

من جولييت إلى سيدني

9 يوليو 1946

عزيزي سيدني،

لم يكن لدي أي شك بأنك ستحب غيرنزي. وكم أسعدني وجودك هنا بجانبي ولو لفترة قصيرة، فقد سعدت بوجودي في الجزيرة. وأجدني مغتبطة لأنك تعرفت على كل أصدقائي الآن، كما تعرفوا هم عليك. أنا سعيدة تماما لأنك استمتعت كثيرا بصحبة كيت. يؤسفني أن أقرّ لك بأن سبب إعجابها بك هو أنك أهديتها كتاب إليزابيث، الأرنب ذو اللثغة. وقد بدأت تلثغ من شدة إعجابها بإليزابيث، لا بل إنها تجيد اللثغة الآن.

كان دوزي وكيت في زيارة خنزير دوزي الجديد، وللتو وصلا. سألتني كيت إن كنت أراسل ثيدني (سيدني)، وعندما أجبتها بنعم

قالت: «أخبريه أنني أود لو يعود لذيارتنا (لزيارتنا)». أترى ما أعنيه عندما أخبرك عن اللثغة؟

ابتسم دوزي لذلك، وهو ما أسعدني. أخشى أنك لم تر ما يتميز به دوزي أثناء زيارتك في عطلة هذا الأسبوع. فقد كان هادئا جدا أثناء حفل العشاء. ربما تكون الشوربة التي حضرتها هي السبب في ذلك، لكنني أرجّح أن انشغاله بريمي هو السبب. يبدو أنه على ثقة بأنها لن تتحسن حتى تأتي إلى غيرنزي للاستشفاء.

أشكرك لأنك أخذت مخطوطتي لتقرأها عند عودتك. ويعلم الله إنني حائرة في التكهن في معرفة علتها، لكنني أعلم جيدا أن بها علة.

بالله عليك، ما الذي قلته لإيسولا؟ لقد مرت ببيتي لأخذ رواية جين أوستن الكبرياء والهوى، وبدأت توبخني لأنني لم أخبرها عن إليزابيث بينيت وسيد دارسي. لماذا كانت تجهل وجود العديد من قصص الحب الجيدة؟ لا يتخللها رجال عاجزون عن التأقلم أو الحزن أو الموت أو المقابر. ما الذي خبأناه عنها غير ذلك؟

اعتذرت لها عن ذلك، وأخبرتها بأنك على حق بالفعل، فرواية الكبرياء والهوى من أعظم قصص الحب على الإطلاق، وقد يقتلها الفضول لمعرفة خاتمتها قبل أن تنتهي من قراءتها.

تخبرني إيسولا أن الببغاء زنوبيا حزينة لرحيلك، فهي لا تتغذى كما يجب. أنا أيضا حزينة لرحيلك رغم أنني ممتنة لزيارتك لي.

محبتي،

جولييت

* * *

من سيدني إلى جولييت
12 يوليو 1946

عزيزتي جولييت،

قرأت فصول كتابك أكثر من مرة وأجدك محقة، فهي لا تنفع. لا يمكن صنع كتاب من تسلسل قصص عرضية.

جولييت، يحتاج كتابك إلى محور ما يرتكز إليه. ولا أعني بذلك المزيد من المقابلات الجدية، بل أقصد راوية لمجرى الأحداث حول البطلة. كتابك بشكله الحالي لا يعدو كونه مجموعة من الصور العشوائية المتفرقة.

ليس من السهل كتابة هذه الرسالة لك لولا أنك بالفعل تمتلكين الأساس، بيد أنك لم تسبري أغواره بعد.

أعني بذلك إليزابيث ماكينا. ألم تلاحظي أن كل من قابلتهم تحدثوا عن إليزابيث بصورة أو بأخرى؟ من الذي رسم صورة بوكر وأنقذ حياته ورقص معه في الشارع؟ من اختلق كذبة جمعية الأدب ثم عمل على تحقيقها فعلا؟ لم تكن غيرنزي بلدها، لكنها تأقلمت على العيش فيها وعلى فقدان حريتها. كيف فعلت ذلك؟ لا شك لدي أنها اشتاقت لأمبروز ولندن، لكنها لم تنتحب على ذلك أبدا. اعتقلت في معسكر رافينزبروك لإيوائها عامل سخرة. انظري فقط لسبب موتها وطريقته.

جولييت، كيف لطالبة فن لم تعمل بوظيفة طوال حياتها، أن تجعل من نفسها ممرضة تعمل في المستشفى ستة أيام في الأسبوع؟ كان لديها أصدقاء أعزاء بلا شك، لكن في الواقع لم يكن لديها من يمكنها اعتباره صديقها. وقعت بحب ضابط من الأعداء ثم

فقدتـه. ولـدت طفلـة دون أي مسـاعدة أثنـاء الحـرب. لا بـد أن ذلـك كان شـاقا عليهـا، رغـم الأصدقـاء الطيبـين حولهـا. تجربـة مثـل هـذه لا بـد أن تكـون مخيفـة، فكـم المسـؤوليات هائـل وليـس باسـتطاعة المـرء مشـاركة أصدقائـه في كل شيء.

أعيـد إليـك المخطوطـة ثانيـة، ومعهـا رسـائلك لي. اقرئيهـا مـن جديد وانظـري كيـف يـتردد ذكـر إليزابيـث. ثـم اسـألي نفسـك عـن سـبب ذلـك. تحـدثي مـع دوزي وإيبـين. تحـدثي مـع إيسـولا وأميليـا. تحـدثي مـع سـيد ديلويـن وكل مـن كان يعرفهـا جيـدا.

إنـك تعيشـين في منزلهـا يـا جولييـت. انظـري مـن حولـك إلى كتبهـا ومقتنياتهـا.

أعتقـد أن كتابـك يجـب أن يكـون عـن إليزابيـث. وأظـن أن كيـت سـتقدر كثـيرا كتابـا يـروي حكايـة أمهـا. فذلـك يمنحهـا مـا تتمسـك بـه في المسـتقبل. لذلـك إمـا أن تتخـلي عـن المـشروع برمتـه، وإمـا أن تتعـرفي إلى إليزابيـث عـن كثـب.

فكـري جيـدا وأخبرينـي إن كنـت تسـتطيعين جعـل إليزابيـث محـور كتابك.

محبتي لك ولكيت،

سيدني

* * *

من جولييت إلى سيدني

15 يوليو 1946

عزيزي سيدني،

لا أحتاج وقتا لأفكر في ذلك، فبمجرد قراءتي لرسالتك علمت أنك على حق. كم أنا بطيئة في تحليل الأمور؟ ها أنا أتمنى لو كنت قد قابلت إليزابيث، وأشتاق لها وكأنني أعرفها شخصيا، فكيف لم يخطر على بالي أن أكتب عن حياتها؟

سأبدأ غدا. في البدء أريد التحدث مع دوزي وأميليا وإيبن وإيسولا فأشعر وكأنها تنتمي لهم أكثر من غيرهم وأود أن أحظى بمباركتهم لقراري هذا.

ترغب ريمي في القدوم إلى غيرنزي فعلا. فقد كان دوزي يراسلها، وكنت واثقة من قدرته على إقناعها. هو لديه القدرة على إقناع أعتى المعاندين لو عزم على ذلك، رغم أنه في العادة قليل الكلام. ستقطن ريمي عند أميليا وسأحتفظ بكيت عندي.

حبي الأبدي وامتناني،

جولييت

ملحوظة: هل تعتقد أن إليزابيث كانت تحتفظ بمفكرة تدون فيها يومياتها؟

* * *

من جولييت إلى سيدني

17 يوليو 1946

عزيزي سيدني،

لم أجد لها مفكرة، لكنها لحسن الحظ كانت دؤوبة على الرسم ما دام بحوزتها قلم وورق. وجدت بعض الرسومات في ملف كبير في الرف السفلي لخزانة الكتب في غرفة المعيشة. رسوم تخطيطية سريعة تبدو لي كلوحات فنية: رسم لإيسولا، دون علم منها، وهي تضرب شيئا ما بملعقة خشبية؛ ودوزي وهو يحرث الحديقة؛ وإيبين وأميليا يتجاذبان أطراف الحديث وقد تلامس رأساهما.

بينما كنت أجلس على الأرض لأتصفح تلك الرسومات، جاءت أميليا لزيارتي. سحبنا معا صفحات كبيرة تزينها رسومات متلاحقة لكيت. كيت وهي نائمة. كيت وهي تتحرك. كيت بحضن شخص ما. كيت بين أيدي أميليا وهي تهزها، كيت مهووسة بأصابع رجلها. كيت سعيدة بفقاعات لعابها. قد تنظر كل أم لطفلها بهذا الشكل وهذا التركيز، لكن إليزابيث استطاعت توثيق ذلك على الورق. وكان هناك رسم غير واضح لكيت الضعيفة في اليوم التالي لولادتها، كما أوضحت أميليا.

ثم عثرت على رسم لرجل ذي وجه جميل وممتلئ وعريض نوعا ما. يبدو مسترخيا في جلسته وهو ينظر إلى الرسام من فوق كتفه وقد علت وجهه ابتسامة. عرفت فورا أنه كريستيان، فخصلة شعره المرتفعة على جبينه تشبه تماما خصلة شعر كيت. أخذت أميليا الرسم بين يديها. سألتها عما إذا كانت تستلطفه، فلم أسمعها تتحدث عنه من قبل.

قالت: «يا للمسكين. كنت أقف ضده في البدء. بدا لي ضربا من الجنون أن تقع إليزابيث في حب ألماني عدو، وكنت خائفة عليها، كما كنت خائفة على البقية منا. وجدتها ذات ثقة عمياء بمن حولها، فرأيت أن أحذرها بحزم وأحثّها على الانفصال عنه قبل أن يخونها ويخوننا».

«فضلت إليزابيث الصمت فأمسكت بذقنها ولم تنبس ببنت شفة، لكن صديقها الألماني جاء لزيارتي في اليوم التالي. فزعت عندما فتحت الباب لأجد أمامي ألمانيا ضخما بزيه الرسمي. ظننت يومها أنه بصدد الاستيلاء على منزلي، فبدأت بالاعتراض على ذلك فورا، لكنها مد يده نحوي حاملا باقة من الزهور بدت مترهلة بسبب ضغط يده عليها. وعندما لاحظت توتره توقفت عن تأنيبه وسألته عن اسمه، فأجابني وقد بدت حمرة الخجل على خديه: «النقيب كريستيان هيلمان» لكنني كنت ميالة للشك، وسألته عن سبب زيارته، فازداد احمرار وجهه، وأخبرني بصوت رقيق «جئت لأفصح لك عن نواياي».

«زجرته قائلة: ‹نواياك بخصوص منزلي؟›».

«أجاب: «لا، بخصوص إليزابيث». ثم أخذ يشرح لي هذه النوايا وكأنني أب في العصر الفكتوري يستمع لمن يتقدم طالبا يد ابنته. جلس على حافة مقعده في غرفة الاستقبال وأخبرني بأنه ينوي العودة إلى الجزيرة بمجرد انتهاء الحرب ليتزوج إليزابيث ويزرع الورد ويقرأ ويترك الحرب خلفه. وما إن انتهى من حديثه حتى كنت أنا أيضا قد وقعت في حبه نوعا ما».

انخرطت أميليا في نولة من البكاء عند ذلك، فوضعنا الرسومات جانبا وحضرت لها كأسا من الشاي. ثم قدمت كيت وبيدها

بيضة نورس مهشمة أرادت إصلاحها، فشغلتنا بذلك عما كنا فيه لحسن الحظ.

زارني ويل ثيسبي يوم أمس ومعه طبق من الكعك المحلى بمخفوق البرقوق فدعوته لشرب الشاي. كان يريد مشورتي لأساعده على الاختيار بين امرأتين، موضحا أنه يود معرفة أي الاثنتين سأختار لو كنت رجلا.

كانت الآنسة سين دائمة التردد، فقد حملت بها والدتها لمدة عشرة أشهر وكانت ولادتها صعبة، ولم تتحسن طباعها منذ ذلك الحين. عندما علمت بقدوم الألمان، دفنت إبريق والدتها الفضي عند شجرة دردار، لكنها لا تستطيع تذكر موضعها الآن، فدأبت على الحفر في كل أنحاء الجزيرة، مصممة على العثور على ذلك الإبريق. قال سيد ويل: «إن مثل ذلك تصميم ليس من طباعها». (حاول ويل ألا يذكر اسمها، لكن الآنسة سين هي دافني بوست ذات العينين المدورتين الخاليتين من أي تعبير كعيني بقرة، والتي تشتهر بصوتها الحاد والمرتجف في جوقة الكنيسة).

أما الآنسة شين فهي خياطة محلية. عندما وصل الألمان إلى الجزيرة، كان معهم علم نازي واحد فقط كانوا بحاجة إلى رفعه على مقرهم، لم يكن لديهم علم يرفعونه على السارية لتذكير سكان الجزيرة بأنهم أصبحوا تحت سلطة الاحتلال.

قاموا بزيارة الآنسة شين وأمروها بخياطة علم نازي. استجابت وخاطت لهم شارة النازية السوداء الكريهة (الصليب المعقوف) على دائرة حمراء داكنة، أما خلفية الشارة فلم تكن من الحرير

القرمزي، بل من قماش الفانيلا بلون زهري فاتح. قال ويل: «كم هي مبدعة في حقدها وجريئة». (الآنسة شين هي الآنسة لي روي، نحيفة مثل إبر الخياطة، بفك رقيق وذقن بارزة وشفتين مزمومتين).

مَن من هاتين ستكون زوجة مثلى لرجل في أواخر عمره، الآنسة سِين أم الآنسة شين؟ أخبرته أن الشك في أمور مثل هذه يعني أن الاختيارين غير صائبين.

فقال: «هذا بالضبط هو ما أخبرني به دوزي أيضا، كما أخبرتني إيسولا بأنني سأضجر مللا من الآنسة سين، وستكون الآنسة شين السبب في حتفي لكثرة شكواها وتذمرها.

«شكرا شكرا، سأستمر بالبحث، فالمرأة التي تناسبني موجودة حتما في مكان ما».

ارتدى قبعته وانحنى محييا قبل ذهابه. سيدني، لا بد أنه طرح هذه الأسئلة على كل من في الجزيرة، لكنني أشعر بالفخر لأنه شملني بذلك أيضا. فقد جعلني أشعر وكأنني من سكان الجزيرة فعلا لا مجرد زائر فقط.

محبتي،

جولييت

ملحوظة: كنت مهتمة بمعرفة إن كانت لدى دوزي آراء عن الزواج. أود لو أعرف المزيد عنها.

* * *

من جولييت إلى سيدني
19 يوليو 1946

عزيزي سيدني،

قصص إليزابيث متداولة في كل مكان، وليس بين أعضاء الجمعية وحسب. إليك إحداها: كنت وكيت نسير نحو فناء الكنيسة بعد ظهر اليوم، وبينما انطلقت كيت لتلعب بين شواهد القبور، وأنا مستلقية على ضريح إدوين موليس -هو مصمم على شكل طاولة ذات أربع أرجل قوية- مر بي سام ويذرز، المزارع العجوز الذي يشرف على المقبرة. قال إنني أذكره بالآنسة ماكينا عندما كانت فتاة صغيرة، فقد كانت تستلقي على البلاطة نفسها لتستمتع بأشعة الشمس، فتصبح بشرتها سمراء بلون الجوز.

انتصبت جالسة وسألته إن كان يعرف إليزابيث معرفة جيدة.

فأجاب: «لا أدعي أنها معرفة جيدة، لكنني كنت أحبها، فقد كانت تأتي لهذا الضريح نفسه مع جين ابنة إيبين، فيمدان مفرشهما لتناول الطعام فوق عظام سيد موليس».

استمر سام في الحديث عن شقاوة هاتين الطفلتين وكيف أنهما تسببان الأذى دائمًا. ففي أحد الأيام حاولتا تمثيل دور الشبح وسببتا الهلع لزوجة الكاهن. ثم نظر الكاهن باتجاه كيت التي كانت على مشارف بوابة الكنيسة عند ذلك وقال «تلك الفتاة الصغيرة الحلوة هي بالتأكيد ابنة إليزابيث والنقيب هيلمان».

أسرعت هنا بسؤاله إن كان يعرف النقيب هيلمان، وإن كان قد أحبه.

نظر إلي بحدة قائلا: «نعم لقد أحببته، فقد كان إنسانا جيدا رغم كونه ألماني الجنسية. أرجو ألا تعامل ابنة الآنسة ماكينا بصورة سيئة بسبب ذلك، فلا ذنب لها فيه». فأخبرته أنني لا أجرؤ أن أجعل من ذلك سببا لحكمي على الطفلة أو والدتها.

لوح بإصبعه محذرا: «تعرفي على تفاصيل كل الأمور قبل أن تندفعي للكتابة عن الاحتلال. لقد مقتُّ الاحتلال بالطبع، وأشعر بالغضب لمجرد التفكير به. كان بعض الجنود خسيسين فعلا يندفعون إلى داخل المنازل دون طرق الأبواب ويزمجرون بأصحابها، فقد استهوتهم القوة والسيطرة التي لم يعتادوها. لكن ذلك لا ينطبق عليهم جميعا أبدا».

لم يكن كريستيان مثل أولئك الجنود، حسب قول سام، فقد أحبه فعلا. صادف كريستيان وإليزابيث سام في فناء الكنيسة وهو يحاول أن يحفر قبرا ذات يوم بارد، وكانت الأرض صلبة وباردة مثل سام نفسه. أخذ كريستيان المجرفة وعمل جاهدا لمساعدة سام. كان رجلا قويا، كما يقول سام، تمكن من حفر القبر بسرعة قصوى، «وأخبرته أنه أهل للعمل معي حينما يشاء، فضحك لذلك».

في اليوم التالي، جاءت إليزابيث ومعها إبريق من القهوة. قهوة طازجة من البن الطبيعي الذي أحضره كريستيان لمنزل إليزابيث. كما أعطته كنزة شتوية تعود لكريستيان.

أردف سام قائلا: «الواقع أنني التقيت بأكثر من جندي ألماني طيب أثناء الاحتلال. فلا بد من تكوين علاقة ما مع من تراهم باستمرار لمدة خمس سنوات».

«لا يمكنك لكن تشعر بالأسى لحال بعضهم الذين وجدوا أنفسهم عالقين على الجزيرة وبعيدين عن أهلهم الذين تتعرض بيوتهم للقصف. لا يهم عندها من بدأ الحرب، أو على الأقل، لا أجدني أعير ذلك أي اهتمام، فلا يختلف الأمر بين طرف وآخر».

«بل كنت ترين بعض الجنود الذين يحرسون شاحنات البطاطا المتوجهة لقاعة طعام الجيش يتبعهم الأطفال على أمل سقوط بعض حبات البطاطا من الشاحنات، وترين نظرة الجنود الصارمة المتجهة للأمام بينما يرمون بعض حبات البطاطا من الشاحنة عمدا».

«الأمر نفسه كان يتكرر مع شاحنات البرتقال أو الفحم، وكم كانت قطع الفحم التي نحصل عليها من الجمود ثمينة، عندما لم يبق لنا أي مصدر للوقود. كان ذلك المشهد يتكرر كثيرا». اسألي السيدة غودفراي عن ابنها، فقد كان مريضا بالالتهاب الرئوي وكانت قلقة لعدم قدرتها على توفير منزل دافئ أو طعام جيد للحفاظ على صحته. طرق بابها ذات يوم، وعندما فتحته، كان هناك ممرض من المستشفى الألماني وبيده قارورة من عقار السلفا (sulfonamide). أعطاها إياها دون أن ينبس بكلمة، ثم لمس قبعته تحية لها ورحل. قبض عليه لاحقا وهو يحاول سرقة المزيد من العقاقير، فأرسلوه للسجن في ألمانيا وربما أعدموه. لا نعلم ما حدث له».

ثم حدق في وجهي ثانية وقال: «وها أنا ذا أخبرك بأنه لو حاول بريطاني متعجرف أن يسمي هذه الإنسانية تعاونا مع العدو فعليه أن يواجهني والسيدة غودفراي أولا».

حاولت الاعتراض على ذلك، لكن سام أدار ظهره لي وابتعد. أخذت كيت وعدنا إلى المنزل. ومن زهور أميليا المترهلة إلى حبوب قهوة سام وذرز، أخذت بالتعرف على شخصية والد كيت ومعرفة سبب حب إليزابيث له.

ستأتي ريمي إلى غيرنزي الأسبوع المقبل. سيسافر دوزي إلى فرنسا يوم الثلاثاء لإحضارها.

محبتي،

جولييت

* * *

من جولييت إلى صوفي

22 يوليو 1946

عزيزتي صوفي،

احرقي هذه الرسالة، لا يهمني إن ظهرت الرسالة في مجموعة «أوراقك المختارة» في المستقبل.

أخبرتك عن دوزي بلا شك، أنت تعرف أنه كان أول من يراسلني من غيرنزي، وأخبرتك عن حبه لتشارلز لام، عن مساعدته في العناية بكيت، وعن حب كيت له.

ما لم أخبرك به هو الإحساس العارم بالإثارة في أول أمسية لي في غيرنزي عندما مدّ لي دوزي يديه ليأخذني من سلم القارب. لكن طبيعة دوزي الهادئة والرزينة دوما جعلتني أعتقد أنني وحيدة في شعوري هذا، لذلك حافظت على اتزاني وتصرفت بطبيعية ورزانة

طيلة الشهرين الماضيين. وقد بقيت مسيطرة على عواطفي حتى مساء هذا اليوم.

جاء دوزي لاستعارة حقيبة سفر لرحلته إلى لوفيير، حيث سيأخذ ريمي ويأتي بها إلى غيرنزي. أي نوع من الرجال هذا الذي لا يملك حقيبة سفر؟ كانت كيت مستغرقة في النوم، فوضعنا الحقيبة في عربته وأخذنا في السير باتجاه الجرف. كان القمر آخذا في الصعود فبدت السماء صدفية كأنها قلب قوقعة. وكان البحر هادئا على غير العادة، لا يعكر صفوه غير تموجات فضية ضعيفة جدا. كانت الرياح ساكنة، ولم يسبق لي أن شعرت بالكون هادئا على هذا النحو، وها هو دوزي يسير بجانبي بهدوء مماثل. كنت أقرب إليه من أي وقت مضى، فبدأت أدقق النظر في معصميه ويديه، وكلي رغبة في لمسهما، وهي رغبة سببت لي دوارا خفيفا في الرأس.

وفجأة التفت دوزي ناحيتي. كان وجهه مظللا، لكنني تمكنت من رؤية عينيه الداكنتين تراقباني، منتظرة. من تراه كان ما كان سيحدث في تلك اللحظة؛ قبلة؟ تربيتة على الرأس؟ لا شيء؟ لأننا سمعنا في اللحظة التالية تماما عربة والي بيل -وهي سيارة الأجرة المحلية- تقف أمام كوخي، بينما ينادي الشخص الذي كان يركب في العربة «إنها مفاجأة يا عزيزتي».

كان ذلك الشخص هو مارك؛ ماركام ف. رينولدز، الابن، متألقا في بدلته الرائعة المصممة خصيصا له، وبيده رزمة كبيرة من الورد الأحمر.

في تلك اللحظة تمنيت لو أنه ميت يا صوفي.

لكنه لم يسعني إلا أن أتجه نحوه لأحييه، وعندما قبلني، كنت أفكر بشيء واحد فقط «لا. لا تفعل ذلك. لا تفعل ذلك على مرأى

من ودوزي». وضع باقة الورد على ذراعي والتفت نحو دوزي بابتسامته الباردة. وما كان مني إلا أن عرفتهما على بعضهما بينما كنت أتمنى في داخلي أن تنفتح الأرض وتبتلعني، ولا أعرف لذلك سببا، ورحت أراقب كالخرساء دوزي وهو يصافحه، ثم يلتفت نحوي ليصافحني قائلا: «شكرا لإعارتي الحقيبة يا جولييت. عمتم مساء» ثم رحل. رحل دون أي كلمة أخرى، ودون أن يلتفت للوراء ثانية.

شعرت برغبة قوية في البكاء. لكنني دعوت مارك إلى الداخل وحاولت التصرف كامرأة تسلمت للتو مفاجأة جميلة. استيقظت كيت من أصواتنا وصوت العربة، ونظرت نحو مارك باستغراب متسائلة عن دوزي الذي رحل دون أن يقبلها قبلة المساء. وهنا وجدت نفسي أتساءل مثلها.

ساعدت كيت على العودة إلى النوم، وأقنعت مارك أن سمعتي ستكون على المحك إن لم يذهب للإقامة في فندق رويال هاوس فورا. استجاب بروح غير لطيفة متوعدا بأنه سيعود في السادسة صباحا.

ثم جلست أعض أصابع الندم لثلاث ساعات. هل ينبغي أن أذهب لمنزل دوزي وأحاول إكمال ما بدأنا به؟ لكن ما ذلك الذي بدأنا به؟

لست متيقنة من ذلك، ولا أود أن أجعل من نفسي أضحوكة. فكيف ستكون ردة فعلي لو نظر نحوي مستغربا، أو فعل ما هو أقسى من ذلك، لو نظر نحوي وكله شعور بالشفقة؟

وما هذا الذي أفكر فيه الآن؟ إن مارك موجود هنا في الجزيرة. مارك الثري المرموق الذي يود الزواج مني. مارك الذي كانت

حياتي من دونه جميلة جدا. لماذا أعجز عن الكف عن التفكير بدوزي الذي قد لا يعيرني أي اهتمام. لكن وإن كان فعلا مهتما بي؟ فربما كنت على وشك معرفة سبب هذا الصمت المطبق.

اللعنة! اللعنة! اللعنة!

إنها الثانية صباحا، وليس لدي أمل أتشبث به، وأبدو وكأنني في المئة من عمري. ربما يشمئز مارك من مظهري الشاحب عندما يراني. ربما سيزدريني. لا أعتقد بأن ظني سيخيب إن ازدراني.

محبتي،

جولييت

* * *

من أميليا إلى جولييت (وجدت أسفل باب جولييت)

23 يوليو 1946

عزيزتي جولييت،

بدأ توت العليق بالنمو بشراسة، وها أنا أقطفه هذا الصباح لأصنع الفطائر بعد ظهر اليوم. هل تودين القدوم مع كيت لشرب الشاي (وأكل الفطيرة) معي؟

محبتي،

أميليا

* * *

من جولييت إلى أميليا

23 يوليو 1946

عزيزتي أميليا،

آسفة. لا أستطيع زيارتك الآن. لدي ضيف.

محبتي،

جولييت

ملحوظة: تقوم كيت بتسليم الرسالة على أمل الحصول على بعض الفطائر. هل تستطيعين إبقاءها عندك طيلة فترة ما بعد الظهر؟

* * *

من جولييت إلى صوفي

24 يوليو 1946

عزيزتي صوفي،

قد يتحتم عليك إحراق هذه الرسالة أسوة بالرسالة التي سبقتها. لقد رفضت الزواج بمارك أخيرا ودون رجعة، وغبطتي بذلك لا حدود لها. لو كنت فتاة أحسنت تربيتها لوجدتني أحبس نفسي في غرفتي حزنا، لكنني لا أستطيع عمل ذلك. فأنا الآن حرة. وقد استيقظت من النوم ببهجة ونشاط غير اعتياديين، وأمضيت اليوم أسابق كيت في الحقول. هزمتني كيت، لكن سبب ذلك أنها تغش.

كان يـوم أمـس مرعبـا. هـل تذكريـن شـعوري عندمـا وصـل مـارك مسـاء، لكـن شـعوري في صبـاح اليـوم التـالي كان أسـوأ بكثـير. جـاء لزيـارتي في السـابعة وهـو يشـع ثقـة بالنفـس متيقنـا بأننـا سـنتفق عـلى تحديـد موعـد الزفـاف ظهـر اليـوم. لم يكـن لديـه أدنى اهتـمام بالجزيـرة أو الاحتـلال أو إليزابيـث أو مـا كنـت أعمـل عليـه منـذ وصـولي إلى الجزيـرة، لم يسـألني عـن أي مـن ذلـك. ثـم نزلـت كيـت مـن غرفتهـا لتنـاول طعـام الإفطـار وأدهشـه ذلـك، فهـو لم ينتبـه لوجودهـا في الليلـة السـابقة. وقـد أمضيـا وقتـا لا بـأس بـه في الحديـث عـن الـكلاب، لكـن سرعـان مـا اتضـح لي أنـه في انتظـار رحيلهـا. أعتقـد بأنـه اعتـاد، بحكـم خبرتـه، عـلى أن المربيـات يبعـدن الأطفـال قبـل أن يصبـح وجودهـم مملـا ومزعجـا لأهلهـم. حاولـت تجاهـل اسـتفزازه، بالطبـع وبـدأت بتحضـير إفطـار كيـت كالعـادة، لكـنّ اسـتياءه خيـم عـلى جـو الغرفـة.

ذهبـت كيـت أخـيرا للعـب في الخـارج، ومـا إن أغلقـت البـاب خلفهـا حتـى قـال مـارك: «يـا لمهـارة أصدقائـك الجـدد، فقـد تمكنـوا مـن تحميلـك مسـؤولياتهم خـلال شـهرين فقـط مـن وجـودك بينهـم». وهـز برأسـه مشـفقا عـلي لفـرط سـذاجتي.

لم يكن مني إلا أن حدقت به.

«إنهـا طفلـة لطيفـة، لكنـك لسـت مسـؤولة عنهـا يـا جولييـت، ويجـب أن تكـوني حازمـة بهـذا الشـأن. اشـتري لهـا لعبـة جميلـة وودعيهـا قبـل أن تعتـاد عـلى وجـودك وتعتقـد بأنـك سـتتولين رعايتهـا طـول حياتهـا».

لكـثرة مـا أغضبنـي حديثـه هـذا لم أسـتطع الـرد عليـه. بـل وقفـت أمامـه ممسـكة بطبـق عصيـدة كيـت وتمالكـت أعصـابي. لم أرمـه

بالطبق، لكنني كنت على وشك فعل ذلك. وأخيرا استطعت الحديث فهمست له قائلة: «اخرج من هنا».

«عفوا؟».

«لا أريد رؤيتك بعد الآن».

«جولييت؟» لم يكن لديه أي علم بما كنت أعنيه.

لذلك وضحت له الأمر، وشعرت بتحسن أثناء الحديث. قلت له إنني لن أتزوج منه، أو من أي شخص لا يحب كيت وغيرنزي وتشارلز لام.

صرخ قائلا: «ما علاقة تشارلز لام بكل هذا؟».

رفضت الاسترسال في الشرح. حاول جدالي، ثم إقناعي، ثم تقبيلي، ثم حاول جدالي مرة أخرى، لكن الأمر كان قد انتهى بيننا، وقد علم مارك بذلك. للمرة الأولى منذ مدة طويلة، منذ شهر فبراير حين التقيت به، كنت على يقين من أنني فعلت بما يجب علي فعله. لا أعلم كيف خطر على بالي أن أتزوج منه؟ فلن يمضي عام واحد على زواجنا حتى أصبح مثل أولئك الزوجات البائسات المرتعشات اللاتي تنظرن إلى أزواجهن عندما يسألهن أحدهم سؤالا. لطالما احتقرت هذا النوع من النساء، لكنني عرفت الآن كيف يحدث ذلك لهن.

بعد مرور ساعتين، كان مارك في طريقه إلى المطار دون أي أمل في العودة. وها أنا أزدرد فطائر التوت في بيت أميليا، بكل خزي وبقلب غير مكسور. نمت عشر ساعات سعيدة هنيئة مساء أمس، وها أنا ذي أشعر وكأنني في الثانية والثلاثين من عمري ثانية، ولست امرأة في المئة من عمرها.

سنمضي أنا وكيت عصر اليوم على الشاطئ بحثا عن نبات

العقيق. يا له من يوم جميل جدا.

محبتي،

إليزابيث

ملحوظة: لا صلة لكل ما كتبته لك بدوزي. ذكرت تشارلز لام بالمصادفة. دوزي لم يأت ليودعني قبل رحيله. وكلما فكرت بما حدث، ازددت قناعة بأنني أنا التي التفت إليها عند الجرف، ليسألها إن كان بوسعه استعارة مظلتها.

* * *

من جولييت إلى سيدني

27 يوليو 1946

عزيزي سيدني،

كنت أعلم بأن إليزابيث اعتقلت لإيواءها أحد عمال السخرة، لكنني لم أعلم بأنه كان لها شريك في ذلك إلا قبل بضعة أيام، وذلك عندما ذكر إيبين اسم بيتر سوير «الذي اعتقل مع إليزابيث». فصرخت «ماذا؟» عندها قال إيبين بأنه سيجعل بيتر يخبرني بكل ما حصل.

يعيش بيتر الآن في بيت للرعاية بالقرب من لو غراند هافر في فاله، وعند اتصالي به قال بأنه سيسعد بلقائي خصوصا إذا كنت أحمل زجاجة من البراندي معي.

فأجبته «بالطبع».

فقال: «جميل جدا، تعالي غدا».

بيتر مقعد على كرسي متحرك، ويا له من سائق بارع. يسرع بالكرسي كمجنون ملتفا حول زوايا الغرفة بسرعة فائقة، جلسنا في الخارج تحت عريشة، واحتسى الشراب أثناء حديثه. وفي هذه المرة قمت بتدوين كل شيء يا سيدني، حتى لا أنسى أي كلمة.

بيتر كان مقعدا ويعيش في منزله في سان سامبسون عندما وجد عامل السخرة البولندي، لود جاروزكي، وهو صبي يبلغ من العمر ستة عشر عاما.

كان يسمح للكثير من عمال التود بالخروج من محابسهم بعد حلول الظلام للبحث عن شيء يأكلونه شريطة أن يعودوا. إذ كان يتوجب عليهم أن يعودوا للعمل في الصباح التالي، وفي حال عدم عودتهم تبدأ عملية البحث عنهم. إطلاق السراح المشروط هذا كان أسلوب الألمان في التأكد من أن العمال لا يتضورون جوعا، دون أن يضطروا لمشاركتهم في الطعام.

كان لمعظم سكان الجزيرة مزارع للخضراوات، وكان بعضهم يملك قنا للدجاج وأقفاصا للأرانب. كان عمال السخرة يغيرون على تلك المزارع بحثا عن الطعام، لذا قام سكان الجزر بحراسة مزارعهم ليلا، مسلحين بالعصي أو الهراوات دفاعا عن خضراواتهم.

كان بيتر يمكث في الخارج في الليل أيضا، متخفيا في ظلال قن الدجاج. لم يكن يحمل هراوة، بل مقلاة حديدية كبيرة وملعقة معدنية يضرب بها المقلاة كتحذير للجيران كي يهبوا دفاعا عن ممتلكاتهم.

في إحدى الليالي سمع بيتر، ومن ثم رأى، أحد عمال السخرة -وكان صبيا- يزحف عبر ثقب في السياج العشبي. انتظر بيتر،

حاول الصبي أن يقف لكنه سقط أرضا، ومن ثم حاول النهوض مرة أخرى ثم سقط أرضا ولم يتحرك. فذهب بيتر على كرسيه المتحرك ونظر إلى الصبي الملقى على الأرض.

«لقد كان مجرد طفل يا جولييت، طفل مستلق على الوحل. نحيف جدا وقذر جدا وثيابه رثة. وكان مغطى بالديدان التي زحفت من تحت شعره إلى وجهه وجفنيه. ولم يشعر الصبي المسكين بذلك، لم ترمش عيناه حتى. كل ما أراده هو حبة بطاطا لعينة، ولم يملك القوة على الحفر للحصول عليها. كيف يفعلون ذلك بالصبيان!

«لقد كرهت هؤلاء الألمان من كل قلبي. لم أستطع الانحناء للتأكد من أنه يتنفس، ولكني قمت بدفعه ولكزه إلى أن أصبح كتفاه قريبين مني. وبما أن ذراعَيَّ قويتان قمت بسحب جزء من جسمه إلى حضني. وبطريقة ما نجحت في دفعنا إلى أعلى الممر نحو المطبخ، حيث سمحت لجسده بالانزلاق أرضا. قمت بإضرام النار في الحطب، وجلبت غطاء وسخنت الماء؛ ونظفت وجه الفتى المسكين ويديه، وأغرقت كل قملة ودودة انتزعتها منه».

لم يستطع بيتر طلب المساعدة من جيرانه، خشية أن يبلغوا الألمان عنه. وبخاصة أن القائد الألماني كان قد أعلن أنه سيتم رمي كل من يقوم بإيواء عامل سخرة أو اعتقاله.

كان تود يتوقع زيارة من إليزابيث في اليوم التالي، لأنها كانت الممرضة التي تساعده وتزوره في العادة مرة أو أكثر في الأسبوع. كان يعرف إليزابيث جيدا، ويعلم بأنها ستساعده في الإبقاء على الصبي حيا، من دون أن تنطق ببنت شفة.

«وصلت في صباح اليوم التالي. استقبلتها عند الباب وقلت لها إن ثمة مشكلة بانتظارها في الداخل، وإن عليها ألا تدخل إن

لم تكن ترغب بالتورط في تلك المشكلة. لقد عرفت ما كنت أحاول قوله، وهزت رأسها موافقة، ومن ثم دخلت إلى المنزل. أطبق فكها بقوة عندما ركعت على الأرض إلى جانب عامل السخرة، فقد كانت رائحته مزعجة، لكنها لم تأبه وابتدأت العمل فورا. قامت بقص ثيابه ونزعها وحرقها. ومن ثم قامت بغسل جسمه وشعره بصابونة القطران، كانت تلك ورطة مضحكة، وقد لا تصدقين أننا ضحكنا. وقد استفاق إما على وقع ضحكاتنا وإما بسبب الماء البارد. بدا مذهولا وخائفا إلى أن رأى من نكون. استمرت إليزابيث بالتحدث بهدوء، الأمر الذي ساعد في تهدئته على الرغم من عدم فهمه لكلمة واحدة. نقلناه إلى غرفة نومي لأن البقاء في المطبخ لم يكن محبذا، فقد يدخل علينا الجيران في أي وقت. وقد اعتنت به إليزابيث جيدا، وعلى الرغم من عدم توفر الأدوية، قامت بتحضير شوربة العظام وخبز حقيقي اشترته من السوق السوداء. أما أنا فغذيته بالقليل من بيض الدجاج الذي كنت أملكه، وشيئا فشيئا، ويوما بعد يوم استعاد الفتى قوته. كان يكثر من النوم. في بعض الأحيان كانت إليزابيث تأتي بعد حلول الظلام، قبل وقت حظر التجول، إذ لم يكن من الجيد أن يراها الجيران تتردد على منزلي كثيرا، كما تعلمين كان البعض يبلغ الألمان عن جيرانه رغبة في الحصول على خدمة أو طعام في المقابل.

«ولقد لاحظ أحدهم وأبلغ عني، لا أعرف من كان ذلك الشخص. لقد أبلغوا قوات الشرطة الميدانية السرية (Feldpolizei) التي حضرت في ليلة الثلاثاء. وكانت إليزابيث قد اشترت بعضا من لحم الدجاج وطهته وجلست لإطعام عامل السخرة. فيما جلست أنا إلى جانبه في مقدمة السرير.

«حاصروا المنزل بهدوء إلى أن اقتحموه، تم إلقاء القبض علينا بكل بساطة، وأخذونا جميعا، ويعلم الله ماذا فعلوا بالفتى. ومن دون محاكمة تم وضعنا على قارب متجه إلى سان مالو في اليوم التالي. كانت تلك هي المرة الأخيرة التي أرى فيها إليزابيث يقودها أحد حراس السجن إلى القارب، وقد بدت وهي ترتجف من البرد. لم أرها حين وصلنا إلى فرنسا، ولم أعلم إلى أين أرسلوها. أما أنا فقد أرسلوني إلى سجن كوتانس الفدرالي، لكنهم لم يعرفوا ماذا يفعلون بشخص مقعد، لذا أعادوني إلى الجزيرة طالبين مني أن أكون ممتنا لرأفتهم بي».

قال بيتر إنه كان يعلم بأن إليزابيث كانت تترك كيت مع أميليا عندما كانت تذهب إلى منزله. ولم يكن أحد على علم بأن إليزابيث كانت تساعدني في الاعتناء بعامل السخرة. ويعتقد بيتر بأن الجميع كان يظن بأنها كانت تؤدي مهام للمستشفى.

هذه هي القصة بصورة مبسطة، لكن بيتر طلب مني العودة لرؤيته مرة أخرى، وقد قلت له بأن ذلك يسرني، وطلب مني عدم جلب البراندي. بل طلب مني أن أزوده ببعض المجلات المصورة في حال توفرها لدي، إذ يريد أن يعرف من هي ريتا هيوارث.

مع حبي،

جولييت

* * *

من دوزي إلى جولييت
27 يوليو 1946

عزيزتي جولييت،

بعد قليل سأذهب لإحضار ريمي من النزل، وبما أني أملك بعض الوقت سأكتب لك بضع كلمات.

تبدو ريمي أقوى مما كانت عليه في الشهر المنصرم، لكنها ومع ذلك لا تزال ضعيفة. لقد جذبتني الراهبة توفيير جانبا، وقالت لي بأن علي أن أتأكد من تغذية ريمي وإبقائها دافئة وتجنب ما قد يحزنها. وبأنها يجب أن تكون محاطة بالناس، المرحين منهم إن أمكن.

ولا شك لدي بأن ريمي ستحصل على تغذية جيدة، وأن أميليا ستحرص على أن تبقى دافئة، ولكن كيف لي أن أوفر المرح؟ المزاح وما يشبهه ليس من طبعي. لم أعرف كيف أجيب الراهبة لذا هززت رأسي، وحاولت أن أبدو مرحا. ولا أعتقد بأنني نجحت في ذلك لأن الراهبة رمقتني بنظرة حادة.

على كل حال، سأحاول قدر المستطاع، ولكنك، أنت التي حباك الله بطبيعة مرحة وشعور بالسعادة، ستكونين خير رفيق لريمي. ولا شك لدي بأنها ستتعود عليك كما فعلنا جميعا في الأشهر الماضية، وسيكون لك أثر طيب عليها.

ضمي كيت وقبليها نيابة عني. أراكما يوم الثلاثاء.

دوزي

* * *

من جولييت إلى صوفي
29 يوليو 1946

عزيزتي صوفي،

أرجو أن تتجاهلي كل ما سبق أن قلته عن دوزي آدامز.

أنا مغفلة.

لقد تسلمت للتو رسالة من دوزي يمتدح فيها الخصائص الطيبة لـ «طبيعتي المرحة وشعوري بالسعادة».

طبيعة مرحة؟ شعور بالسعادة؟ لم يهنّي أحد بهذه الصورة من قبل. في قاموسي يعني شعوري بالسعادة أنه لا تفصلني سوى بضع خطوات عن كوني حمقاء. ما أنا إلا مهرج ثرثار مقارنة بدوزي.

كم أشعر بالإهانة، لأنني ما إن بدأت أشعر بقلق الانجذاب له ونحن نتمشى تحت ضوء القمر، كان يفكر في ريمي وكيف ستتسلى بثرثرتي التافهة.

يبدو واضحا أنني كنت مخدوعة، ودوزي لا يهتم بي البتة.

أنا مغتاظة جدا، ولا أستطيع الاستمرار في الكتابة الآن.

مع حبي الدائم،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني

1 اغسطس 1946

عزيزي سيدني،

لقد وصلت ريمي أخيرا. هي صغيرة الحجم ونحيفة بصورة مريعة، بشعر أسود قصير وعينين سوداوين. كنت أتوقع أن تكون مصابة، لكنها لم تكن كذلك، باستثناء عرج بسيط يبدو أن سببه ترددها عندما تمشي، كما أن حركة رقبتها توحي بأنها متصلبة.

لقد جعلتها تبدو كيتيمة مشردة ولكنها ليست كذلك في الحقيقة. قد يتراءى لك ذلك عن بعد، ولكن ليس عن قرب. فيها من الحدة الغامضة ما يثير الأعصاب تقريبا. هي ليست قاسية القلب، إنما هي ودودة بالتأكيد، لكنها تبدو في بعض الأحيان حذرة من العفوية. وأعتقد بأنني لو مررت بتجاربها لكنت مثلها، منعزلة عن الحياة اليومية.

يمكنك نسيان كل ما سبق عندما تكون ريمي مع كيت. في البدء بدت وكأنها تحبذ مراقبة كيت بدلا من التحدث معها، لكن الأمر تغير عندما عرضت عليها كيت أن تعلمها كيف تلثغ في الكلام. بدت ريمي مذهولة للوهلة الأولى، لكنها سرعان ما وافقت على أخذ دروس، وانطلقت مع كيت إلى بيت أميليا الزجاجي الخاص بالنباتات. تبدو لثغة ريمي متأثرة بلهجتها، لكن كيت لم تلمها بسبب ذلك، ووافقت على إعطائها تعليمات إضافية.

أقامت أميليا حفل عشاء صغيرا ليلة وصول ريمي. كان الجميع مؤدبين للغاية، وصلت إيسولا وهي تتأبط زجاجة كبيرة من التونيك، لكنها غيرت رأيها بعد أن رأت ريمي. وقد تمتمت

لي في المطبخ قائلة «قد يقتلها ذلك»، ووضعت الزجاجة في جيب معطفها. صافحها إيلاي بتردد ومن ثم انسحب، أعتقد بأنه كان متخوفا من أن يؤذيها بالخطأ. ولقد سررت لرؤية ريمي مرتاحة مع أميليا، سيتمتعان برفقة بعضهما بلا شك، لكن دوزي هو المفضل لديها. عندما دخل دوزي إلى غرفة المعيشة متأخرا عن الباقين، بدا عليها الارتياح وارتسمت ابتسامة على محياها.

بالأمس كان الجو باردا وضبابيا، ومع ذلك بنينا، أنا وريمي وكيت، قلعة من الرمال على شاطئ إليزابيث الصغير. أمضينا وقتا طويلا في تشييدها، وبدت نموذجا جيدا لبرج. وكنت قد حضّرت ترمسا من الكاكاو، وجلسنا نحتسيه بانتظار أن يرتفع المد ويدمر القلعة.

ركضت كيت على الشاطئ في كل مكان، وهي تحفز الأمواج لتأتي مسرعة. وقد لمست ريمي كتفي وابتسمت قائلة «لا بد أن إليزابيث كانت مثلها في السابق، إمبراطورة البحار». غمرني شعور جميل، فحتى لمسة بسيطة مثل هذه تتطلب الكثير من الثقة، وكنت سعيدة بأنها تشعر بالأمان معي.

وفيما كانت كيت ترقص مع الأمواج، حدثتني ريمي عن إليزابيث، وكيف اتخذت قرارا بألا تتحدّى، وأن تحافظ على ما تبقى لها من قوة لتعود سريعا إلى المنزل بعد الحرب.

«كنا نعتقد بأن ذلك ممكن. عرفنا عن الاجتياح، ورأينا قاذفات القنابل التابعة للحلفاء تحلق فوق المعسكر. وعرفنا بما كان يحصل في برلين. لم يستطع الحراس إخفاء خوفهم منا، وكنا نستلقي كل ليلة بانتظار دخول دبابات الحلفاء من بوابات المعسكر، كنا نهمس لبعضنا بأننا قد نصبح أحرارا في اليوم التالي، لم نصدق بأننا سنموت».

لم يبق الكثير لقوله بعد ذلك، مع أنني كنت أظن أنه لو استطاعت إليزابيث أن تتحمل معاناتها لأسابيع إضافية لأمكنها العودة إلى الوطن لتكون بجانب كيت. لماذا، لماذا، عندما اقتربت محنتها من نهايتها هاجمت المراقب؟

راقبت ريمي البحر وهو يشهق ويزفر. ثم قالت: «كان أفضل لها ألا يكون لها مثل هذا القلب».

نعم، ولكن ذلك سيكون أسوأ بالنسبة لنا.

وارتفع المد وعلت الهتافات والصرخات وتلاشت القلعة.

مع حبي،
جولييت

* * *

من إيسولا إلى سيدني

1 اغسطس 1946

عزيزي سيدني،

أنا سكرتيرة جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا، وقد اعتقدت بأنك ترغب بإلقاء نظرة على نموذج من محاضر اجتماعات الجمعية بما أنك مهتم بكل ما تهتم به جولييت. وأنا أرفقها في ما يلي:

30 يوليو 1946، الساعة السابعة والنصف مساء..

الليل بارد. البحر هائج. المضيف هو ويل ثيسبي. بيته خالٍ من الغبار، ولكن الستائر بحاجة إلى تنظيف. قرأت السيدة وينسلو

دوبس فصلا من سيرتها الذاتية: حياة وغراميات دليلا دوبس. الحضور منتبهون لكنهم لجؤوا إلى الصمت بعد ذلك، باستثناء وينسلو التي تريد أن تحصل على الطلاق.

شعر الجميع بالحرج، فقامت جولييت وأميليا بتقديم الكعكة التي قامتا بتحضيرها سابقا، وهي كعكة رائعة مزينة بالشرائط، وقدمتاها على أطباق من الخزف الصيني، وهو شيء لا نقوم به في العادة.

ومن ثم نهضت الآنسة ماينور لتسأل إذا ما كنا جميعا سنصبح كتّابا، فهل تستطيع القراءة من كتاب من بنات أفكارها؟ وعنوان كتابها هو الكتاب المألوف لماري مارغريت الصغيرة.

كان الجميع على علم بآراء ماري فيما يتعلق بكل شيء، لكنهم أجابوها بالموافقة، لأننا جميعا نحب ماري. وتدخَّل ثيسبي ليقول إن ذلك ربما يكون أمرا جيدا، فتقوم ماري بالإشراف على تحرير كتابها بنفسها، وهو أمر لا تفعله عندما تتحدث.

واقترحت أن نعقد اجتماعا خاصا في الأسبوع المقبل كي لا أضطر إلى الانتظار للتحدث عن جاين أوستن. وقد أيد دوزي ذلك. وبعد أخذ موافقة الجميع، تم فضّ الاجتماع.

الآنسة إيسولا بريبي،

السكرتيرة الرسمية لجمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا

وبما أني الآن السكرتيرة الرسمية، أستطيع قبولك كعضو في الجمعية إذا ما رغبت بذلك، مع أن ذلك مخالف للقوانين لأنك لست من سكان الجزيرة. لكنني أستطيع أن أقوم بذلك سرا.

صديقتك،

إيسولا

* * *

من جوليت إلى سيدني
3 أغسطس *1946*

عزيزي سيدني،

أحدهم، ولا أستطيع تخيل من يكون، أرسل هدية إلى إيسولا من ستيفنز وستارك، نشرت في منتصف القرن التاسع عشر، وهو كتاب بعنوان كتاب التعليم الذاتي المصور الجديد في علم فراسة الدماغ[41] والطب النفسي، مع جداول الحجم والشكل وأكثر من مئة رسم توضيحي، وإذا لم تكفك هذه المعلومات، فالعنوان الفرعي هو: علم فراسة الدماغ: علم تفسير نتوءات الرأس.

في الليلة الماضية دعاني إيبين إلى العشاء أنا وكيت ودوزي وإيسولا وويل وأميليا وريمي. حضرت إيسولا ومعها طاولات ورسومات وورق رسم شفاف وشريط للقياس وفرجار ودفتر ملحوظات جديد. ومن ثم تنحنحت وقرأت الإعلان المنشور على الصفحة الأولى «أنت أيضا تستطيع قراءة إصابات الرأس! أدهش أصدقاءك، وأرهب أعداءك بالمعرفة المطلقة عن قدراتهم البشرية أو انعدامها».

ألقت بالكتاب على الطاولة قائلة: «سأصبح متمكنة من الموضوع في الوقت المناسب لمهرجان الحصاد».

(41) هو نوع من الطب الزائف الذي يستند إلى مفهوم أن الدماغ هو العضو المسؤول عن العقل.. وأن بعض مناطق الدماغ لها وظائف محلية. طور هذا الطب الألماني فرانز جوزيف غال في العام 1796، لكنه ابتعد فيما بعد عن العلم تماما. وفيه ينقسم الرأس إلى 27 منطقة كل منها مسؤول عن جانب من حياة الإنسان، ويتم قياس حجم الجمجمة وكل منطقة ومساحتها وفق تقسيمات محددة يشير كل منها إلى ميزة في شخصية المرء. وأي تغيير في تفاصيل الرأس، أو وجود نتوءات فيه يستوجب البحث عن السبب.

وكانت قد أبلغت القسيس آلستون بأنها ستتوقف عن ارتداء الأوشحة والادعاء بأنها تستطيع قراءة الكف، لأنها من الآن فصاعدا ستقوم بقراءة المستقبل بطريقة علمية عبر قراءته من نتوءات الرأس. وستجمع الكنيسة أموالا من نتوءات الرأس أكثر مما تجمعه الآنسة سيبيل بيدوز من كشكها، «فز بقبلة من سيبيل بيدوز».

وافقها ويل الرأي، فالآنسة بيدوز لا تتقن التقبيل، ولقد مل من تقبيلها حتى لو كان ذلك من أجل جمعية «سويت تشاريتي - Sweet Charity» الخيرية.

هل تعلم يا سيدني ما الذي تسببت في إطلاق العنان له في غيرنزي؟ لقد بدأت إيسولا بقراءة النتوءات على رأس سينغلتون (كشكه يحاذي كشكها في السوق) وأخبرته بأن نتوء رأسه الذي يوضح عن حبه للمخلوقات مصاب بفجوة خفيفة في وسطه، وأنه لذلك لا يقوم بإطعام كلبه بما فيه الكفاية.

هل ترى إلى أين يمكن أن يؤدي ذلك؟ يوما ما ستجد شخصا مصابا بعقدة قاتل مستترة، وسيطلق النار عليها، إذا لم تسبقه الآنسة بيدوز إلى فعل ذلك.

لكن شيئا جميلا غير متوقع نتج عن هديتك. فبعد أن قامت إيسولا بقراءة النتوءات على رأس إيبين، أملت علي القياسات لتسجيلها. رمقت ريمي وهي تنظر إلى شعر إيبين وإيسولا تنبش فيه. حاولت ريمي أن تكظم ابتسامتها لكنها لم تستطع، فانفجرت ضاحكة. لقد تجمدنا أنا ودوزي في أماكننا وحدقنا بها!

هي هادئة جدا في العادة، ولم يكن أي منا يتخيل هذه الضحكة منها. كانت ضحكة نقية كالماء. أتمنى أن أسمع ضحكتها مرة اخرى.

لم نعد أنا ودوزي كما كنا سابقا، على الرغم من أنه ما زال يأتي في كثير من الأحيان لزيارة كيت أو لجلب ريمي لزيارتنا. سماع ضحكة ريمي هو ما أدى لتلاقي نظراتنا بعد انقطاع لفترة طويلة. ولكن ربما كان معجبا بأثر طبيعتي المرحة عليها. هل كنت تعلم يا سيدني أنني، وبحسب ما يعتقده بعض الأشخاص، أملك طبيعة مرحة؟

أرسل بيلي بي نسخة من مجلة سكرين جمز (لآلئ الشاشة) إلى بيتر، وقد تضمنت مقالة مصورة عن ريتا هيوارث، ولقد سر بيتر من ذلك، لكنه تعجب من صورة الآنسة هيوارث وهي تقف أمام المصور برداء النوم! راكعة على السرير! ما الذي يحدث في العالم؟

قل لي يا سيدني، ألم تتعب بيلي بي من إرسالها في مهمات شخصية لي؟

مع حبي،

جولييت

* * *

من سوزان سكوت إلى جولييت

5 أغسطس 1946

عزيزتي جولييت،

تعلمين بأن سيدني لا يحتفظ برسائلك مضمومة إلى قلبه بل يتركها مفتوحة على مكتبه فيراها الجميع، ولذلك بالطبع أقوم أنا بقراءتها.

أكتب لك لأطمئنك بشأن المهمات التي تقوم بها بيلي بي، لكوني على يقين بأن سيدني لا يطلب منها ذلك. والواقع أنها هي من تتوسل لكي تقوم بأي خدمة صغيرة له ولك ول «تلك الفتاة العزيزة». فهي تتحدث إليه بتودد تقريبا، وأكاد أتقيأ عليها تقريبا وهي ترتدي قبعة صغيرة من صوف الأنجورا مع ربطة عنق من النوع الذي تتزلج سونيا هيني وهي ترتديه. هل أنا بحاجة إلى قول المزيد؟

أيضا، وعلى عكس ما يعتقده سيدني، فهي ليست ملاكا مرسلا من السماء، بل من وكالة توظيف. ومن المفترض أن تكون وظيفتها مؤقتة، لكنها أنشبت أظفارها فيها، وهي الآن دائمة ولا يمكن التخلي عنها. هل تستطيعين التفكير في حيوان حي من غالاباكوز ترغب كيت بالحصول عليه؟ ستبحر بيلي بي في الفرصة المناسبة التالية لتحصل عليه، وستختفي لعدة أشهر. وربما تختفي إلى الأبد إذا ما التهمها أحد الحيوانات هناك.

تمنياتي الخالصة لك ولكيت،

سوزان

* * *

من إيسولا إلى سيدني

5 أغسطس 1946

عزيزي سيدني،

أعلم بأنك أنت من أرسل كتاب التعليم الذاتي المصور الجديد في علم فراسة الدماغ والطب النفسي: مع جداول الحجم والشكل

وأكثر من مئة رسم توضيحي. إنه كتاب مفيد جدا، وأشكرك على إرساله. لقد كنت أدرس بجد، وأستطيع الآن أن أتلمس نتوءات لا تحصى دون الحاجة إلى النظر في الكتاب إلا ثلاث أو أربع مرات. أتمنى أن أصنع ثروة للكنيسة في مهرجان الحصاد، فمن ذا الذي لا يرغب بأن يتم الكشف عن خبايا نفسه، الجيدة والفاسدة، عن طريق علم فراسة الدماغ؟ لا أحد، هذه هي الإجابة.

إن علم فراسة الدماغ هو صاعقة برق. فقد تعلمت في الأيام الثلاثة الماضية ما لم أتعلمه في حياتي كلها. كانت السيدة غيلبرت إنسانة بغيضة دائما، لكنني الآن أفهم بأن ذلك ليس مقصودا. فهي لديها فجوة كبيرة في المنطقة الخاصة بنزعة الخير في دماغها. لقد سقطت في مقلع الحجارة عندما كانت طفلة، وباعتقادي شرخت تلك البقعة ولم تعد إلى ما كانت عليه أبدا.

حتى أصدقائي أصبحوا مليئين بالمفاجآت. إيبين ثرثار! لم أفكر بذلك سابقا، لكن لديه جيوب تحت عينيه ولا يختلف اثنان في تفسير ذلك. لقد أبلغته بالأمر بلطف. لم ترغب جولييت بأن أقوم بقراءة نتوءاتها في البدء، لكنها وافقت بعد أن أبلغتها بأنها تقف في طريق العلم. جولييت مغمورة بحماسة اليقظة، وكذلك حب الزوجية. لقد أخبرتها بأنه من الغريب أنها غير متزوجة، فهي لديها نتوءات عظيمة في ذلك الاتجاه.

أما ويل فيقهقه قائلا: «سيد ستارك سيكون محظوظا يا جولييت!» فاحمر وجه جولييت خجلا، وشعرت بالرغبة في إخباره بأنه لا يعلم شيئا، فستارك ذو ميول جنسية منحرفة، لكنني تمالكت نفسي وحافظت على سرك كما وعدتك.

أما دوزي فقد نهض وخرج، فلم أتوصل لوضع يدي على

نتوءاته إلى الآن، لكنني سأفعل ذلك قريبا. أعتقد بأنني لا أفهم دوزي في بعض الأحيان. كان ثرثارا لفترة طويلة، لكنه لم يعد ينطق بالكثير منذ فترة.

أشكرك مرة أخرى على الكتاب الجيد.

صديقتك،

إيسولا

* * *

برقية من سيدني إلى جولييت

6 أغسطس 1946

لقد اشتريت مزمارا صغيرا لدومينيك من محل غونتر بالأمس. هل ترغب كيت بالحصول على واحد أيضا. أخبريني بأسرع وقت ممكن، لأنه لم يتبق لديهم سوى واحد. ما أحوال الكتابة لديك؟ مع حبي لك ولكيت. سيدني

* * *

من جولييت إلى سيدني

7 أغسطس 1946

عزيزي سيدني،

ستسر كيت للحصول على المزمار، على عكسي أنا.

العمل يسير بشكل رائع على ما أعتقد، ولكنني أفضّل أن أرسل لك الفصلين الأولين إذ لن أشعر بالراحة إلا حين تقرؤهما أنت. هل لديك الوقت لذلك؟

يجب كتابة كل سيرة في خلال جيل واحد من حياة الشخص المعني، أي في الوقت الذي لا يزال بعض الأحياء يتذكرونه. تخيل ما كنت أستطيع فعله لآن برونتي لو كان باستطاعتي التحدث مع جيرانها. ربما لم تكن خنوعة وكئيبة. ربما كانت تتمتع بمزاج حاد وتصرخ وتكسر الفخاريات بشكل دائم مرة في كل أسبوع.

في كل يوم أتعرف على جانب جديد من حياة إليزابيث. كم أتمنى لو تعرفت عليها شخصيا! وفيما أنا أكتب، أجد نفسي أفكر فيها كصديقة، وأتذكر الأشياء التي قامت بها وكأنني كنت معها. إنها مليئة بالحياة ويجب أن أذكّر نفسي بأنها قد ماتت، وعندها أشعر بالألم يعتصر قلبي مرة أخرى.

اليوم سمعت قصة عنها، جعلتني أشعر بالحاجة للاستلقاء والنحيب. كنا قد انتهينا من العشاء مع إيبين، وخرج إيلاي مع كيت للبحث عن ديدان الأرض (وهو عمل يفضل القيام به تحت ضوء القمر). أنا وإيبين أخذنا قهوتنا إلى الخارج، وهنا اختار إيبين للمرة الأولى أن يحدثني عن إليزابيث.

حدثت القصة في المدرسة التي جمع الأطفال فيها بانتظار السفن القادمة لإجلائهم. ولم يكن إيبين هناك، فلم يسمح للعائلات بالحضور، لكن إيسولا رأت ما حصل، وإخبرت إيبين عن ذلك في تلك الليلة.

قالت إن الغرفة كانت مليئة بالأطفال وكانت إليزابيث تقوم بتزرير معطف إيلاي، عندما أخبرها بأنه خائف من صعود المركب والابتعاد عن أمه ومنزله. وتساءل إذا قصفت السفينة فلمن سيقول

وداعا؟ وتقول إيسولا إن إليزابيث أخذت وقتها في التفكير وكأنها كانت تتمحص في سؤاله. ومن ثم نزعت كنزتها وسحبت من قميصها دبوسا، هو ميدالية والدها من الحرب الأولى وكانت ترتديها دائما.

أمسكت الميدالية بين يديها وشرحت لإيلاي بأنها شارة سحرية تحمي من يلبسها من السوء. ومن ثم طلبت من إيلاي أن يبصق عليها مرتين ليتم تفعيل السحر. وقد رأت إيسولا وجه إيلاي وهو يضم إليزابيث، وأخبرت إيبن بأنه كان مشرقا جميلا كما تبدو عليه وجوه الأطفال قبل أن يبلغوا سن الإدراك.

من بين كل الأشياء التي حصلت في الحرب، يبقى إبعاد الأطفال عن أهليهم للحفاظ على حياتهم من أفظع الأشياء التي حدثت. لا أعلم كيف استطاعوا تحمّل ذلك، فهو ينافي الغريزة الطبيعية لحماية الصغار. أجد نفسي أصبح كالدبة عندما يتعلق الأمر بكيت. وحتى عندما لا أكون أراقبها، فأنا أراقبها. وإذا ما تعرضت لأي نوع من الأخطار (وهي عادة ما تتعرض بسبب هواية التلسق التي تعشقها) يتملكني الغضب، وهو ما لم أكن أعرفه من قبل، وأركض لنجدتها. عندما رماها عدوها، ابن أخ الكاهن، بالخوخ، صحت عليه غاضبة. وعن طريق حدس غريب أعلم أين هي كما أعلم أين هما يداي، وإذا لم أعلم أين هي ينتابني القلق. أعتقد بأن المخلوقات تحافظ على بقائها بهذه الطريقة، لكن الحرب أفسدت ذلك. كيف عاشت الأمهات في غيرنزي دون أن يعلمن بمكان أطفالهن؟ لا أستطيع أن أتخيل ذلك.

مع حبي،

جولييت

ملحوظة: ما رأيك بشراء ناي؟

* * *

من جولييت إلى صوفي
9 أغسطس 1946

عزيزتي صوفي،

يا لها من أخبار رائعة، طفل جديد! رائع! أتمنى ألا تضطري لأكل البسكويت الجاف ومص الليمون هذه المرة. أنا أعلم بأنكما لا تهتمان بمعرفة جنس الطفل، لكنني أود أن تكون فتاة هذه المرة. لذلك أقوم بحياكة معطف وقبعة صغيرة من الصوف الوردي. بالطبع ألكساندر سعيد ولكن ماذا عن دومينيك؟

أبلغت إيسولا بأخبارك، وأخشى أن ترسل لك زجاجة من شراب ما قبل الولادة. صوفي أرجوك لا تشربي منها ولا ترميها في مكان تستطيع الكلاب أن تشرب منه. لا يوجد شيء سام في شرابها لكنني أفضل ألا تجازفي.

أسئلتك عن دوزي موجهة إلى الشخص الخطأ. أقترح أن توجهيها إلى كيت أو ريمي. فأنا بالكاد أراه، وعندما أراه يكون صامتا. ولا أعني أنه صامت بطريقة رومانسية مهيبة مثل سيد روتشيستر، ولكن بطريقة جدية ورزينة توحي بالاستنكار. لا أعلم ما المشكلة، حقا لا أعلم. كان دوزي صديقي عندما وصلت إلى غيرنزي. كنا نتحدث عن تشارلز لام ونسير في أنحاء الجزيرة، وتمتعت برفقته أكثر مما تمتعت برفقة أي إنسان آخر. ولكن بعد تلك الليلة المريعة عند الجرف، توقف عن الكلام معي بأي شكل. يا لها من خيبة أمل مريعة. أشتاق لذلك الشعور بأننا نفهم بعضنا، ولكنني بدأت أعتقد بأن ذلك كان وهما.

وبما أنني لا أصمت، فأنا فضولية في ما يتعلق بالأشخاص

الصامتين. وبما أن دوزي لا يتكلم عن نفسه ولا يتكلم بالمرة معي، فقد اكتفيت بسؤال إيسولا عن نتوءات رأسه للحصول على معلومات عن ماضيه. لكن إيسولا أصبحت تشكك في صحة ما تخبرها به النتوءات، وقالت إن النتوء الذي يؤدي إلى العنف في رأس دوزي ليس كبيرا كما يجب، وبخاصة أن دوزي ضرب إيدي ميرز فكاد يقتله!!

علامات التعجب تلك تأتي مني. إيسولا لم تجد ذلك مهما البتة.

يبدو أن إيدي ميرز كان ضخما ولئيما وزود وباع وتاجر بالمعلومات للسلطات الألمانية مقابل الحصول على خدمات منهم. وقد علم الجميع بذلك، إذ لم يبد أنه كان يأبه بذلك، لأنه كان يذهب إلى الحانة ويتباهى بثروته الجديدة: رغيف خبز، سجائر وجوارب حريرية كان يقول عنها بأنها كافية للحصول على امتنان أي فتاة في الجزيرة.

بعد أسبوع من اعتقال إليزابيث وبيتر كان إيدي يتباهى بعلبة سجائر فضية مشيرا إلى أنه حصل عليها كمكافأة مقابل تقديم معلومات عن شيء رآه يحصل في منزل بيتر سوير.

وقد نما ذلك إلى علم دوزي الذي اتجه إلى حانة إيدي المجنون في تلك الليلة. ويبدو بأنه دخل إلى الحانة متوجها إلى إيدي ميرز ورفعه عن كرسيه من قبة قميصه وبدأ يضرب رأسه على الطاولة. وبين كل مرة يهوي برأسه على الطاولة كان يناديه بالقاذورة الصغيرة، ومن ثم رماه إلى الأرض واستمر بضربه.

وبحسب ما أخبرتني به إيسولا، فإن دوزي كان في حالة يرثى لها. فقد كانت الدماء تسيل من أنفه وفمه وتورمت عينه

وكسر أحد أضلاعه، لكن حالته لا يمكن مقارنتها بحالة إيدي ميرز الأسوأ؛ فقد تورمت عيناه، وكسرت له ضلعان، واحتاج أحد جروحه إلى غرز. حكمت المحكمة على دوزي بالسجن ثلاثة أشهر في سجن غيرنزي، ولكنهم أطلقوا سراحه بعد شهر من ذلك. إذ احتاج الألمان للمكان الذي كان يشغله لسجن مجرمين أكثر خطرا منه، مثل تجار السوق السوداء واللصوص الذين سرقوا الوقود من شاحنات الجيش.

وقالت إيسولا: «ومنذ ذلك اليوم عندما يرى إيدي ميرز دوزي داخلا إلى حانة إيدي المجنون، يفقد تركيزه ويندلق كأس بيرته، وبعد خمس دقائق يتسلل خارجا من الباب الخلفي».

بالطبع، أصبحت متشوقة لمعرفة المزيد، وبما أنها لم تعد تهتم بحقائق النتوءات، انتقلت إيسولا إلى الحقائق الواقعية.

لم يتمتع دوزي بطفولة سعيدة. فقد توفي والده وهو في عمر الحادية عشرة، أما والدته السيدة آدامز فقد كانت متوعكة دائما، وبدأت تتصرف بغرابة. فبدأت تشعر بالرهبة من الذهاب إلى المدينة، ومن ثم بدأت تخاف من الخروج إلى حديقتها، وفي النهاية لم تعد تغادر منزلها. كانت تجلس في مطبخها على كرسيها الهزاز، تحدق في الفراغ. وقد توفيت قبل بدء الحرب بقليل.

تقول إيسولا إن ذلك كله، والدته وانشغاله بالزراعة وتأتأته بصورة سيئة في فترة ما، جعل من دوزي شخصا خجولا ليس له من صديق سوى إيبين. أما إيسولا وأميليا فقد كانا من معارفه فقط.

استمرت الأمور على هذا النحو إلى أن أتت إليزابيث ودفعته ليصبح صديقا، ودفعته بكل ما للكلمة من معنى ليصبح عضوا

في جمعية الأدب. وأخبرتني إيسولا بأنه تطور! فقد أصبحت لديه كتب يتحدث عنها بدلا من حمى الخنازير، وأصدقاء يتحدث معهم كذلك. وكلما زاد كلامه قلت التأتاة.

إنه مخلوق غامض، أليس كذلك؟ ربما هو مثل سيد روتشستر، ويعاني من حزن خفي أو زوجة مجنونة تقبع في قبوه. كل شيء ممكن، كما أعتقد، لكنه من الصعب تغذية زوجة مجنونة بقسيمة غذائية لشخص واحد في فترة الحرب. آه، لكم أتمنى لو عدنا أصدقاء، (أنا ودوزي، وليست الزوجة المجنونة).

كنت أنوي أن أخص دوزي بجملة مقتضبة أو اثنتين، لكنني أرى الآن أن الحديث عنه استهلك عدة صفحات. يجب أن أسرع الآن لأبدو لائقة لحضور اجتماع الجمعية الليلة. لا أملك سوى تنورة واحدة، وأشعر بأنني أصبحت تعوزني الأناقة مؤخرا. ريمي، على الرغم من نحولها وهشاشتها، تبدو أنيقة دائما. ما الذي يجعل الفرنسيات كذلك؟

المزيد يأتيك قريبا.

مع حبي،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني
11 أغسطس 1946

عزيزي سيدني،

أنـا سـعيدة لأنـك مـسرور بالتقـدم الـذي أحرزتـه بالعمـل عـلى سـيرة إليزابيـث. لكننـي سـأتطرق إلى ذلـك لاحقـا، أريـد مشـاركتك بخـبر لا يسـتطيع الانتظـار. بالـكاد أسـتطيع أن أصـدق مـا حـدث، لكنـه صحيـح، لأننـي رأيتـه بـأم عينـي.

إذا مـا كنـت عـلى حـق، فـإن سـتيفنز وسـتارك سـيقومان بانقـلاب القـرن في عـالم النـشر. سـتكتب الأبحـاث وتـوزع الدرجـات العلميـة وسـيحج الباحثـون مـن الجامعـات إلى إيسـولا، فضـلا عـن المكتبـات وهـواة جمـع التحـف فاحـشي الـثراء مـن النصـف الغـربي للكـرة الأرضية.

إليـك الحقائـق: كان مـن المفـترض أن تتحـدث إيسـولا في اجتـماع الأمـس في الجمعيـة عـن روايـة جـين أوسـتن الكبريـاء والهـوى، لكـن إيريـال قطتهـا أكلـت تعليقاتهـا التـي دونتهـا قبيـل العشـاء. بـدل ذلـك وبعجلـة يائسـة، أمسـكت إيسـولا بعـض الرسـائل الموجهـة لجدتهـا العزيـزة فـين (اختصـار لجوزفـين). وقـد شـكلت هـذه الرسـائل، عـلى نحـو مـا، قصـة.

عندمـا سـحبت الرسـائل مـن جيبهـا ورآهـا ويـل ثيسـبي مغلفـة بالحريـر الـوردي ومربوطـة بعقـدة مـن السـاتان، صرخ قائلا «رسـائل حـب، يـا إلهـي، هـل سـيتم الإفصـاح عـن أسرار؟ خصوصيـات؟ هـل يتوجـب عـلى الرجـال تـرك القاعـة؟».

طلبـت منـه إيسـولا أن يصمـت ويجلـس. قالـت إنهـا رسـائل موجهـة إلى جدتهـا فـين مـن رجـل لطيـف جـدا وغريـب عندمـا كانـت

طفلة صغيرة. لقد خبأتها الجدة في علبة بسكويت صغيرة، ولطالما قرأتها على إيسولا كقصص ما قبل النوم.

هناك ثماني رسائل يا سيدني، ولن أحاول وصف محتوياتها لك، لأنني سأفشل فشلا ذريعا.

أخبرتنا إيسولا بأنه عندما كانت جدتها في التاسعة من العمر قام أبوها بإغراق قطتها. وكما يبدو فإن القطة مافين تسلقت الطاولة ولحست صحن الزبدة. وكان ذلك كافيا بالنسبة لوالد فين المتوحش، لأن يأخذ مافين ويضعها في كيس خيش، ويضيف بعض الحجارة ومن ثم يرمي الكيس في المحيط. وعندما قابل فين وهي في طريق عودتها من المدرسة، أخبرها بما فعل وأنه أحسن بالتخلص منها.

ومن ثم توجه إلى الحانة تاركا فين واقفة في وسط الطريق تبكي بكاء مريرا.

وكادت عربة تقترب مسرعة أن تدهسها في مكانها، فنهض الحوذي من مقعده وبدأ بتأنيبها. لكن رجلا ضخما في معطف أسود وياقة من الفراء قفز من العربة وأمر الحوذي بأن يصمت، وانحنى باتجاه فين وسألها إذا ما كان بإمكانه مد يد المساعدة.

قالت له الجدة فين لا لا لا يوجد من يمكنه أن يساعدها، لأن قطتها ماتت! وبأن والدها قام بإغراق مافين، وأن مافين الآن قد فارقت الحياة وذهبت إلى الأبد.

لكن الرجل قال «لم تمت مافين بالطبع فأنت تعلمين بأن للقطط تسع أرواح، أليس كذلك؟ وعندما أجابت فين بنعم، وبأنها سمعت عن ذلك من قبل، قال الرجل: كما أنني أعلم بأن مافين كانت في حياتها الثالثة لذا فهي لا تزال تملك ست أرواح».

فسألته فين كيف يعلم بذلك. قال إنه يعلم فقط، وإن تلك قدرة خلقت معه، ولم يعرف كيف أو لماذا، ولكن القطط كانت تتواصل معه دوما، ليس عن طريق الكلمات بل باستخدام الصور.

ومن ثم جلس إلى جانبها على قارعة الطريق، وطلب منها البقاء هادئة، لكي يرى إذا ما كانت مافين ترغب بالتواصل معه. وبعد دقائق من الصمت أمسك الرجل بيد فين فجأة!.

«آه، نعم! ها هي! إنها تولد في هذه اللحظة! في عزبة، لا بل في قصر. أعتقد بأنها في فرنسا، نعم، هي في فرنسا. وهناك صبي صغير يربت عليها ويمرر يديه على شعرها. وقد أحبها ويا للغرابة سيطلق عليها اسم صولانج. وهو اسم غريب لقطة. وستعيش حياة طويلة مليئة بالمغامرات المحببة. أستطيع أن أقول لك إن لدى صولانج روحا عظيمة وحيوية مطلقة. أرى ذلك الآن».

وقد أخبرت الجدة فين إيسولا بأنها توقفت عن البكاء لإحساسها بالنشوة بمصير مافين الجديد. ولكنها أخبرت الرجل بأنها ستشتاق إلى مافين على الرغم من ذلك. وقد ساعدها الرجل على الوقوف قائلا إنها ستشتاق لقطتها بالطبع، وإنها يجب أن تفجع على قطة جميلة مثل مافين، وإنها ستحزن لفترة من الزمن.

ولكنه سيقوم بالاتصال بصولانج من وقت لآخر ليطمئن عليها ويطلع على أحوالها. وطلب من الجدة فين أن تعطيه اسمها واسم المزرعة التي تعيش فيها، ودوّن أجوبتها بقلم رصاص فضي في دفتر ملحوظات صغير، وأبلغها بأنها ستسمع منه، ومن ثم قبّل يدها وعاد إلى عربته وغادر.

وعلى الرغم من غرابة الموضوع يا سيدني، لكن الجدة فين تسلمت رسائل. ثماني رسائل طويلة على مدى عام، وقد تكلمت

كلها عن حياة مافين كصولانج القطة الفرنسية. وكما يبدو كانت قطة شبيهة بالفرسان الثلاثة. ولم تكن قطة خاملة تمضي وقتها على الوسائد وتلعق الكريمة، بل كانت تنتقل من مغامرة إلى أخرى، وكانت القطة الوحيدة التي أعطيت وسام الوردة الحمراء من فيلق الشرف.

يا لها من قصة ألفها ذلك الرجل لفين، إنها قصة حيوية ومرحة ومليئة بالدراما والتشويق. أستطيع أن أخبرك بالأثر الذي تركته تلك الرسالة علي وعلى الجميع. لقد جلسنا كالمسحورين. حتى إن ويل بقي واجما من شدة انبهاره بالقصة.

ولكن إليك الخبر الأهم الذي يجعلني بحاجة إلى رأس عاقل ومستشار واع. عندما انتهى البرنامج (بكثير من التصفيق) طلبت من إيسولا أن تريني الرسائل وقد أعطتني إياها.

سيدني لقد وقع الكاتب رسائله بقدر كبير من التأنق: المخلص لك جدا، و. ف. و. ف. و. و.

سيدني هل يعقل ذلك؟ هل يعقل أن تكون إيسولا قد ورثت ثماني رسائل كتبها أوسكار وايلد؟ يا إلهي، أنا لا أستطيع أن أتمالك نفسي من الدهشة.

أنا أصدق ذلك لأنني أريد أن أصدق ذلك، ولكن هل سبق أن زار أوسكار وايلد غيرنزي قط؟ بوركت سبيرانزا لمنحها ابنها اسما سخيفا مثل أوسكار فينغال أوفلاهيريت ويلز وايلد.

كتبت لك هذه الرسالة بسرعة ودون تروٍّ وبحب، أرجو أن تقدم لي النصح بسرعة لأنني أعاني من صعوبة في التنفس.

جولييت

* * *

رسالة ليلية من سيدني إلى جولييت

13 أغسطس 1946

فلنصدق ذلك! لقد أجرت بيلي بعض الأبحاث واكتشفت أن أوسكار وايلد قد زار جيرزي لمدة أسبوع في العام 1893. لذا من الممكن أنه ذهب إلى غيرنزي في ذلك الوقت. سيصل إلى غيرنزي يوم الجمعة خبير الخطوط المعروف السير وليام أوتيس، ومعه بعض رسائل أوسكار وايلد من المجموعة الخاصة بجامعته. حجزت له غرفا في فندق رويال. هو رجل محترم ولا أعتقد أنه يرغب بأن تجثم الببغاء زنوبيا على كتفه.

وفي حال وجد ويل ثيسبي الكأس المقدسة في مخزن خردواته، فأتمنى ألا تخبريني بذلك لأن قلبي ما عاد يحتمل المزيد.

حبي لك، ولكيت وإيسولا،

سيدني

* * *

من إيسولا إلى سيدني

14 أغسطس 1946

عزيزي سيدني،

تقول جولييت إنك سترسل خبيرا في الخطوط ليلقي نظرة على رسائل الجدة فين، ليقرر ما إذا كان كاتبها أوسكار وايلد. وأنا أراهن بأنه هو من كتبها، وحتى لو لم يكن هو الكاتب، فأنا

أعتقد بأنك ستعجب بقصة صولانج. لقد أعجبتني أنا وكيت، وأنا أعلم بأنها أعجبت الجدة فين. ستتقلب سعيدة في قبرها لعلمها بأن الفرصة أتيحت للكثير من الناس للتعرف على ذلك الرجل اللطيف وأفكاره المرحة.

أخبرتني جولييت بأنه لو اتضح بأن سيد وايلد هو كاتب تلك الرسائل، فإن العديد من الأساتذة والمدارس والمكتبات سيرغبون بامتلاك الرسائل، وسيدفعون لي أموالا طائلة بالمقابل. سيتأكدون من وضع الرسائل في أماكن آمنة وجافة، وعلى الأرجح مبردة.

أنا أقول لا لكل ذلك! تلك الرسائل آمنة وجافة وباردة كما هي الآن. لقد حفظتها جدتي في علبة بسكويت وستبقى في علبة البسكويت. وبالطبع يستطيع كل من يرغب برؤيتها أن يأتي لزيارتي هنا، وسأسمح له بإلقاء نظرة عليها. تقول جولييت إن العديد من الباحثين سيأتون على الأرجح، سيكون ذلك أمرا لطيفا لي ولزنوبيا لأننا نحب الصحبة.

إذا رغبت في الحصول على الرسائل من أجل تأليف كتاب، فلك هذا، ولكنني أتمنى أن تسمح لي بكتابة ما تطلق جولييت عليها المقدمة. فأنا أرغب بالكتابة عن الجدة فين، وأملك صورة لها مع مافين بجانب المضخة. أخبرتني جولييت عن الأتعاب الأدبية وهكذا أستطيع شراء دراجة نارية مع عربتها الجانبية، توجد دراجة مستعملة حمراء اللون معروضة للبيع في كراج لينوكس.

صديقتك،

إيسولا بريبي

* * *

من جولييت إلى سيدني
18 أغسطس 1946

عزيزي سيدني،

حضر السير وليامز وذهب. وقد دعتني إيسولا لحضور التدقيق، وبالطبع اغتنمت تلك الفرصة. في تمام الساعة التاسعة ظهر السير وليامز على عتبة باب المطبخ. وقد ارتبكت لمنظره في بدلته الرسمية السوداء، فماذا لو كانت رسائل الجدة فين مجرد عمل فلاح متأنق؟ ما الذي سيفعله السير وليامز بنا وبك بسبب تبديدنا لوقته؟

جلس بين حزم نبات الشوكران والزوفا، ونظف يديه بمنديل ناصع البياض، ومن ثم وضع عدسة مكبرة على عينه وسحب ببطء شديد أول رسالة من علبة البسكويت.

تبع ذلك فترة صمت طويلة. وتبادلنا أنا وإيسولا النظرات. ومن ثم أخذ السير وليامز رسالة أخرى من العلبة، وحبسنا أنا وإيسولا أنفاسنا فيما تنهد السير وليامز. ارتجفنا أنا وإيسولا وهمهم السير وليامز. هززنا رؤوسنا مشجعين، لكن ذلك لم يأت بنتيجة، إذ حلت فترة جديدة من الصمت، بدت كأسابيع طويلة.

ومن ثم نظر إلينا وأومأ برأسه.

وقلت وأنا بالكاد أستطيع التنفس «نعم؟».

أجاب السير وليامز وهو ينظر إلى إيسولا مع انحناءة بسيطة: «سيدتي، يسرني أن أخبرك بأنك تمتلكين ثماني رسائل كتبها أوسكار وايلد».

«يا إلهي!» صرخت إيسولا، وتحركت متجهة نحو السير وليامز وضمته إلى صدرها بشدة. بدا عليه الذهول في البدء، لكنه عاد وابتسم وربّت على ظهرها.

أخذ السير وليامز معه رسالة ليعرضها على خبير آخر، لكنه قال بأن ذلك لمجرد العرض لأنه متأكد من أن أوسكار وايلد كتب تلك الرسائل.

ربما لن يخبرك بأن إيسولا أخذته في دورة تجريبية على دراجة لينوكس النارية. قادت الدراجة فيما جلس هو في المقعد الجانبي، وحطت الببغاء زنوبيا على كتفه. وقد تمت مخالفتهما وحصلا على مذكرة استدعاء للمحكمة بسبب القيادة بتهور، ووعد السير وليامز إيسولا بأنه سيسدد المخالفة. وكما تقول إيسولا فإنه رياضي جيد، على الرغم من كونه خبير خطوط مشهورا.

لكنه ليس بديلا عنك. متى ستأتي بنفسك لرؤية الرسائل، وعرضا، رؤيتي أنا أيضا؟ سترقص كيت فرحا وأنا كذلك دون أي صعوبة، لا أزال قادرة على القيام بذلك، كما تعلم.

ولأزيد من تعذيبك، لن أخبرك بأي أخبار جديدة. يجب أن تأتي لمعرفة الأخبار بنفسك.

مع حبي،

جولييت

* * *

برقية من بيلي بي إلى جولييت
20 أغسطس 1946

اتصل بي عزيزي ستارك من روما فجأة. وطلب مني السفر يوم الخميس لإحضار الرسائل. الرجاء إرسال برقية لإبلاغي بأن ذلك ممكن. أتحرق شوقا لقضاء إجازة قصيرة على الجزيرة العزيزة.

بيلي بي جونز

* * *

برقية من جولييت إلى بيلي بي

سيكون ذلك من دواعي سروري. الرجاء إبلاغي بموعد الوصول، وسألتقيك.

جولييت

* * *

من جولييت إلى صوفي
22 أغسطس 1946

عزيزتي صوفي،

أصبح أخوك أكثر أهمية ومهابة بالنسبة لذوقي، فقد أرسل مبعوثا لاسترداد رسائل أوسكار وايلد، وصلت بيلي بي في هذا

الصباح على متن قارب بخاري. كانت رحلة متعبة بالنسبة لها، فوصلت بوجه منهك وقدمين هشتين، لكنها حافظت على شجاعتها! لم تستطع تناول طعام الغذاء، لكنها حضرت العشاء، وحلت ضيفا مفعمة بالحيوية على اجتماع جمعية الأدب الذي عقد الليلة.

لكن هناك شيئا غريبا، إذ يبدو أن كيت لم تستلطفها، وابتعدت قائلة «لا أحب التقبيل» عندما اقتربت منها بيلي. ماذا تفعلين عندما يتصرف دومينيك بوقاحة؟ هل تعاقبينه في اللحظة نفسها ما سيشعر الآخرين بالإحراج، أو تؤجلين الأمر إلى ما بعد؟ أخفت بيلي بي الأمر بطريقة جميلة، وذلك دليل على حسن أخلاقها، على عكس كيت. ارتأيت أن أتأنّى قبل مخاطبة كيت عن ذلك، لكنني أرغب بمعرفة رأيك.

منذ علمت بأن إليزابيث قد توفيت، وأنا أشعر بالقلق على مستقبل كيت وعلى مستقبلي دون كيت. أعتقد بأنه سيكون أمرا لا يطاق. سأقوم بتحديد موعد مع سيد ديلوان بعد أن يعود هو والسيدة ديلوان من إجازتهما. هو الوصي القانوني على كيت، وأرغب بأن أناقش معه إمكانية أن أكون وصية على كيت، أو أن أتبناها أو أكون والدتها بالحضانة. بالطبع أرغب بتبنيها، لكنني أشك بأن ديلوان يعتبرني أنا السيدة العزباء ذات الدخل غير منتظم أهلا لذلك.

لم أخبر أحدا بذلك، حتى سيدني. إذ يوجد الكثير مما يثير الحيرة والتردد، ماذا ستقول أميليا؟ وهل ستعجب كيت بالفكرة؟ وهل هي كبيرة بما يكفي كي تقرر؟ وأين سنعيش؟ وهل أستطيع إبعادها عن المكان الذي تحبه، والانتقال إلى لندن؟ إلى حياة مدينة

مقيدة بدلا من حياة الحرية والقوارب ولعب الغميضة في المقابر؟ بالطبع سيكون لكيت عائلة مكونة مني ومنك ومن سيدني في إنجلترا، ولكن ماذا بالنسبة لدوزي وأميليا وعائلتها هنا؟ سيكون من المستحيل استبدالهم أو إيجاد بديل عنهم. هل تتخيلين حضانة أطفال في لندن تمتلك سحر إيسولا؟ بالطبع لا يوجد.

أجري نقاشات مع نفسي بهذا الخصوص طوال الوقت. لكنني متأكدة من أمر واحد وهو رغبتي بالاعتناء بكيت إلى الأبد.

مع حبي،

جولييت

ملحوظة: إذا رفض سيد ديلوان فقد أختطف كيت وأهرب للاختباء في إسطبلك.

* * *

من جولييت إلى سيدني

23 أغسطس 1946

عزيزي سيدني،

هل تم استدعاؤك إلى روما فجأة؟ هل تم اختيارك لتكون البابا؟ من الأفضل أن يكون ما جعلك ترسل بيلي بي لتسلّم الرسائل بدلا منك، أمرا ملحا جدا. ولا أعلم لم لا نكتفي بإرسال نسخ من تلك الرسائل. إذ تقول بيلي إنك مصر على رؤية النسخ الأصلية. إيسولا لن تقبل مثل هذا الطلب من أي إنسان في العالم سواك.

رجاء كن حريصا على تلك الرسائل، لأنها عزيزة على قلبها. وتأكد من أن تعيدها لها شخصيا.

ولا يعني ذلك بأننا لا نحب بيلي، فهي ضيفة حيوية جدا، وهي الآن في الخارج ترسم الورود البرية. أستطيع رؤية قبعتها الصغيرة من خلال الأعشاب. لقد استمتعت جدا بتقديمها إلى جمعية الأدب بالأمس. وقد ألقت كلمة قصيرة في نهاية الاجتماع، حتى إنها طلبت من ويل ثيسبي وصفة فطيرة التفاح اللذيذة. ربما يكون ذلك مزايدة في حسن السلوك إذ كل ما رأيناه هو كتلة من العجين التي لم تنتفخ، تغطي مادة صفراء في الوسط وتغطيها البذور.

أشعر بالأسف لأنك لم تكن موجودا، وكان ضيف الحفل أغسطس سار، وقد تحدث عن كتابك المفضل حكايات كانتربيري. واختار أن يقرأ «قصة الكاهن» أولا لأنه يعلم ما الذي يفعله الكاهن من أجل العيش، ولا يقارن بالآخرين في هذا الكتاب، مثل رئيس المجلس البلدي أو ملاك الأراضي أو حاجب المحكمة. وقد أشعرته «قصة الكاهن» بالغثيان إلى درجة أنه لم يستطع الاستمرار في القراءة.

ولحسن حظك، قمت بأخذ الملاحظات، لأزودك بخلاصة تعليقاته. إليكها: أغسطس لن يسمح لطفله بقراءة تشوسر خوفا من أن يحوله ذلك إلى شخص يكره الحياة بصورة عامة. أو كما يقول الكاهن، الحياة بالوعة (أو ما يشبه ذلك) حيث يتوجب على المرء أن يخوض في وحلها، يلاحقه الشيطان ويجده في أكثر الأحيان. (ألا تعتقد بأن أغسطس لديه روح شاعر؟ أنا أعتقد ذلك).

يا للرجل المسكين، يعيش حياته يكفّر عن أخطائه بالصيام أو جلد نفسه بحبال مليئة بالعقد. وكل ذلك لأنه ولد في الخطيئة، وسيبقى فيها إلى آخر عمره، إلى أن تأتيه رحمة الرب.

«فكروا بذلك يا أصدقائي، حياة مليئة بالتعاسة، حيث لا يسمح لك بالراحة لدقيقة، ومن ثم في لحظاتك الأخيرة تحصل على العفو. أنا أقول شكرا على لا شيء.

ولا ينتهي الأمر بذلك يا أصدقائي، يجب على المرء ألا يأخذ نفسه على محمل الجد، لأن الكبرياء خطيئة. يا أصدقائي أروني رجلا يكره نفسه، وأنا أؤكد لكم بأن ذلك الرجل يكره جيرانه، لا تستطيع أن تمنح الآخرين شيئا لا تستطيع أن تمنحه لنفسك، لا حب ولا لطف ولا رقة ولا احترام! لذا أقول عار على الكاهن وعار على تشوسر!». ومن ثم رمى أغسطس نفسه على المقعد.

تلت ذلك ساعتان من المناقشات الحية عن الخطيئة الأصلية والقدر. في الختام وقفت ريمي للتحدث وهي التي لم تتحدث من قبل، فخيم الهدوء على الغرفة.

دعت إيسولا العديد منا إلى عشاء على شرف بيلي بي. وتقول إنها لا تحب في العادة أن تلعب بشعر الغرباء، لكنها ومن أجل صديقها العزيز سيدني ستقوم بقراءة نتوءات بيلي بي.

مع حبي،

جولييت

* * *

برقية من سوزان سكوت إلى جولييت
24 أغسطس 1946

عزيـزتي جولييـت. أشـعر بالفـزع لأن بيـلي بي في الجزيـرة لجمـع الرسـائل. توقفـي! لا، أكـرر، لا تثقـي بهـا. لا تعطيهـا شـيئا. أيفـور سـكرتير التحريـر الجديـد، رأى بيـلي بي وغيـلي غيلـبرت (مـن جريـدة الشرطة والضحيـة الأخـيرة لإبريـق الشـاي الـذي رميتـه) يتبـادلان قبـلات طويلـة في المنتـزه. هـذان الاثنـان لا يبـشران بالخـير. أرسـليها مـن دون رسـائل وايلـد.

مع حبي. سوزان.

* * *

من جولييت إلى سوزان
25 أغسطس 1946
الساعة الثانية صباحا

عزيزتي سوزان،

أنـت بطلـة بحـق! وبنـاء عليـه تمنحـك إيسـولا طـي هـذه الرسـالة عضويـة شرفيـة في جمعيـة غيرنـزي لـلأدب وفطـيرة قـشر البطاطـا، وتحـضر لـك كيـت هديـة مميـزة مصنوعـة مـن الرمـل والطـين (أعتقـد بأنـك سـترغبين بفتـح العلبـة خـارج المنـزل).

وصلـت البرقيـة في الوقـت المناسـب تمامـا. فقـد خرجـت إيسـولا وكيـت باكـرا لجمـع الأعشـاب البريـة، وبقينـا أنـا وبيـلي بي في المنـزل (أو هكـذا

اعتقدت)، عندما قرأت برقيتك. اندفعت صعودا باتجاه غرفتها لأجدها خالية منها، ومن حقيبتها وحقيبة يدها والرسائل، كلها اختفت.

شعرت بالرعب. ونزلت مسرعة واتصلت بدوزي طالبة منه الحضور بسرعة للمساعدة في البحث عنها. وقد جاء بعد أن اتصل ببوكر طالبا منه البحث في المرفأ. كان مصمما على منع بيلي بي من الهرب من الجزيرة بأي ثمن.

حضر دوزي بسرعة، واتجهنا صوب المدينة للبحث عنها.

كنت أخبّ خلفه بحثا عنها بين النباتات والشجيرات. وعندما اقتربنا من مزرعة إيسولا توقف دوزي فجأة وبدأ بالضحك.

كانت إيسولا وكيت تجلسان على الأرض أمام معمل إيسولا للتدخين. كانت كيت تحمل بين يديها القبعة الصوفية الملبدة (هدية بيلي بي لها) ومغلفا بنيا كبيرا؛ فيما جلست إيسولا على حقيبة بيلي بي. بدتا في غاية البراءة، فيما كان يعلو صوت زعيق من معمل التدخين.

ركضت لأضم كيت والمغلف البني إلى صدري، فيما انتزع دوزي الوتد الخشبي من مزلاج باب معمل التدخين. وهناك كانت بيلي بي تقبع في زاوية المنزل وهي ترعد وتزبد، فيما تحلق حولها الببغاء زنوبيا، التي كانت قد نجحت في انتزاع قلنسوة بيلي بي التي تطاير صوفها في أنحاء المكان.

رفع دوزي بيلي بي وأخرجها فيما استمرت هي بالصراخ. فقد هاجمها ساحر مجنون.. واعتدى عليها شخص مألوف، هو طفل من أبناء الشيطان. قالت إننا سنندم على ذلك، لأنه سيكون هنا قضايا واعتقالات، وسيتم رمينا في السجن، وبأننا لن نرى النور مرة أخرى!

«أنت التي لن ترى النور، أيتها المتسللة، أيتها السارقة، يا ناكرة

الجميل» صرخت بها إيسولا.

وصرخت أنا قائلة: «لقد سرقت الرسائل، لقد سرقتها من علبة بسكويت إيسولا، وحاولت الهروب متسللة! ماذا كنت أنت وغيلي غيلبرت تنويان أن تفعلا بها؟».

فصرخت بيلي بي قائلة: «هذا ليس من شأنك! انتظري حتى أخبره بما فعلتم بي!».

فانفجرت قائلة: «اذهبي وافعلي ما شئت! أخبري العالم بما فعلته أنت وغيلي. أستطيع أن أتخيل عناوين الصحف ‹غيلي غيلبرت يغرر بفتاة ويدفعها إلى الإجرام! من عش الحب إلى السجن! انظر الصفحة الثالثة!».

أخرسها ذلك لبعض الوقت. وصل بوكر بتوقيت رائع، وحضور يليق بممثل عظيم، وقد بدا ضخما ورسميا في معطف عسكري قديم. حضرت برفقته ريمي وهي تحمل مجرفة! ألقى بوكر نظرة على المكان ومن ثم نظر بحدة إلى بيلي بي، لدرجة أنني أشفقت عليها. أمسكها من ذراعها قائلا: «اجمعي أغراضك وارحلي من هنا. أنا لن ألقي القبض عليك، ليس في هذه المرة! سأرافقك إلى المرفأ لأتأكد شخصيا من أنك على المركب المبحر إلى إنجلترا».

فنهضت بيلي متعثرة، وجمعت حقيبتها وحقيبة يدها، ومن ثم هجمت باتجاه كيت وانتزعت القبعة الملبدة من يديها قائلة: «اشعر بالندم لإهدائك إياها أيتها الطفلة الشقية».

لكم رغبت بصفعها في تلك اللحظة! ففعلت وأنا متأكدة من أن تلك الصفعة خلخلت أسنانها الخلفية. لا أعلم ولكن حياة الجزيرة بدأت بالتأثير علي.

يغالبني النعاس، لكنني أريد إخبارك عن سبب ذهاب إيسولا

وكيت لجمع الأعشاب في الصباح الباكر. في الليلة الماضية تحسست إيسولا النتوءات في رأس بيلي بي ولم يعجبها ما قرأته. فالنتوء المنافق في رأس بيلي بي كان كبيرا بحجم بيضة إوزة. ومن ثم أبلغت كيت إيسولا بأنها رأت بيلي بي في مطبخها تبحث بين الرفوف. وكان ذلك دليلا كافيا لإيسولا التي وضعت خطة للمراقبة بالاشتراك مع كيت، وقررتا ملاحقة بيلي بي مثل ظلها لتعرفا ما تفعل.

نهضتا باكرا واختبأتا بين الشجيرات حيث شاهدتا بيلي بي تتسلل من الباب الخلفي وهي تحمل مغلفا كبيرا في يديها. فما كان منهما إلا أن لاحقتاها إلى أن تجاوزت مزرعة إيسولا، فانقضت عليها إيسولا ودفعتها إلى معمل التدخين. وقامت كيت بجمع أغراض بيلي بي التي سقطت في الوحل، في حين ذهبت إيسولا لإحضار ببغائها، زنوبيا، التي تعاني من الخوف من الأماكن المغلقة، ووضعتها في معمل التدخين مع بيلي بي.

ولكن يا سوزان، ما الذي كانت هي وغيلي غيلبرت يخططان لعمله بالرسائل؟ ألم يشعرا بالقلق من أن يتم اعتقالهما بسبب السرقة؟

أنا ممتنة لك ولأيفور. أرجو أن تشكريه على كل شيء؛ على نظره الحاد وعقله النزاع إلى الشك وسداد رأيه. والأفضل أن تقبليه بالنيابة عني إنه رائع! ألا يجب على سيدني أن يرقيه من سكرتير تحرير إلى رئيس تحرير؟

مع حبي،
جولييت

* * *

من سوزان إلى جولييت
26 أغسطس 1946

عزيزتي جولييت،

أتفق معك، إيفور رائع وقد قلت له ذلك؟ وقد قبلته بالنيابة عنك وعني! قام سيدني بترقيته، ليس لمنصب رئيس تحرير، ولكني أعتقد بأنه في طريقه إلى ذلك المنصب.

ما الذي يخطط بيلي بي وغيلي لفعله؟ أنا وأنت لم نكن في لندن عندما وصلت «واقعة إبريق الشاي» إلى صفحات الجرائد، ولم نشهد الضجة التي أحدثها ذلك. لقد ملأ الفرح قلب كل صحافي وناشر يحتقر غيلي غيلبرت وجريدة الشرطة، وهناك الكثير منهم.

وجدوا الأمر مضحكا، والبيان الذي أدلى به سيدني للصحافة لم يفعل الكثير لتهدئة الأمور، بل أدخلهم في نوبة جديدة من الضحك. وبالطبع فإن غيلي وجريدة الشرطة لا يؤمنون بالمغفرة. شعارهم هو رد الصاع صاعين، عبر الصبر والهدوء وانتظار حلول يوم الانتقام، الذي سيأتي بالتأكيد!

وقد شعرت عشيقة غيلي، بيلي بي المغفلة والطائشة، بالعار لما حدث. ألا ترين أن بيلي بي وغيلي يخططان للانتقام؟ وبناء على الخطة، تقوم بيلي بي بالتسلل إلى شركة ستيفينز وستارك بحثا عن أي شيء يسبب الأذى لك ولسيدني ويجعل منكما أضحوكة.

وأنت تعلمين السرعة التي تنتشر بها الشائعات في عالم النشر. الجميع يعلمون بأنك موجودة في غيرنزي لتأليف كتاب عن فترة الاحتلال، وبأنك اكتشفت في الأسبوعين الماضيين عملا جديدا لأوسكار وايلد (فالسير وليام شخصية بارزة لكنه ليس شخصا كتوما).

وبالطبع لم يستطع غيلي مقاومة الفرصة، فخطط لأن تسرق بيلي بي الرسائل على أن يتم نشرها في جريدة الشرطة وبذلك تفقدان أنت وسيدني السبق الصحافي. لكم من المحتمل أن ذلك الأمر سيكون ممتعا لهم! أما فيما يتعلق بالقضايا التي سترفع، فسيفكرون في الأمر في حينها. وبالطبع لا يكترثون بكيفية تأثير ذلك على إيسولا.

أشعر بالغثيان عندما أفكر بأنهم أوشكوا على النجاح. أشكر الرب على أيفور وإيسولا ونتوء بيلي بي المريب.

سيقوم أيفور بالسفر إلى الجزيرة يوم الثلاثاء لأخذ نسخ من الرسائل. وسيحضر معه لكيت نمسا مصنوع من المخمل الأصفر، عيونه خضراء كالزمرد، ومخالبه مصنوعة من العاج. وأعتقد بأنها ستعطيه قبلة في المقابل. وتستطيعين تقبيله أنت أيضا، ولكن ليست قبلة طويلة. لا أحب التهديد يا جولييت، ولكن للعلم فقط أيفور هو ملكي!

مع حبي،

سوزان

* * *

برقية من سيدني إلى جولييت

26 أغسطس 1946

لن أغادر المدينة مرة أخرى. تستحق إيسولا وكيت ميدالية، وأنت كذلك.

مع حبي، سيدني.

* * *

من جولييت إلى صوفي
29 أغسطس 1946

عزيزتي صوفي،

لقد أتى إيفور وعاد، ورسائل أوسكار وايلد ترقد آمنة في علبة بسكويت إيسولا. أحاول الحفاظ على هدوئي لحين انتهاء سيدني من قراءة الرسائل، وأتحرق شوقا لمعرفة رأيه بالموضوع.

لقد كنت هادئة جدا في اليوم الذي قمنا فيه بمغامرتنا، ولكن فيما بعد، وبعد أن أوت كيت إلى الفراش بدأت أشعر بأنني أصبحت سهلة الاستثارة وعصبية، وقمت بالسير جيئة وذهابا في الغرفة.

ومن ثم سمعت قرعا على الباب. ذهلت وارتبكت عند رؤيتي دوزي من نافذة المنزل. فتحت الباب على مصراعيه لأرحب به، ووجدته مع ريمي على عتبة بابي. لقد أتيا للاطمئنان على أحوالي، يا للطفهم ويا لخيبتي.

أتساءل إذا ما كانت ريمي تشعر بالشوق للعودة إلى فرنسا؟ أقرأ مقالا كتبته امرأة تدعى جيزيل بيليتييه، وهي سجينة سياسية تم احتجازها في معسكر اعتقال رافينزبروك لمدة خمس سنوات. تكتب في مقالها عن مدى صعوبة تكيف الناجين من معسكرات الاعتقال مع الحياة. لا يرغب أحد في فرنسا، سواء من الأصدقاء أو من أفراد العائلة، بمعرفة أي شيء يتعلق بحياتك في المعتقل، ويعتقدون بأنه كلما أسرع المرء بالنسيان، ويشمل ذلك عدم سماعهم لذكرياتك، أصبح المرء أكثر سعادة.

وتقول الآنسة بيليتييه بأن المرء لا يرغب بإرهاق الآخرين من خلال الخوض بالتفاصيل، لكن ذلك أمر عانيت منه ولا تستطيع التظاهر

بأنه لم يحدث. «فلنضع كل شيء خلفنا»، يبدو هذا شعار فرنسا الآن. «كل ما حصل، الحرب وحكم فيشي والميليشيا ومعسكر درانسي واليهود، كل ذلك انتهى الآن. فضلا عن أنك لست الوحيدة التي عانت من ذلك». وكتبت تقول إنه في مواجهة هذا النسيان المؤسساتي، لا يبقى للمرء سوى التحدث مع الزملاء الناجين. إذ إنهم قد اختبروا حياة معسكرات الاعتقال. تتحدث معهم ويحدثونك بالمقابل. يتكلمون ويبكون ويشجبون ويقصون القصة تلو الأخرى، بعضها قصص مأساوية والبعض الآخر سخيف وتافه. وفي بعض الأحيان يستطيعون الضحك معا. تضيف الآنسة بيليتييه بأن الشعور بالراحة لا يوصف.

ربما يساعد تبادل الحديث مع ناجين آخرين على علاج حزن ريمي عوضا عن حياة الريف في الجزيرة. لقد استردت عافيتها بعد أن كانت هزيلة لدرجة يصعب تصديقها، لكنها لا تزال تبدو مسكونة بما حصل.

عاد سيد ديلوين من إجازته، ويجب علي تحديد موعد معه لمناقشة وضع كيت. ما زلت أؤجل الموضوع لأني خائفة من رفضه أخذ طلبي في الاعتبار. أتمنى لو بدوت كأم، ربما أشتري وشاحا. وإذا طلب شهودا على حسن سيرتي، فهل تقبلين أن تكوني من بينهم؟ هل تعلم دومينيك الحروف الأبجدية؟ لربما يستطيع طباعة ما يلي:

عزيزي سيد ديلوان،

جولييت درايهيرست آشتون سيدة لطيفة جدا ورزينة ونظيفة وعلى قدر من المسؤولية. يجب أن تسمح لها بأن تكون أم كيت ماكينا.

المخلص،

جيمس دومينيك ستريكن

هـل أخبرتـك بمـا يخطـط لـه سـيد ديلويـن لمـيراث كيـت في غيرنـزي؟ لقـد طلـب مـن دوزي أن يعمـل مـع فريـق يختـاره عـلى ترميـم السـجن: تـم تغيـير الدرابزيـن وإزالـة الرسـومات عـن الجـدران واللوحـات، وتـم اسـتبدال أنابيـب الميـاه بأخـرى جديـدة، واسـتبدال النوافـذ وتنظيـف المدافـئ، وتـم التأكـد مـن التمديـدات الكهربائيـة وإعـادة رصـف أرضيـة الشرفـة، أو كل مـا يفعلـه المـرء بالحجـارة القديمـة. ولا يـزال ديلويـن في حـيرة مـن أمـره فيـما يتعلـق بالحائـط الخشـبي في المكتبـة، فقـد قـام الألمـان باسـتخدامه كهـدف للرمايـة، ودمـروا بذلـك مـا كان محفـورا عليـه مـن فاكهـة وشرائـط.

وبمـا أن الكثـير مـن النـاس لا يرغبـون في قضـاء إجازتهـم في أوروبـا للسـنوات القليلـة المقبلـة، يأمـل ديلويـن بـأن تعـود جـزر القنـال جنـة السـياح كـما كانـت في سـابق عهدهـا، وأن يتحـول منـزل كيـت إلى بيـت تسـتأجره العائـلات لتمضيـة إجازاتهـا.

والآن سـأنتقل إلى المناسـبات الغريبـة: دعتنـي الأختـان بينـوات أنـا وكيـت لـشرب الشـاي عـصر اليـوم. ولم ألتـق بهـما في السـابق، وقـد كانـت دعـوة غريبـة، إذ سـألتا إذا مـا كانـت كيـت «تمتلـك عينـا ثابتـة وتسـتطيع التصويـب؟ وإذا مـا كانـت تحـب الطقـوس؟».

وكنـت في حـيرة مـن أمـري، وسـألت إيبـين مـا الـذي يعرفـه عـن الأختـين بينـوات. هـل هـما في كامـل قواهـن العقليـة؟ هـل كان أخـذ كيـت إليهـما أمـرا مأمونـا؟ انفجـر إيبـين ضاحـكا وقـال نعـم هـما عاقلتـان وأخـذ كيـت لزيارتهـما أمـر مأمـون. وأخـبرني بـأن جـين وإليزابيـث دأبتـا عـلى زيارتهـما كل صيـف عـلى مـدى خمـس سـنوات؛ وبأنهـا ترتديـان مريـلات منشّـاة وأحذيـة لامعـة وقفـازات صغـيرة مخرّمـة. وأكـد لنـا بأننـا سـنمضي وقتـا رائعـا، وبأنـه مـسرور لعـودة

التقاليد القديمة. وأضاف بأننا سنحظى بحفل شاي رائع تتبعه تسلية، وبأن علينا حضوره.

ولم يساعدني ذلك على معرفة ما يجب أن أتوقعه. الأختان توءمان متطابقتان في الثمانينات من عمرهما. سيدتان متأنقتان تلبسان الفساتين الطويلة من قماش الجورجيت الأسود، وهي مزدانة بالخرز على الصدر والأكمام، وشعرهما أبيض يلتف في دوائر تشبه الكريمة فوق رأسيهما. يا لسحرهما يا صوفي. كنا قد انتهينا من احتساء الشاي عندما قالت إيفون (وهي أكبر بعشر دقائق من أختها): «أختي، أعتقد بأن ابنة إليزابيث صغيرة جدا» فأجابتها إيفيت: «نعم، أعتقد بأنك على حق يا أختي. ربما تسايرنا الآنسة آشتون؟».

أعتقد أنني كنت شجاعة جدا عندما أجبت «بكل سرور» دون أن أعرف ما ينتظرني.

«من اللطف أن تقبلي يا آنسة آشتون، لقد حرمنا أنفسنا من ذلك خلال فترة الحرب، وبشكل ما يعتبر ذلك خيانة للعرش. زادت آلام التهاب المفاصل الذي نعاني منه، ولذا لا نستطيع مشاركتك في الطقوس. لكن سيكون من دواعي سرورنا أن نشاهد».

ومن ثم ذهبت إيفيت إلى إحدى خزانات الأدراج، فيما سحبت إيفون جانبا الباب المنزلق الذي يفصل بين غرفة الاستقبال وغرفة الطعام. وهناك على اللوح الذي كان مخفيا بين البابين علقت صفحة كاملة من جريدة تحمل صورة دوقة وندسور السيدة واليس سيمبسون. وأعتقد بأنه تم اقتطاعها من صحيفة بلتيمور صن في أواخر الثلاثينيات.

ناولتني إيفيت أربعة أسهم ذات رأس فضي، شريرة المظهر.

وقالت لي: «صوبي باتجاه العينين يا عزيزتي»، ففعلت.

وقالت: «رائع. ثلاث نقاط من أربع، مثل العزيزة جين! لأن إليزابيث كانت تتخبط وهي تصوب في اللحظات الأخيرة! هل ترغبين في المحاولة مرة أخرى في العام القادم؟».

إنها قصة بسيطة ولكنها حزينة. كانت إيفيت وإيفون معجبتين بأمير ويلز «يبدو محببا في بنطاله القصير». «وقدرته على رقص الفالس» «وأناقته في ملابس السهرة!» كان رقيقا وملكيا إلى أن وقع في حبائل تلك الساقطة. «واختطفته من عرشه! وتاجه. اختفى!» لقد حطم ذلك قلبيهما. أما كيت فقد كانت مسحورة بكل ذلك. سأقوم بالتمرين على التصويب وسيصبح إحراز أربعة أهداف من أربعة هدفي الجديد في الحياة.

ألا تتمنين لو كنا نعرف الشقيقتين بينوات عندما كنا صغيرات؟

مع حبي وقبلاتي،

جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني

2 سبتمبر 1946

عزيزي سيدني،

لقد وقع أمر ما عصر اليوم؛ ومع أنه انتهى على خير، لكنه كان مزعجا، وأنا الآن أعاني من مشكلة في الخلود للنوم. أكتب لك أنت بدلا من صوفي لأنها حامل على عكسك. لست في وضع

يسبب المشكلات إذا ما انزعجت، على عكس صوفي. أعتقد بأنني أفقد مهاراتي في قواعد اللغة.

كيت وإيسولا كانتا تحضران كعك الزنجبيل. أنا وريمي كنا بحاجة لبعض الحبر، ودوزي كان بحاجة إلى معجون لسد الثقوب في البيت الكبير، فسرنا سوية إلى سان بيتر بورت.

مشينا على الهضبة بجانب خليج فيرمين. كانت نزهة جميلة على طريق متعرج يلتف حول رأس البر. وكنت قد تخطيت دوزي وريمي لأن الطريق بدأ يضيق.

رأينا امرأة صهباء طويلة تسير حول صخرة كبيرة عند منعطف الممر متجهة نحونا ومعها كلب كبير من فصيلة الألزاسي. ولم يكن مربوطا برسن، وبدا فرحا جدا لرؤيتي. وبدأت بالضحك على سلوكه وصرخت المرأة قائلة «لا تخافي لأنه لا يعض». وضع الكلب قوائمه على كتفي في محاولة لإعطائي قبلة كبيرة ولزجة.

ومن ثم سمعت خلفي ضجة؛ صوت لهاث شهيق ومحاولات مستمرة لتنشق الهواء. لا أستطيع أن أصف ذلك. التفت واكتشفت بأن ريمي منحنية وهي تتقيأ. أمسك بها دوزي وهي تتقيأ عليه وعليها. لقد كان منظرا مريعا.

صرخ بي دوزي قائلا: «أبعدي الكلب يا جولييت! في الحال!».

قمت بدفع الكلب بعيدا بجنون، فيما كانت المرأة تصيح وتعتذر وهي في حالة هستيرية. وأمسكت بطوق الكلب وقلت «اطمئني، اطمئني، كل شيء على ما يرام، ذلك ليس خطأك، لو سمحت ارحلي. ارحلي!» ورحلت أخيرا وهي تجر كلبها المرتبك من طوقه.

هدأت ريمي لكنها استمرت في محاولتها استنشاق الهواء. نظر إلي دوزي وقال «فلنأخذها إلى منزلك فهو الأقرب». حملها ومشى

وأنـا أتبعـه عاجـزة وخائفـة.

كانـت ريمـي بـاردة وبـدأ جسـدها يرتعـش، فحـضرت لهـا حـمام مـاء دافـئ ومـن ثـم وضعتهـا في الفـراش. ومـا إن بـدأت تسـتغرق في النـوم حتـى جمعـت ثيابهـا ونزلـت إلى الطابـق الأرضي حيـث وجـدت دوزي واقفـا أمـام النافـذة ينظـر إلى الخـارج.

ومـن دون أن يلتفـت قـال لي «لقـد أخبرتنـي بـأن الحـراس في معسـكر الاعتقـال كانـوا يسـتخدمون كلابـا كبـيرة، وكانوا يسـتفزونها ثم يطلقونهـا عـلى صفـوف النسـاء الواقفـات لتفقـد الطابـور لمجـرد مشـاهدة المتعـة. يـا إلهـي يـا جولييـت لقـد كنـت جاهـلا، واعتقـدت بـأن وجودهـا معنـا هنـا سيسـاعدها عـلى النسـيان».

«إن النيـة الطيبـة لا تكفـي يـا جولييـت، أليـس كذلـك؟ بالـكاد تكفـي».

فأجبتـه «لا، لا تكفـي». لم يقـل شـيئا، بـل هـز رأسـه وذهـب. بعـد ذلـك اتصلـت بأميليـا لأخبرهـا بـأن ريمـي موجـودة في منـزلي، ومـن ثـم وضعـت الغسـيل في الغسـالة، وأوصلـت إيسـولا كيـت، وتناولنـا العشـاء ولعبنـا السـناب بـأوراق اللعـب إلى أن حـان وقـت النـوم.

لكن النوم يجافيني.

أشـعر بالخجـل مـن نفسـي. لأننـي ظننـت أن ريمـي جاهـزة للعـودة إلى موطنهـا، أو أردتهـا أن ترحـل؟ هـل ظننـت بأنـه آن أوان عودتهـا إلى فرنسـا، لـكي أتعامـل مـع الأمـر أيـا كان هـذا الأمـر؟ نعـم فكـرت في ذلـك وأشـعر بالغثيـان لمجـرد تفكـيري في ذلـك.

مع حبي،

جولييت

ملحوظة: بما أنني في طور الاعتراف، سأقول لك شيئا آخر. على الرغم من سوء الموقف وأنا ممسكة بثياب ريمي المتسخة، وفيما تفوح رائحة ثياب دوزي، كل ما استطعت التفكير به هو، لقد قال «النية الطيبة...النية الطيبة لا تكفي، أليس كذلك؟» هل عنى ذلك بأنه لا يكنّ لها سوى النية الطيبة؟ بقيت أتأمل تلك الفكرة المنحرفة طيلة المساء.

* * *

رسالة ليلية من سيدني إلى جولييت

4 سبتمبر 1946

عزيزتي جولييت، كل هذا التفكير الشارد يعني بأنك واقعة في حب دوزي. هل أنت مندهشة؟ أنا لست كذلك. لا أدري لماذا استغرقت كل ذلك الوقت لتدركي ذلك، على الرغم من حقيقة أن هواء البحر يفتح البصيرة. أرغب بالقدوم لرؤيتك والاطلاع على رسائل أوسكار وايلد شخصيا، لكنني لا أستطيع السفر إلا في الثالث عشر من الشهر. هل يناسبك ذلك؟

مع حبي، سيدني.

* * *

برقية من جولييت إلى سيدني

5 سبتمبر 1946

عزيزي سيدني. أنت لا تطاق، ولاسيما عندما تكون على حق. ومن الرائع رؤيتك في الثالث عشر من الشهر.

مع حبي، جولييت

* * *

من إيسولا إلى سيدني

6 سبتمبر 1946

عزيزي سيدني،

أخبرتني جولييت بأنك ستأتي لتلقي نظرة على رسائل الجدة فين شخصيا، وأنا أقول بأن الأوان قد حان لتقوم بذلك. ولا يعني ذلك بأنني لم أكن ميالة إلى أيفور، فهو شخص لطيف رغم أنه في حاجة للتخلي عن ربطات العنق تلك التي تبدو كربطات شعر صغيرة. قلت له إنها لا تليق به، لكنه لم يكن يهتم إلا بقصة شكوكي في بيلي بي جونز، وكيف قمت بملاحقتها وسجنها في معمل التدخين. وقد علق قائلا إن ذلك عمل بوليسي دقيق لا يقل عمّا تستطيع عمله الآنسة ماربل!

الآنسة ماربل[42] ليست صديقته، بل هي شخصية بوليسية في

(42) الآنسة ماربل هي من أشهر الشخصيات في قصص أغاثا كريستي البوليسية، عجوز عانس تقوم بالتحري لحل القضايا البوليسية المعقدة.

الروايـات تقـوم باسـتخدام كل مـا تعرفـه عـن الطبيعـة البشريـة في محـاولات حـل جرائـم تعجـز الشرطـة عـن حلهـا.

وجعلنـي أفكـر كـم سـيكون رائعـا أن أحـل الألغـاز بنفـسي، اللهـم إذا كنـت أعـرف أيـا منهـا.

يقـول أيفـور إن الاحتيـال موجـود في كل مـكان، وإننـي أتمتـع بحـس جيـد، وأسـتطيع أن أدرب نفـسي لأصبـح نسـخة مـن الآنسـة ماربـل. وأضـاف قائـلا: «مـن الواضـح أنـك تتمتعـين بمهـارات مراقبـة ممتـازة. وكل مـا أنـت بحاجـة إليـه هـو التمريـن والملاحظـة والتدويـن».

ذهبـت إلى بيـت أميليـا واسـتعرت بعـض الكتـب عـن الآنسـة ماربـل. يـا لهـا مـن امـرأة حـذرة. تجلـس هادئـة تحيـك الصـوف وتـرى الأشـياء التـي يخفـق البعـض في ملاحظتهـا. أسـتطيع إبقـاء أذني مصغيتـين إلى الأشـياء غـير الصحيحـة وأسـتطيع رؤيـة الأشـياء بطـرف عينـي. وأذكـرك بأنـه ليـس لدينـا ألغـاز عالقـة في غيرنـزي، لكـن ذلـك لا يعنـي بـأن شـيئا لـن يحصـل يومـا مـا، وعنـد ذلـك سـأكون مسـتعدة لحلهـا.

لا أزال أتمتـع بكتـاب نتـوءات الـرأس الـذي أهديتنـي إيـاه، وأرجـو ألا يجـرح شـعورك لأننـي بصـدد الالتفـات لهـدف آخـر. مـا زلـت أثـق بالحقائـق التـي أسـتطيع التوصـل إليهـا مـن نتـوءات الـرأس، لكننـي قـرأت نتـوءات رأس كل مـن أعرفـه، فيـما عـدا رأسـك، وأصبـح الأمـر رتيبـا.

أخبرتنـي جولييـت بأنـك سـتأتي يـوم الجمعـة المقبـل. أسـتطيع اسـتقبالك وإيصالـك إلى جولييـت. وفي اليـوم التـالي سـينظم إيبـين حفلـة عـلى الشـاطئ، ويريـدك أن تعلـم بأنـه يرحـب بحضـورك. نـادرا مـا يقيـم إيبـين حفـلات، لكنـه قـال إن الهـدف مـن هـذا الحفـل

هـو الإعـلان عـن مناسـبة سـعيدة. مـا هـذه المناسـبة؟ هـل سـيعلن عـن زفـاف؟ وزفـاف مـن؟ أتمنـى ألا يكـون حفـل زفافـه؛ لأن النسـاء لا يسـمحن لأزواجهـن بالخـروج دون مرافقـة ليـلا، وذلـك يعنـي بأننـي سأشـتاق لإيبـين وصحبتـه.

صديقتك،

إيسولا

* * *

من جولييت إلى صوفي

7 سبتمبر 1946

عزيزتي صوفي،

استجمعت شجاعتي أخيرا وأخبرت أميليا بأنني أرغب في تبني كيـت. رأيهـا يعنـي لي الكثـير، لأنهـا أحبـت إليزابيـث كثـيرا؛ ولأنهـا تعـرف كيـت جيـدا، كـما تعرفنـي بالقـدر الـكافي. كنـت متلهفـة للحصـول عـلى موافقتهـا، وخائفـة مـن ألا أحصـل عليهـا. كـدت أختنـق بالشـاي، لكنني في النهايـة نجحـت في لفـظ الكلـمات. وقـد بـدا عليهـا الارتيـاح، مـا سـبب لي صدمـة، إذ لم أع مـدى قلقهـا عـلى مسـتقبل كيـت.

بـدأت كلامهـا قائلـة: «لـو كنـت أسـتطيع الحصـول عـلى..». ومـن ثـم توقفـت لبرهـة وقالـت: «أعتقـد أن فكـرة التبنـي رائعـة لكـما. ذلك مـن أفضـل الحلـول الممكنـة..». ومـن ثـم انفجـرت بالبـكاء وسـحبت منديلهـا. وبالطبـع سـحبتُ منديـلي أيضـا.

بعد أن انتهينا من البكاء، بدأنا بالتخطيط. سترافقني أميليا لمقابلة سيد ديلوان، قائلة: «لقد عرفته منذ كان صبيا صغيرا يرتدي الشورت، ولن يجرؤ على الرفض». وجود أميليا إلى جانبك يشبه وجود الجيش الثالث خلفك.

ومن ثم حدث شيء رائع، أكثر روعة من موافقة أميليا. تلاشت على أساسه آخر شكوكي.

هل تتذكرين عندما أخبرتك عن الصندوق الصغير المربوط بالخيوط، الذي كانت تحمله كيت معها دائما؟ ذلك الذي اعتقدت بأنه يحوي نمسا ميتا؟ أتت إلى غرفتي صباح اليوم وربتت على وجهي إلى أن استفقت من النوم. وكانت تحمل الصندوق.

ومن دون أن تتفوه بأي كلمة، فتحت الصندوق وأزالت المناديل من داخله وأعطتني الصندوق. ووقفت هناك يا صوفي تراقبني وأنا أفرغ الصندوق من محتوياته على غطاء السرير. والمحتويات هي: مخدة أطفال صغيرة وصورة صغيرة لإليزابيث وهي تعمل في حديقتها وتضحك مع دوزي؛ ومنديل نسائي من الكتان تفوح منه رائحة الياسمين؛ وخاتم رجالي يستخدم كختم؛ وكتاب جلدي صغير لأشعار ريلكه مع إهداء يقول: إلى إليزابيث التي تحول الظلام إلى نور، من كريستيان.

في داخل الكتاب كانت هناك قطعة ورق مطوية. أومأت كيت برأسها موافقة ففتحت الورقة وقرأت ما هو مكتوب فيها: «أميليا، قبليها عني عندما تستيقظ. سأعود في السادسة. إليزابيث. ملحوظة: ألا تملك أجمل أقدام؟».

تحت الورقة كانت هناك ميدالية جد كيت التي تم منحها له نظير مشاركته في الحرب العالمية الأولى، تلك الشارة السحرية التي

أعطتها إليزابيث لإيلاي عندما تم إجلاؤه إلى إنجلترا. بورك إيلاي، لا بد أنه أعادها لكيت.

كانت تعرض علي كنوزها، ولم تفارق نظراتها وجهي أبدا. كنا هادئتين، وأنا لم أبدأ بالبكاء، كالمعتاد؛ مددت ذراعي نحوها. فاقتربت مني وضمتني ومن ثم استغرقت في النوم. أما أنا فلم أستطع النوم، فقد كنت أخطط فرحة لبقية حياتنا معا.

لا يهمني أن أعيش في لندن، أنا أحب غيرنزي وأرغب في البقاء فيها، حتى بعد أن أنتهي من كتاب إليزابيث. لا أستطيع أن أتخيل أن تعيش كيت في لندن، وأن تضطر للبس الحذاء طوال الوقت، وأن تمشي بدلا من أن تركض، وألا يكون لديها خنازير تزورها. كما لا أتخيل ألا تتمكن كيت من ممارسة الصيد مع إيبين وإيلاي، وألا تتوفر لها فرصة زيارة أميليا، أو مزج العقاقير مع إيسولا، والأهم من ذلك أن تحرم من النزهات والزيارات والأيام التي تمضيها مع دوزي.

أعتقد بأنني إذا ما أصبحت وصية على كيت، فسنستمر بالعيش في كوخ إليزابيث، ونترك السجن كنزل للأثرياء العاطلين عن العمل. أستطيع أن أشتري بأرباحي من إيزي شقة نسكن فيها أنا وكيت عند زيارتنا لندن.

هنا موطنها وأعتقد بأنه سيصبح موطني أيضا. يستطيع الكتّاب الكتابة عن غيرنزي؛ انظري إلى فيكتور هوغو. الشيء الوحيد الذي سأفتقده في لندن هو سيدني وسوزان، وقربها من إسكتلندا، والمسرحيات الجديدة وصالة الطعام في هارودز.

صلي معي من أجل حكمة وذكاء سيد ديلوين. أنا أعلم بأنه يمتلكها، وأعلم بأنه يحبني ويعلم بأن كيت سعيدة بالعيش معي،

وبأنني مقتدرة ماديا، ومن يستطيع أن يقول أفضل من ذلك في هذا الزمن الفاسد؟ تعتقد أميليا أنه إذا رفض ديلوين فكرة التبني لأنني غير متزوجة، فهو سيوافق وبسرور على أن أكون الوصية عليها.

سيعود سيدني إلى غيرنزي في الأسبوع المقبل. كم أتمنى لو تأتي أنت أيضا، فأنا مشتاقة لك.

مع حبي،
جولييت

* * *

من جولييت إلى سيدني
8 سبتمبر 1946

عزيزي سيدني،

ذهبنا أنا وكيت لنزهة في المروج نشاهد دوزي وهو يعيد بناء جدار منزل إليزابيث الحجري. كان ذلك عذرا جيدا للتجسس على دوزي وهو يقوم بعمله. كان يتمعن في كل صخرة ويقدر ثقلها ويحضنها ويضعها في مكانها على الجدار. وكان يبتسم إذا ما وافق الحجر الصورة التي رسمها في خياله. وإذا لم يكن موافقا أزاله وبدأ بالبحث عن حجر آخر. إن مشاهدته وهو يقوم بعمله تبعث الهدوء في النفس.

اعتاد على النظرات المعجبة به إلى درجة أنه وجه لنا دعوة غير مسبوقة إلى العشاء. كانت كيت مرتبطة بموعد مسبق من أميليا، لكنني قبلت الدعوة بسرعة لا مبرر لها، ثم أصابتني

رجفة إزاء كوني وحيدة معه. وعندما وصلت كنا مرتبكين، لكنه أشغل نفسه بتحضير العشاء رافضا أي مساعدة مني. أمضيت الوقت في التطفل على كتبه. ولم يكن يملك الكثير منها، لكن ذوقه بدا لي راقيا، فلديه كتب لديكنز ومارك تواين وبلزاك وبوسويل، والعجوز العزيز لي هانت. بالإضافة إلى كتاب أوراق السير روجر دو كوفيرلي، وروايات آن برونتي (أتساءل لم كان يملك تلك الكتب) والسيرة التي كتبتها عنها. لم أكن أعلم بأنه يملك ذلك الكتاب، إذ لم يذكر ذلك مطلقا، ربما كان يكرهه.

وعلى العشاء، تحدثنا عن جوناثان سويفت والخنازير ومحاكمات نورمبيرغ. ألا يوحي ذلك باهتمامات مثيرة؟ لا شك لدي بذلك. جرى الحوار بيننا بسلاسة، لكننا لم نأكل كثيرا، على الرغم من أنه قام بتحضير شوربة نبات الحميض اللذيذة (ألذ من التي أحضرها). وبعد تناول القهوة مشينا إلى حظيرته لرؤية الخنازير. الخنازير الكبيرة لا تتحسن بعد المعرفة، على عكس الصغيرة منها. خنازير دوزي الصغيرة مرقطة ولعوبة وماكرة. تقوم الخنازير يوميا بحفر حفرة إلى جانب السور، ظاهريا بهدف الهرب، ولكن فعليا بهدف رؤية دوزي وهو يطمر الحفر. يا ليتك ترين تكشيرتها عندما تراه يقترب من السور.

حظيرة دوزي في غاية النظافة، كما أنه يرتب رزم القش بطريقة جميلة .

أعتقد بأنني أصبحت مثيرة للشفقة.

لكنني سأعترف بما هو أكثر من ذلك، أعتقد بأنني قد وقعت في حب رجل يمارس زراعة الأزهار وعامل مقلع حجارة ونجار ومربي خنازير. في الحقيقة، أعلم بأنني وقعت في حبه.

وربما أصبح في الغد تعيسة لمجرد التفكير بأنه لا يبادلني الشعور نفسه، وأنه ربما يهتم بريمي، لكنني الآن وفي هذه اللحظة سأستسلم لنشوة الفرح. يراودني شعور غريب في رأسي ومعدتي.

أراك في يوم الجمعة، تستطيع أن تهنئ نفسك لاكتشافك بأنني أحب دوزي. وسأسمح لك، لمرة واحدة فقط، بالتباهي أمامي.

مع حبي وقبلاتي،

جولييت

* * *

برقية من جولييت إلى سيدني

11 سبتمبر 1946

أنا تعيسة جدا. رأيت دوزي اليوم عصرا في سان بيتر بورت يشتري الحقائب متأبطا ذراع ريمي، وتملأ الابتسامات وجهيهما. هل هي حقائب شهر العسل؟ يا لي من مغفلة. أنا أضع اللوم عليك. البائسة، جولييت.

تحريات الآنسة إيسولا بريبي أوراق سرية، يمنع قراءتها ولو بعد وفاة كاتبها..

الأحد

هذا الدفتر والسطور التي يحويها هدية من صديقي سيدني ستارك، وقد وصلني بالبريد يوم أمس. كتبت على غلافه كلمة

«خواطـر» بالفرنسـية بحـروف مذهبـة، لكننـي حذفتهـا لأنني لا أنـوي كتابـة خواطـري هنـا، بـل سـأخص الكتـاب بالحقائـق. حقائق تـم الوصول إليهـا بالمراقبـة الدقيقـة والاسـتماع المنصـت. قـد لا أتفـوق في هـذا المجـال في البدايـة، لـذا يتوجـب عـلي أن أتـدرب عـلى حسـن الملاحظـة.

إليكـم بعـض مـا لاحظتـه اليـوم. تسـتمتع كيـت بصحبـة جولييـت. فهـي تبـدو هادئـة عندمـا تكـون جولييـت في الغرفـة، ولم تعـد تسـخر مـن الآخريـن. بـل إنهـا تسـتطيع الآن أن تهـز أذنيهـا، وهـو شيء لم تسـتطع فعلـه قبـل وصـول جولييـت.

سـيأتي صديقـي سـيدني لقـراءة رسـائل أوسـكار وايلـد. سـيمكث عنـد جولييـت هـذه المـرة، فقـد قامـت بتنظيـف غرفـة المخـزن الخاصـة بإليزابيـث ووضعـت لـه فيهـا سريـرا.

رأيـت دافنـي بوسـت تحفـر حفـرة عميقـة عنـد شـجرة الـدردار الخاصـة بسـيد فـير. هـي تفعـل ذلـك دومـا في ظلمـة الليـل. أظـن أن علينـا جميعـا أن نبتـاع لهـا إبريـق شـاي فضيـا لتتوقـف عـن الحفـر وتسـتقر في بيتهـا مسـاء.

الإثنين

أصيبـت السـيدة تايلـور بطفـح جلـدي عـلى ذراعيهـا. مـا سـببه؟ هـل هـو مـن تأثـير الطماطـم، أم هـل سـببه زوجهـا؟ يجـب التحـري عـن ذلـك.

الثلاثاء

لا شيء يستحق التدوين.

الأربعاء

لا شيء أيضا.

الخميس

أتت ريمي لزيارتي اليوم، وأهدتني الطوابع التي نزعتها من رسائلها القادمة من فرنسا، سأستخدمها، فهي زاهية الألوان أكثر من الطوابع الإنجليزية. كانت تحمل في يدها رسالة في ظرف بني له فتحة صغيرة كتب داخلها «من الحكومة الفرنسية». كانت تلك رابع رسالة تتسلمها منهم. ما الذي يريدونه منها؟ يجب التحري.

بدأت اليوم بملاحظة شيء ما خلف كشك ساليز، لكن الحركة توقفت عندما لمحوني. لا يهم. يحضر إيبين لنزهته البحرية ليوم السبت، فلا بد أن أجد ما أراقبه هناك.

ما زلت أبحث عن كتاب عن الفنانين وطريقتهم في تغيير حجم صورة يريدون رسمها. فلنقل إنهم يودون التركيز على برتقالة، هل يقومون حينذاك بدراسة الشكل نفسه بصورة مباشرة؟ بالطبع لا، بل هم يخدعون بصرهم ويركزون على الموزة بجانب البرتقالة، أو ينظرون للبرتقالة رأسا على عقب، من بين سيقانهم. سيرون البرتقالة حين ذلك بصورة أخرى. هذا يسمى المنظور. لذلك سأحاول استخدام طريقة جديدة في النظر إلى الأمور، ليس رأسا على عقب أو من خلال ساقي، بل بعدم التحديق مباشرة أو النظر للأمام. أستطيع تحريك عيني بخفة إن أغلقت جفوني قليلا. يجب أن أتدرب على ذلك.

الجمعة

لقد نجحت الطريقة. إن عدم التحديق بصورة متسرعة ينجح في تحقيق الهدف بشأن حجم الصورة. اصطحبنا دوزي بعربته، مع جولييت وريمي وكيت، لمقابلة العزيز سيدني في المطار.

إليكم ما لاحظته: ضمته جولييت إلى صدرها فحملها كما يحمل الأخ أخته واستدار بها بسرعة. سر بمقابلة ريمي، ورأيته يراقبها من طرف عينه، كما كنت أفعل. صافح دوزي سيدني، لكنه لم ينضم إلينا ليأكل كعكة التفاح عندما وصلنا إلى منزل جولييت. كانت الكعكة هابطة قليلا في الوسط، لكن طعمها كان جيدا.

اضطررت لأن أقطر مقلتي قبل النوم. كم هو متعب أن أضطر دائما إلى تحريكهما إلى الجانبين بسرعة. كما أن جفوني تؤلمني لأنني مضطرة لإبقائهما متجهتين إلى الأسفل.

السبت

ذهبت إلى الشاطئ مع ريمي وكيت وجولييت لتجميع الحطب للنزهة المسائية. كانت أميليا تستمتع بدفء الشمس أيضا. بدت عليها الراحة، وكنت سعيدة برؤيتها على هذه الحال. أما دوزي وسيدني وإيلاي فقد تعاونوا في حمل قدر إيبين الكبير. دوزي يعامل سيدني بلطف، وسيدني بدوره لطيف بمعاملته لدوزي، لكنه يحدق فيه بطريقة مستغربة. لم ذلك؟

وضعت ريمي الحطب ثم ذهبت للتحدث مع إيبين، وقام بترتيبها على كتفها. لماذا؟ لم يعتد إيبين على فعل ذلك. ثم تحادثا لبعض الوقت، لكن المؤسف أنني لم أتمكن من سماع حديثهما.

عندما حان موعد العودة للمنزل لتناول الغداء، ذهب إيلاي

لتمشيط الشاطئ، بينما أمسك كل من سيدني وجولييت بإحدى يدي كيت وسارا بها على طريق الجرف، وكانا يلعبان معها ويرفعانها عن الأرض بين الفينة والأخرى.

راقبهم دوزي وهم يصعدون الطريق، لكنه لم يتبعهم، بل سار نحو الشاطئ ومكث هناك ليراقب البحر. وهنا صدمتني حقيقة أن دوزي شخص منعزل، وقد يكون منعزلا دوما، لكنني لم أر أن هذا شيء يكدر خاطره في السابق. فما خطبه الآن؟

ليلة السبت

لقد اكتشفت شيئا أثناء النزهة، اكتشفت شيئا مهما، ويجب أن أتبع خطا الآنسة ماربل، وأعمل ما يجب عمله. كانت ليلة باردة بسماء متقلبة، لكن ذلك لم يعكر صفو يومنا، فقد تلحفنا بمعاطفنا وستراتنا نأكل سرطان البحر ونقهقه لما يقوله بوكر. فقد وقف فوق صخرة وألقى خطبة وكأنه ذلك الروماني الذي يعشقه. إنني قلقة بشأن بوكر، فعليه قراءة كتاب آخر. أعتقد أنني سأعيره كتاب جين أوستن.

جلست يقظة قرب نار الحطب وبجانبي سيدني وكيت وجولييت وأميليا. كنا ندس العصي في النار عندما تقدم دوزي وريمي نحو إيبين وقدر سرطان البحر. همست ريمي في أذن إيبين فابتسم، وقرع على القدر بملعقته الكبيرة.

قال: «أعيروني انتباهكم جميعا فلدي ما أقوله».

سكت الجميع ما عدا جولييت، التي حبست أنفاسها بشكل ملحوظ وتسمر كل ما فيها، حتى فكها. لا أعلم ما الأمر، لكنني كنت قلقة عليها لأنني كنت قد عانيت من أوجاع الزائدة

الدودية في السابق، فلم أنتبه لكلمات إيبين الأولى.

لذلك فهذه الليلة هي حفل وداع ريمي التي تغادرنا الثلاثاء المقبل إلى باريس. ستسكن مع بعض الأصدقاء، وتتدرب على يد صانع الحلوى الشهير راؤول غيلمو، في باريس. وقد وعدتنا بالعودة إلى غيرنزي، حيث ستسكن بيتي مع إيلاي حتى نفرح جميعا بحظها الطيب.

علا صوتنا بالهتاف، بينما تجمعنا حول ريمي لتهنئتها، باستثناء جولييت التي تحشرجت أنفاسها وطرحت نفسها على الرمال كسمكة اصطيدت للتو.

تلفّتّ حولي لأرى تعابير دوزي. لم يكن يحوم حول ريمي، لكنه بدا حزينا. وفجأة فهمت ما يجري. لم يكن دوزي سعيدا برحيل ريمي، بل كان يخشى من أنها لن تعود للجزيرة. دوزي مغرم بريمي ولا تسمح له شخصيته الخجولة بالإفصاح عن ذلك.

لكنني لست خجولة. أستطيع أنا أن أخبرها عن مشاعره تجاهها، وسوف تتمكن من التصرف، لكونها امرأة فرنسية. ستعلمه بأنها تبادله الشعور نفسه، ثم سيتزوجان ولن تضطر للذهاب إلى العيش في باريس. كم أنا محظوظة لأنني لا أعيش في عالم من الخيال، بل أستطيع أن أرى كل ما يجري أمامي.

تقدم سيدني نحو جولييت ونكزها بقدمه متسائلا «تشعرين بتحسن؟» وعندما أجابته بنعم، ارتاح بالي واطمأننت عليها. ثم سارا معا نحو ريمي لتهنئتها. كنت أحمل كيت النائمة في حضني، فمكثت حيث أنا بجانب النار لأفكر جيدا.

ريمي امرأة عملية، شأنها في ذلك شأن معظم الفرنسيات. ستطلب دليلا على مشاعر دوزي نحوها قبل أن تقوم بتغيير

خططها بصورة عشوائية. وعلي أن أجد لها هذا الدليل.

بعد برهة، عندما قدم الشراب وشربنا نخب دوزي وريمي، توجهت نحو دوزي وقلت له: «دوزي، إن أرضية مطبخك في حاجة للتنظيف وأريد أن ألمعها. هل يناسبك يوم الإثنين؟».

استغرب سؤالي لكنه أجاب بنعم، فأخبرته بأنها هدية عيد الميلاد المبكرة «فلا داعي لأن تفكر في أتعابي. ما عليك إلا أن تترك الباب مفتوحا».

وهكذا تم الأمر وتمنيت للجميع ليلة سعيدة.

الأحد

وضعت خططي ليوم غد. كم أنا قلقة.

سأمسح وألمع منزل دوزي، بينما أبحث عن دليل يفضح حبه لريمي. قد أجد ورقة شعر يتغزل فيه بريمي مرمية في صندوق القمامة، أو حروف اسمها مرسومة حول قائمة مشترياته. لا بد أن تكون مثل هذه الأدلة على اهتمامه بريمي في مكان ملحوظ، فالآنسة ماربل لم تكن تتجسس على غيرها ولن أقوم أنا بفعل ذلك، لن أحاول كسر الأقفال.

بمجرد أن أوفر لريمي دليلا على حبه لها، ستغير رأيها ولن تركب الطائرة المتجهة إلى باريس يوم الإثنين. سوف تعرف ما يجب عمله وستنجح في إسعاد دوزي أخيرا.

طوال يوم الإثنين

خطأ فادح، ليلة سعيدة..

استيقظت مبكرا وأمضيت الوقت مع دجاجاتي دون أي هدف في انتظار رحيل دوزي للعمل في السجن. وبمجرد رحيله، اتجهت نحو مزرعته للبحث عن قلوب منحوتة في جذوع الأشجار. لم أجد أيا منها.

انتهزت فرصة غيابه، فأخذت ممسحتي وسطلي وخرقتي وقضيت ساعتين في المسح والفرك والتنظيف والتلميع، لكنني لم أجد شيئا. أوشكت على اليأس عندما تذكرت الكتب على الأرفف. بدأت أنفض عنها الغبار حتى يسقط ما بين ثنايا صفحاتها، لكنني لم أوفق هنا أيضا. استسلمت للأمر حتى وقعت عيناي فجأة على كتابه الأحمر الصغير عن حياة تشارلز لام. وتساءلت عن سبب وجوده هنا، فقد رأيته يضعه في صندوق الكنز الخشبي الذي نحته إيلاي وأهداه إياه بمناسبة عيد ميلاده. فإن كان الكتاب الأحمر هنا بين الكتب الأخرى، إذا ما الذي وضعه دوزي في هذا الصندوق؟ وأين موضعه؟ ضربت بخفة على جدران الصندوق لأرى إن كان أجوفَ فلم يكن كذلك. مددت بيدي داخل جرة الطحين فلم أجد فيها غير الطحين. هل يحتفظ به في الإسطبل؟ لتقضمه الفئران؟ مستحيل. أين إذا؟ سريره؟ أسفل السرير.

جريت نحو غرفته وبحثت أسفل السرير، ثم سحبت صندوق الكنز وفتحته لأنظر ما بداخله، فلم أجد شيئا، واضطررت أن أرمي بمحتوياته على السرير؛ لم أجد شيئا: لم تكن هناك مذكرة من ريمي، أو صورة لها، أو تذاكر سينما لفيلم ذهب مع الريح، رغم أنني متيقنة أنه اصطحبها لمشاهدته. ماذا فعل بكل هذا؟ ألا يملك منديلا مطرزا بحرف الراء في زاويته. وجدت منديلا فعلا، لكنه كان أحد مناديل جولييت المعطرة، وكان مطرزا بحرف الجيم. لا بد أنه نسي أن يعيده لها. كانت هناك أغراض أخرى، لكنها لا تخص ريمي.

أعدت كل شيء إلى مكانه ورتبت السرير. فشلت في مهمتي. ستغادر ريمي على متن الطائرة غدا وسيظل دوزي وحيدا. كنت مثقلة القلب، فجمعت ممسحتي وسطلي وخرجت.

في طريقي إلى المنزل التقيت بأميليا وكيت في رحلة لمراقبة الطيور. دعتاني لأذهب معهما، لكن حتى غناء الطيور لن يستطيع أن يبعث البهجة في قلبي.

لكنني ارتأيت أن أزور جولييت التي يمكن أن تخفف من حزني، ولن أمكث طويلا وأقاطع كتابتها، لكن لا بد أن تدعوني لشرب القهوة. رحل سيدني صباح هذا اليوم، فلا بد أنها تشعر بالوحدة الآن. هرعت نحو منزلها.

وجدتها في بيتها وأوراقها متناثرة على المكتب، لكنها لم تكن تفعل أي شيء عدا الجلوس والتحديق عبر النافذة.

نادتني: «إيسولا، لقد أتيت في الوقت الذي أحتاج فيه لصحبة». وبينما بدأت تنهض رأت ممسحتي وسطلي وسألتني إن كنت هنا لتنظيف المنزل، ثم أردفت: «اتركي عنك ذلك وتعالي لشرب القهوة معي».

ثم نظرت نحوي وسألتني: «ما الأمر؟ هل أنت على ما يرام؟ اجلسي هنا».

كانت رقتها أكثر من أن تتحملها معنوياتي المحطمة، وأعترف أنني أخذت في النواح بصوت عالٍ ثم قلت لها: «إنني بخير، لكنني فشلت في مهمتي، وبناءً على ذلك سيجد دوزي نفسه تعيسا للأبد».

أخذتني جولييت نحو الأريكة وربتت على يدي، ولأنني أعاني دوما من الفواق عندما أبكي، فقد أحضرت لي كأسا من الماء

لتطبيق علاجها المضمون: إغلاق الأنف بين إبهاميك، سد الآذان، بينما تقوم صديقتك بسكب الماء في فمك. تضربي برجلك على الأرض عند إحساسك بالغرق، فتتوقف صديقتك عن سكب الماء. وينجح هذا العلاج دوما، وينتهي الفواق.

«أخبريني الآن، ما مهمتك ولماذا فشلت؟».

فأخبرتها بكل ما لدي. أخبرتها عن فكرتي بأن دوزي قد وقع في غرام ريمي، وتنظيفي لمنزله على أمل العثور على أي دليل لأخبر ريمي بما يشعر به حتى تقرر ألا ترحل، بل وقد تعترف له بحبها أولا.

«إنه خجول جدا يا جولييت كعادته دوما. لا أعتقد أنه قد جرب الحب من قبل، لذا يصعب عليه التصرف بهذا الشأن. قد يكون يحتفظ بما يذكره بحبيبته دون أن يفصح عن حبه لها. أجد نفسي غير قادرة على عمل أي شيء لمساعدته».

أجابت جولييت: «هناك العديد من الرجال الذين لا يحتفظون بتذكار، ولا يريدون ما يذكرهم بمن يحبون. ليس هذا معيارا للقياس. ما الذي كنت تبحثين عنه؟».

«أدلة مثل تلك التي تبحث عنها الآنسة ماربل، لكنني فشلت في ذلك ولم أجد حتى صورة واحدة. هناك العديد من الصور لك ولكيت، وبعض الصور لك وحدك. تلفين نفسك بالستارة في إحداها وتلعبين دور العروس الميتة. وقد احتفظ بجميع رسائلك مزمومة في شريط أزرق، ذلك الذي اعتقدت بأنك فقدته. أعلم أنه راسل ريمي عندما كانت في النزل، ولا بد أنها راسلته أيضا، لكنني لم أجد أيا من رسائلها. ولم أجد حتى منديلها، رغم أنه وجد أحد مناديلك. ربما ترغبين في استرجاعه، فهو جميل جدا».

نهضت جولييت واتجهت نحو مكتبها، وبعد فترة قصيرة التقطت ذلك المجسم الزجاجي الذي نقشت عليه العبارة اللاتينية (اغتنم الفرصة -carpe diem) ودققت النظر فيه.

ثم قالت: «اغتنم الفرصة. إنه اعتقاد ملهم، أليس كذلك يا إيسولا؟».

أجبتها بنعم «إن كنت تحبذين أن يقود اعتقادك حجر».

اندهشت لما فعلت جولييت بعد ذلك، فقد استدارت نحوي ووجهت لي تلك الابتسامة التي جعلتني أميل إليها كثيرا في أول لقاء لنا. «أين دوزي؟ إنه في السجن، أليس كذلك؟».

وعندما أومأت برأسي اندفعت خارجة وأسرعت في الطريق نحو السجن.

يا لها من فتاة رائعة. لا بد أنها ذاهبة لتوبيخ دوزي لعدم إفصاحه عن مشاعره نحو ريمي.

أما الآنسة ماربل، فهي لا تندفع نحو أي شيء، بل تتابع ببطء وتروي كما تفعل السيدات المسنات، ففعلت مثلها وعندما وصلت، كانت جولييت قد دخلت المنزل.

سرت على أطراف قدمي عبر الشرفة، ووقفت عند حائط المكتبة، كانت الشبابيك الطويلة مفتوحة على مصاريعها.

سمعت صوت الباب تفتحه جولييت وتردد: «صباح الخير سادتي»، وسمعت تيدي هيكويث (عامل الجص) وشستر (النجار) يرددان: «صباح الخير آنسة آشتون».

أما دوزي فقد ردد: «أهلا جولييت» من مكانه أعلى السلم، وقد عرفت موضعه عندما سبب كل تلك الفوضى وهو ينزل منه.

طلبت جولييت من الرجلين أن يمنحاها بضع دقائق لتتحدث مع دوزي.

أطاعاها وتركا الغرفة، فسألها دوزي إن كان هناك خطب ما. أو إن كان مكروه ما أصاب كيت.

«كيت على ما يرام. الأمر يخصني، وأود أن أطرح عليك سؤالا».

اعتقدت بأنها ستطلب منه ألا يكون ضعيفا، وأن يتحلى بالشجاعة ويذهب لطلب يد ريمي.

لكنها لم تقل ذلك، بل رددت: «هل توافق على الزواج بي؟».

تسمرت وتمنيت لو أنني مت في مكاني.

ران الصمت المطبق لفترة طويلة دون أن ينبس أحدهما بكلمة.

لكن ذلك لم يؤثر في جولييت التي استمرت بصوت ثابت، بينما أقف أنا دون أن أجرؤ على التنفس.

«إنني أحبك ولذلك طلبت الزواج منك».

وهنا سمعت دوزي، العزيز والغالي دوزي، الذي اتخذ الحلف عبثا وهو يقسم قائلا «بحق الرب، أجل» بينما يحاول أن يعجل نزوله من السلم، وكان كعبه يضرب الدرجات فالتوى كاحله حالما لامست قدماه السجاد.

بقيت مترددة في مكاني، ولم أجرؤ على النظر داخل الغرفة، رغم أنني كنت أميل إلى ذلك. عم الصمت، وعدت إلى منزلي لأفكر بما حدث.

ما الفائدة التي جنيتها من تدريب عيني على رؤية ما يدور حولي إن لم أتمكن من فهم ما أراه؟ لقد أخطأت تماما بكل تقديراتي. كانت النهاية سعيدة على أي حال، لكنه لا فضل لي في ذلك. يبدو أنني لا أملك قدرة الآنسة ماربل على سبر أغوار العقل البشري.

يا له من شيء محزن، لكن الاعتراف به واجب.

أخبرني السير ويليام بأن هناك سباقا للدراجات النارية في إنجلترا، ويفوز بكأس فضية كل من تفوق في السرعة والقيادة في الأماكن الوعرة دون السقوط من الدراجة. ربما علي أن أتدرب على ذلك، فلدي دراجتي النارية، وكل ما ينقصني هو الخوذة، وربما نظارات الوقاية.

أما الآن، فسأطلب من كيت أن تشاركني العشاء، وتمضي الليلة عندي، حتى يتسنى لجولييت ودوزي أن يحظيا بوقت خاص بين الشجيرات؛ كما كان لسيد دارسي وإليزابيث بينيت في رواية جين أوستن.

* * *

من جولييت إلى سيدني

17 سبتمبر 1946

عزيزي سيدني،

إنني آسفة حقا لجعلك تعود أدراجك وتعبر القنال، لكنني في حاجة لوجودك... في حفل زفافي. لقد قررت أن أغتنم الفرصة، فهل تأتي لتسلمني إلى زوجي في حديقة منزل أميليا الخلفية يوم السبت؟ سيكون إيبين إشبيني وإيسولا وصيفة الشرف، وسترمي كيت بتلات الورد. (تعمل إيسولا على حياكة فستانا للمناسبة).

أما العريس، فهو دوزي.

هل دهشت؟ قد لا يدهشك هذا الخبر، لكنه أدهشني أنا. أجدني في حالة مزمنة من الدهشة هذه الأيام. لم يمر على قراري

يـوم واحـد، لكننـي أشـعر وكأن حيـاتي كلهـا قـد رسـمت خـلال الأربـع والعشريـن سـاعة الماضيـة. فكـر في الأمـر. أليـس غريبـا أنـه كان مـن الجائـز أن نسـتمر للأبـد في التعبـير عـن شـوقنا لبعضنـا ونتظاهـر بأننـا لم ننتبـه؟ إن الهـوس بالكرامـة بهـذا الشـكل يمكـن أن يدمـر حياتـك إن أنـت سـمحت لـه.

هـل الـزواج بهـذه السرعـة غـير لائـق؟ لا أريـد الانتظـار. أريـد أن أبـدأ فـورا. لقـد ظننـت طـوال حيـاتي أن الروايـة تنتهـي عندمـا تتـم خطبـة البطـل والبطلـة، فـلا بـد أن النهايـة التـي تختارهـا جـين أوسـتن هـي النهايـة الحقـة. لكـن ذلـك غـير صحيـح. تلـك هـي البدايـة فقـط، وسـيكون كل يـوم جديـد جـزءا مـن الحبكـة. قـد يـدور كتـابي التـالي حـول زوجـين سـاحرين وجولتهـما اليوميـة نحـو فهـم شـخصيتيهما. هـل يعجبـك التأثـير الإيجـابي لخطبتـي عـلى كتابتـي؟

جـاء دوزي مـن السـجن للتـو، وهـا هـو يطلـب أن أعـيره كل انتباهـي. لقـد اختفـى خجلـه تمامـا، بـل أعتقـد أنـه كان خدعـة لكسـب تعاطفـي.

محبتي،

جولييت

ملحوظـة: قابلـت أديليـد أديسـون اليـوم في سـان بيـتر بـورت، ومـن بـاب تقديـم التهـاني أخبرتنـي مـا يـلي: «لقـد سـمعت أنـك ومـربي الخنازيـر عزمتـما عـلى جعـل رباطكـما قانونيـا. الحمـد للـه».

النهاية

شكر وتقدير

وجدت فكرة هذا الكتاب بمحض مصادفة، أثناء سفري إلى إنجلترا لإجراء البحوث لأجل كتاب آخر. وهناك علمت عن الاحتلال الألماني لجزر القنال الإنجليزي، فقررت زيارة غيرنزي وأذهلتني اللمحة البسيطة التي تعرفت من خلالها على بعض تاريخ الجزيرة وجمالها. هذا الكتاب نتاج لتلك الزيارة، ولو بعد سنوات عديدة.

لكن الكتب لا لا تتخذ شكلها النهائي من أذهان كتابها، فقد استغرق هذا الكتاب سنوات من البحث والكتابة، بالإضافة إلى صبر وتشجيع زوجي ديك شيفر، وثقة ابنتي ليز ومورغان في قدرتي على إكماله. وقد أصرا دوما على أن أخصص وقتا للكتابة، ولولا هاتين القوتين الدافعتين لما استطعت إكماله.

بالإضافة إلى التشجيع الذي وجدته في بيتي، كنت محظوظة بدعم أشخاص آخرين، من أهمهم أصدقائي وزملائي الكتّاب سارة لويستر وجوليا بوبي اللتين ساندتاني وألحتا علي لأكمل الكتاب، كما قامتا بمراجعة مسوداته الخمس الأولى مراجعة دقيقة. لولاهما، لم يكن هذا الكتاب. والفضل يعود أيضا لبات أريغوني وحماسها وتدقيقها الضروريين في مراحل الكتابة الأولى. أما أختي سيني فقد حافظت على التقليد العائلي بتشجيعي وحثي على الكتابة دوما. ولهذا أجدني ممتنة لها.

أشكر أيضا ليزا درو لتوجيهي نحو وكيل أعمالي ليزا داوسون، التي تجمع الطيبة والصبر والحكمة والقدرة على التدقيق بشكل مميز. أما زميلتها أنا أولزوانغر فكان لها دور مهم في زرع أفكار

ممتازة في النص. وبفضل هؤلاء، وجد نصي طريقه إلى سوزان كاميل المحررة البارعة والإنسانة العظيمة. كما أنني ممتنة لشاندلر كروفورد الذي أوصل كتابي لشركة نشر بلومزبيري في إنجلترا، وجعل منه ظاهرة عالمية وصدرت طبعاته في عشر دول.

أوجه شكرا حارا لابنة أخي آني التي تطوعت لإكمال الكتاب عندما حالت عوارض صحية غير متوقعة بيني وبين العمل عليه بعد وقت قصير من بيع مخطوطته. تركت آني الكتاب الذي كانت تعمل عليه دون أي تردد، وبدأت العمل على مخطوطتي لتحويلها إلى الكتاب الذي ترونه أمامكم. كم أنا محظوظة بوجود كاتبة مثلها في عائلتي.

أرجو أن تنجح شخصيات هذه القصة بتسليط الضوء على بعض معاناة وعزيمة شعب جزر القنال أثناء الاحتلال الألماني. كما أرجو أن يعزز الكتاب من قناعتي الشخصية بأن حب الفن، سواء كان شعرا أو قصة أو رسما أو نحتا أو موسيقى، يمكّننا من التغلب على أي حواجز وعوائق صنعها البشر حتى اليوم.

ماري آن شيفر
ديسمبر 2007

كان من حسن حظي أن أبدأ مشروعي هذا مسلحة بحياة زاخرة بقصص عمتي ماري أن وحكمة سوزان كميل في التحرير. فقد كانت رؤية سوزان ضرورية في تمكين الكتاب من أن يصل إلى الشكل الملائم، وأجدني محظوظة بالعمل معها هنا، كما أحيي المحرر المساعد نوا إيكر أيضا.

أوجه شكري أيضا إلى فريق العمل في دار نشر بلومزبيري فقد كانت ألكساندرا برنغل مثالا للصبر وروح الدعابة، كما كانت مصدر معلومات غنيا ساعدنا في التعامل مع الكتابة عن نسل الدوق. أشكر بالأخص ماري موريس التي تعاملت مع شخص الغجري بكل لباقة، وأنتونيا تيل الرائعة التي أنقذت الشخصيات البريطانية من الظهور في الكتاب بأزياء وعربات وطعام غريب على إنجلترا. أما في غيرنزي، فقد كانت لين آشتون، من متحف ومعرض غيرنزي، أكثر تعاونا وفائدة، مثلما كانت كلير أوغير.

وأخيرا أوجه شكري الخاص لليزا دوسن، التي جعلت كل ذلك ممكنا.

آني باروز
ديسمبر 2007

خاتمة بقلم آني باروز

نشأتُ في عائلة من الروائيين الذين لا يعترفون بالإجابات المقتضبة أو الحقائق المطلقة. بل إنك تجد نفسك تستمع إلى قصة طويلة لمجرد طلبك بأن يمرر لك طبق الزبدة. وتنتهي العطل الرئيسة عادة بتجمع النساء حول مائدة الطعام ووجوههن تطفح بالدموع من كثرة الضحك، بينما يجلس أزواجهن في الغرفة المجاورة يهزون رؤوسهم يأسا.

من الواضح أن عائلتي غنية بالروائيين، لكن عمتي ماري آن شيفر كانت متفردة في ذلك. ما الذي تفعله ماري آن لتغيير مسار القصة الاعتيادية إلى قصة مثيرة؟ كانت من أكثر الناس فطنة بلا شك، لكن فطنتها لم تكن تمثل جوهر الموهبة التي حباها الله بها. كانت تمتلك لغة براقة، وتوقيتا رائعا وطريقة في الإلقاء هي رمز للجمال والسعادة دوما، لكن ذلك لم يكن أهم ما يميزها أيضا. الذي ميزها بالفعل هي قابليتها، بل رغبتها، بأن تستمع لحكايات الناس، وأن ترى رقتهم وهشاشتهم، ولحظات عظمتهم العابرة. وإلى جانب حبها لسماع قصص مَن حولها، كانت تسعد بمشاركة غيرها بهذه القصص، وكانت تقص لنا تلك الحكايات لنسعد معها، وقد نجحت في ذلك مرارا وتكرارا.

لكن كتابة الحكايات تختلف عن روايتها. وقد عرفتُ ماري آن طوال حياتي تعمل على الكتابة، لكنني لم أجدها تكمل أي كتاب على نحو يرضيها، ولم يكن لها هذا حتى بدأت في هذا الكتاب: جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا.

بـدأ مـشروع الكتـاب في العـام 1980، عندمـا كانت مـاري آن مغرمة بحيـاة كاثلـين سـكوت، زوجـة مسكتشـف القطـب الجنـوبي روبـرت فالكـون سـكوت. ولـكي تكتـب قصـة حياتهـا، سـافرت مـاري آن إلى كامـبردج في إنجلـترا، حيـث الأرشـيف الـذي يحـوي أوراق كاثلـين. لكـن عنـد وصولهـا وجـدت أن الأرشـيف لا يضـم سـوى قصاصـات ومفكـرات تصعـب قراءتهـا خُطّـت بقلـم رصـاص. تخلـت عـن المـشروع، لكنهـا لم تعـد إلى بلدهـا، بـل ولسـبب غـير واضـح قـررت السـفر إلى جزيـرة غيرنـزي الواقعـة في أقـصى حدودالقنـال الإنجليـزي.

بمجـرد ذهـاب مـاري آن إلى تلك الجزيـرة، بدأت الأحداث بالتسـارع. عنـد هبـوط الطائـرة صعـدت سـحابة مـن الضبـاب الكريـه مـن البحـر لتغطـي الجزيـرة بأكملهـا، وبذلـك توقفـت حركـة الملاحـة البحريـة والجويـة. ومـع قعقعـة إغـلاق الجسر، رحلـت آخـر سـيارة أجـرة تاركة مـارى آن حبيسـة ومعزولـة في المطـار بجسـدها المتجمـد مـن الـبرد القـارس (لكـم أن تتخيلـوا أسـلوب مـاري آن في سرد هـذه الأحـداث). وبينـما تمـر السـاعات، اسـتعانت مـاري آن بالحـرارة الضعيفـة الناتجـة مـن جهـاز تجفيـف الأيـدي في حـمام الرجـال (تعطـل الجهـاز في حـمام النسـاء)، لتحافـظ عـلى شـعلة الحيـاة الوامضـة التـي لم تكـن تكفيهـا التغذيـة الجسـدية مـن الحلويـات التـي اشـترتها مـن آلـة البيـع، بـل تحتـاج أيضـا إلى القـوت الروحـي، أي الكتـب. لم تكـن القـراءة شـيئا ثانويـا بالنسـبة لمـاري آن، لذلـك لم يكـن باسـتطاعتها الاسـتمرار يومـا واحـدا دون أن تقـرأ، فاسـتعانت بعـروض مكتبـة مطـار غيرنـزي لسـد تلـك الحاجـة واشـترت مجموعـة مـن الكتـب. في العـام 1980 كانـت هـذه المكتبـة منفـذا لبيـع الكتـب عـن احتـلال الألمـان للجزيـرة أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة. ولذلـك، رحلـت مـاري آن مـن الجزيـرة

عند انقشاع الضباب دون أن ترى أيا من مناظرها، لكنها عادت بمجموعة من الكتب، واهتمام دائم بتجارب غيرنزي أثناء الحرب.

مر على ذلك عشرون عاما قبل أن تبدأ ماري آن بكتاب جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا، بتشجيع مجموعة الكتابة الخاصة بها. وكما استطاع أعضاء الجمعية من أن يتخطوا كل الحواجز الذاتية والمفروضة عليهم بفضل صداقاتهم، فإن مجموعة الكتابة استطاعت مساندة ماري آن، وذلك بتحفيزها وتشجيعها والإلحاح عليها، طوال مسار الرواية بدءا من كونها مجرد فكرة حتى نهاية المطاف واكتمال أول مخطوطة لها.

قالت ماري آن ذات مرة: «كل ما أريده هو أن يعجب شخص بكتابي ليقوم بنشره». وكان لها أكثر من ذلك، فقد اندفع الناشرون من أنحاء العالم لشراء كتابها، وكان ذلك انتصارا لها دون أي شك، بل انتصارا لنا نحن الذين استمعنا دوما لقصص ماري آن. ها هو العالم يمنحنا الدليل على ما كنا واثقين منه دوما. إن لشهرزادنا المقدرة على أن تخلب ألباب العالم. كم افتخرنا لذلك.

لكن سرعان ما بدأ هذا النصر بالتردي مع تردي حالة ماري آن الصحية، وكأننا نعيش في قلب قصة شعبية انتقامية رهيبة. فعندما طلب محرر الكتاب إجراء بعض التعديلات ليصبح نشر الكتاب ممكنا، أدركت ماري آن أنها لا تملك القدرة على إنهاء العمل، وطلبت مني أن أكمله عنها، بحجة أنني الكاتبة الأخرى في العائلة.

وبطبيعة الحال، وافقت على ذلك. إذ نادرا ما يملك الكتاب أن يكونوا حلا لمشكلات غيرهم، فكانت هذه فرصة فريدة تمكنني من مساعدة شخص أحبه. لكنني همست لنفسي أن ذلك

مستحيل. فكيف لي أن أتقمص صوت عمتي وشخصياتها وإيقاع أحداث قصتها.

لكن كان لا بد لي من أن أبدأ في ذلك، وبمجرد ما عزمت على ذلك، وجدته أمرا بسيطا. بدا لي الأمر بسيطا لأنني ترعرعت على قصص ماري آن، فلم تكن قصصها جانبا من حياتي، بل كانت حياتي نفسها. كانت هي مصدر تغذيتي. كانت قصصها هي ما يزين حياتي. كان مجرد المرور عبر غرفة الطعام يزودني بمصطلح غريب أو معلومة غير معروفة. وسرعان ما أصبح أسلوب سرد ماري آن هو أسلوبي. وكما يكتسب الأشخاص لهجاتهم وأفكارهم، اكتسبت أنا قصصها.

كان العمل على الكتاب أشبه بقضاء وقت مع ماري آن. كانت شخصياتها أشخاصا أعرفهم، (بالمعنى الحرفي للكلمة أحيانا)، وكانت تصرفاتهم غير العقلانية تجد صدى ومنطقا عقلانيا في ذهني.

عندما توفيت ماري آن في أوائل العام 2008 كان الكتاب ملاذا لي لأنه كان يحتويها بداخله. يعد كتاب جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا شهادة على موهبة ماري آن بلا شك، لكنه أساسا تجسيد لكرمها من خلاله توفر قائمة بمسراتها لتسليتنا، والغرائب التي سلبت عقلها، والتعابير التي أمتعتها، وفوق كل ذلك، الكتب التي استهوتها.

لقد تنبأت ماري آن، قبيل وفاتها، بنجاح كتابها، من دون شك، لكن أيا منا لم يكن مهيّأ للكم الهائل من المديح الذي ناله الكتاب. بدءا ببائعي الكتب، ثم النقاد ثم القراء، لاحظنا ردود فعل متشابهة لديهم جميعا: لقد أثنوا جميعا على الكتاب، على إبداعه وابتكاره، وعلى فتنته وظرافته وحيويته. بمعنى آخر، كانوا

يصفون الكتاب وكأنهم يصفون ماري آن شخصيا. وأخيرا استطاع العالم أن يجد لنفسه مقعدا على الطاولة التي كانت مرتعا لي طوال حياتي، وكما هي العادة في ولائم العائلة، فقد تجمعوا حول ماري آن للبكاء والنحيب، بينما تمور قصصها أمامهم كأمواج البحر.

لم يعكر صفو الوليمة لكنها لا بد أن تنتهي. إن كان لي أن أتمنى، فسأتمنى قصة لا نهاية لها، ويبدو أن هذه أمنية يشاركني فيها الكثيرون. فكم تسلمت رسائل من قراء حول العالم يتحسرون على نهاية الحكاية ويرددون: «أردت أن تستمر القصة إلى ما لا نهاية»، و«أريد أن أذهب إلى غيرنزي وأنضم لنادي للقراء»، و«أريد أن أكون عضوا في تلك الجمعية». الجميل في الأمر هو أننا إن استطعنا أن نهرب من التسلسل الحيزي الزمني[43] (space-time continuum) فسنجد أن الكتاب يستمر فعلا دون نهاية، عندما يناقشه قارئ مع قارئ آخر. أما عضوية جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا فهي في ازدياد مستمر، مع كل قارئ يستمتع بالكتاب.

إن ما يجعل الكتب شيئا رائعا، وما جعلها ملاذا لسكان الجزيرة أثناء الاحتلال، هو أنها تأخذنا بعيدا عن زمننا ومكاننا وتفكيرنا، ولا تنقلنا إلى عالم شخصياتها وحسب، بل إلى عالم قرائها أيضا، الذين لديهم قصصهم الخاصة بهم.

في الأشهر الأولى التي أعقبت صدور الكتاب، تعرفت على قراء ذكّرهم الكتاب بتجارب الحرب التي مروا بها. أخبرني أحد سكان

(43) (التسلسل الحيزي الزمني - space-time continuum): في علم الفيزياء، هو نظام الإحداثيات رباعية الأبعاد التي تقع فيها الأحداث الفيزيائية، وهو الذي يتصل فيه الزمن كبعد رابع بالأبعاد الثلاثة الأخرى (الطول والعرض والارتفاع).

غيرنزي عن عملية ترحيله من الجزيرة إلى إنجلترا برفقة المئات من الأطفال الآخرين، وذلك في الأسبوع السابق لاحتلال الألمان للجزيرة. وكانت أكثر اللحظات إثارة مما يذكره هي نظرته الأولى لبقرة سوداء، فلم يكن لديه علم بأن هناك أبقارا سوداء. وهناك أيضا امرأة، كانت طفلة أثناء الاحتلال، روت لي بأنها كانت تجلب الطعام لجندي فرنسي اختبأ في العلية، لأنها كانت أصغر أفراد العائلة حجما فيمكنها التسلل عبر الباب الصغير. ولم تكن كلها قصص حرب، فقد تعرفت على من يريد أن يعرف إن كانت ماري لام قد طعنت والدتها فعلا بسكين نحت (أجل، فعلت ذلك فعلا)، ومن يريد معرفة طريقة عمل فطيرة قشر البطاطا (لا أنصح بذلك)، ومن يريد أن يقرأ كتابا آخر كتب على شكل رسائل (أنصح بكتاب أبي طويل الساقين - Daddy Long Legs، للكاتبة جين وبستر).

يمكن اعتبار هذا الكم الهائل من الأسئلة والهتافات والحكايات النسخة الجديدة من جمعية غيرنزي. ينتشر أعضاء الجمعية حول العالم، ويجمعهم حبهم للكتب والحديث عن الكتب وزملائهم القراء. هناك قوى سحرية تجذبنا باتجاه جمعية الأدب كلما مررنا بكتاب ما، كلما تساءلنا عنه، كلما نصحَنا شخصٌ ما بكتاب ما. فكلما أبدينا رغبتنا بالاستمتاع بكتاب ما ومشاركة استمتاعنا مع غيرنا، كما فعلت ماري آن، نجد أنفسنا جزءا من القصة المتجددة لجمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا.